د. أنور عبد الله

خصائص وصفات المجتمع الوهابي - السعودي



بحث سوسيولوجي - أنتربولوجي

مكتبة الشرق
باريس



الدكتور أنور عبدالله

خصائص المجتمع الوهابي-السعودي

بحث سوسيولوجي-انتروبولوجي

مكتبة الشرق

باريس

Comptoir de vente

La Librairie de l'Orient

18, rue des Fossés Saint Bernard

75005 Paris

Tél. : 01.40.51.85.33

Fax : 01.40.46.06.46

— face à l'Institut du Monde Arabe —

Site Web : www.orient-lib.com

E-mail : *orient-lib@orient-lib.com*

المقدمة

أطلت الوهابية—السعودية على المجتمع في الجزيرة العربية والعالم، خلال ثلاثة أحقاب تاريخية بثلاثة أثواب سياسية —ولا زالت— هذه التجربة الدينية—السياسية، تكرر نفسها بنجاح على المسرح السياسي وفي كل مرة كانت تنطلق من ذات المكان "منطقة نجد" لتمتد بعد ذلك لتشمل بعض أجزاء الجزيرة العربية ثم تنكمش بسرعة وتسقط منهارة. ثم لا تلبث أن تعود بعد فترة قصيرة، لتستلم السلطة وتدير المجتمع والإنسان حسب رغبتها وإرادتها دون رقيب. فالمثل المشهور: التاريخ لا يكرر نفسه، سخرت منه التجربة "الوهابية — السعودية". لكونها كررت نفسها — كأيديولوجية وكأسلوب عمل عدة مرات تجربة "دينية — سياسية،" أثارت الغيرة والحسد في نفوس — بقايا — بعض العوائل والأسر السياسية الحاكمة والمهزومة — عبر التاريخ — والتي لم تستطع أن تسترجع سلطتها مرة ثانية، سواء كان ذلك في التاريخ القديم أو التاريخ الحديث: أين هم أبناء الأسرة العباسية أو الفاطمية في العراق، مصر، المغرب، وكذلك الأسرة الصفوية والقاجارية في إيران... مروراً بالممالك الصغيرة: أسرة محمد علي باشا في مصر، التي سقطت عام 1952م والأسرة الهاشمية في العراق التي أبيدت عام 1958م وأسرة الإمامة الزيدية في اليمن التي سقطت عام 1962م والأدريسية في ليبيا عام 1969م والشاهنشاهية البهلوية في إيران عام 1979م، لهذا قيل المثل الشعبي المشهور: لكل زمان دولة ورجال. فلماذا شذت الأسرة السعودية — الوهابية عن القاعدة العامة في مسار تاريخنا وكررت نفسها ثلاث مرات؟!

أيعود هذا لطرحها أفكاراً تتماشى دوماً مع روح العصر الذي تعيش فيه لتغني الواقع الاجتماعي والإنساني أم بقوة تخلفها أم بماذا؟ السلطة القرمطية —مثلاً— جسدت في تشريعاتها الاجتماعية والاقتصادية خطوات متقدمة على غيرها من التجارب السياسية، حيث أنشأت مجتمع المساواة الفعلية: إذ لم يكن في بلاد القرامطة فقير، كما ذكر الرحالة ناصر خسرو وأوجدت نوعاً من العلاقة الإنسانية الطبيعية بين الجمهور والقيادة الحاكمة

وذلك بإنشائها "المجلس العقداني" كما أشار إليه الرحالة ابن حوقل عام 375هـ وأيضاً الرحالة ناصر خسرو عام 443هـ. ومع ذلك سقطت التجربة القرمطية بعد مائة وثمانين عاماً ونيف (287هـ - 470هـ) ومع ذلك لم تنهض. فهل التجربة السعودية – الوهابية أكثر التصاقاً بالإنسان والواقع الاجتماعي مما كانت عليه السلطة القرمطية في شرق الجزيرة العربية؟! وإذا كان الجواب معروفاً – مسبقاً – بالنفي من لدى جميع البحاثة والمتخصصين الموضوعيين. إذن لماذا سقطت السلطة القرمطية وغيرها من السلطات التي تعاقبت على الحكم في "الجزيرة العربية"؟ ولماذا نجحت السلطة السعودية – الوهابية في مسعاها وكانت دائماً قادرة على العودة من جديد إثر كل سقوط؟

قد يخطر ببال البعض بأن هذا عائد لتزمتها الديني والقبلي، وهذا الجواب لوحده غير كافٍ وغير مقنع، فعلى الرغم مما في الوهابية من تزمت وتخلف فكري يفوق التصور، إلا أن هناك العديد من الدول والسلطات التي لا تقل تخلفاً وتزمتاً عن الوهابية – السعودية ومع ذلك سقطت كالإمامة الزيدية في اليمن التي انتهت عام 1962م. إن معرفة أسباب تكرار هذه التجربة الدينية – السياسية الرجعية أكثر من مرة وتحت قيادة نفس الرموز البشرية السياسية والدينية، لهو أمر مثير للاهتمام، لمعرفة سر نجاح هؤلاء – السعوديون والوهابيون – في تكرار تجربتهم، رغم تخلف "شعاراتهم" التي لم تتغير ولم تهزها متغيرات قرنين من الزمن ونقول إن معرفة حقيقة هذه التجربة السياسية المنغلقة على نفسها لا يتوقف فقط عند تحليل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية داخل المجتمع في الجزيرة العربية، للاختلاف والتباين الواضح على المستوى الاجتماعي والحضاري بين المناطق الرئيسية: الشرقية والغربية والوسطى والجنوبية من جهة وإن تكرار التجربة السعودية – الوهابية تنطلق دوماً من المنطقة الوسطى "منطقة نجد" أكثر المناطق تخلفاً وعداءاً للتطور من جهة ثانية. لهذا نرى ضرورة التركيز على خصوصية "منطقة نجد" لفهم حركة قوانين وآليات "المجتمع النجدي" الراكد وإفرازاته التاريخية عن بقية المجتمعات الأخرى. فمنطقة نجد كانت دائماً تقوم بإطلاق الموجات البشرية الغازية والناهبة للمناطق المجاورة لها تارة ولتستقر بها – عبر – قوة سيوفها تارة أخرى منذ أقدم العصور واستمراره حتى عام 1930م. كما يهمنا الغوص في نفسية وعقلية "الرجل النجدي – الوهابي" وطبيعة نظرته الجامدة للحياة ولما يدور حوله من تطورات حضارية – إنسانية لم تهز قناعته بعد!!

إن افتخار الوهابيين والسعوديين بنجاحهم في تكرار تجارهم السياسية – الدينية هي في نظرنا افتخار سلبي، يؤكد مشروعية إدانتهم كقوة اجتماعية – سياسية أكثر مما تثير فينا الإعجاب هم. فهم قد فوتوا فرصاً تاريخية ثمينة كان بالإمكان أن تجعل صورهم في التاريخ أكثر "إشراقاً" ولكن حالت دون ذلك "سلفيتهم الجامدة" – كما سنرى – ففي كل مرة يستلمون الحكم – السلطة، يتقاعسون عن بذل أي جهد لتحريك الأوضاع الاجتماعية والثقافية إلى مواقع أكثر تقدماً وأفضل حالاً من السابق ولا يسعون بشكل جدي إلى تجديد البنية التحتية الراكدة "للمجتمع النجدي" لإرساء اللبنات الأولى في المجتمع المدني الحديث. فهمهم الأساسي حين استلامهم السلطة كان إحكام سيطرتهم على منطقة نجد والمناطق الأخرى والحفاظ على تلك الوضعية المتخلفة وعدم المساس بها والتشجيع على عدم تغيير البنية الفوقية للمجتمع، عبر مقولات دينية وتفسيرات "وهابية – سعودية" لها تسمح لهم بالهروب بالمجتمع والإنسان إلى الصحراء ليس بحثاً عن النقاوة والطهارة ولكن هروباً وخوفاً من نور الحضارة الإنسانية لذا ظلت المغذيات التاريخية – من عادات وتقاليد وأعراف... إلخ. جذورها قوية داخل المجتمع النجدي بشكل خاص، كما ساهم ذلك في احتفاظ الوهابية بعقلية منغلقة ومعادية للتطور منذ بداية الدعوة الوهابية عام 1744م إلى مرحلة "فيضان البترول" عام 1975م. حيث أجبر النظام وقادة المؤسسة الدينية على الانفتاح الخارجي – على مضض. فتحول البلد وبسرعة مذهلة إلى أكبر سوق عالمي لتصريف المنتوجات التي تنتهجها الدول الصناعية الكبرى، بعدما أفتوها بسلسلة من الممنوعات والمحرمات التي خنقت المجتمع والإنسان والتي أصبحت الآن تتناقض مع التطور الاجتماعي والتقني في البلاد، ومع المستوى التعليمي والثقافي الذي يتمتع به المواطنين والمواطنات اليوم. والمغذيات الأساسية لعودة وسيطرة الوهابيين والسعوديين على السلطة، هي أربع سنشير إليها في هذه المقدمة باختصار، حتى يتمكن القارىء من تكوين فكرة أولية واضحة عن أسباب نجاح الوهابيين والسعوديين في تكرار تجارهم "الثلاث" السابقة وانفرادهم بهذه الخاصية من جهة وإلى نقد آراء بعض الكتاب والمأخوذين بهذه التجربة وتفردها عن "القاعدة العامة" حيث أوعز بعضهم إلى عوامل العظمة والعبقرية" الفذة لقادة هذه الحركة الوهابية–السعودية من جهة ثانية والعوامل المغذية لتكرار التجربة الوهابية – السعودية هي:

1 – جدلية الصحراء:

إن فهم جدلية الصحراء: عشب، بئر، جمل، المكونات الأساسية لحياة الإنسان في تلك المنطقة وكيفية تفاعله ومدى افتخاره بتلك المكونات المنسجمة مع شروط وعائه الجغرافي—التاريخي وكيف منحته الطمأنينة للاستمرار بالعيش تحت ظل هذه "الجدلية" منذ أقدم العصور وحتى تدفق البترول بكميات تجارية بعد الحرب العالمية الثانية. فمنطقة نجد لم تتميز فقط بأنها "المعقل الأساسي للبداوة"، بل هي المنبت الأول والأساسي لحياة البداوة — هي خزان بشري لا ينفك يقذف بين الحين والآخر بموجات بدوية جائعة تارة وغازية تارة أخرى، منذ فجر التاريخ وحتى الهجومات الأخيرة على الكويت عام 1921م والعراق ما بين عام 1923 — 1925م، هذه العلاقة الجدلية بين الإنسان ووعائه الصحراوي، جعلت من منطقة نجد النموذج المثالي لمجتمع البداوة المهدد للحضارات القديمة من جهة والنموذج الذي يغري أصحاب الدعوات السياسية والدينية الهادفة للغزو أو السيطرة والتحكم في منطقة الجزيرة العربية من جهة ثانية. ناهيك عن عمق فكرة "المهدي المنتظر" المتغلغلة بين صفوف سكان هذه المنطقة منذ المهدي الأول، مسيلمة بن حبيب عام 631م مروراً بالمهدي المنتظر محمد بن الحنفية عام 670م وانتهاءاً بـــ"محمد بن عبد الله القحطاني" عام 1979م.

2 — فقدان منطقة نجد لمؤسسات الدولة المركزية:

إن خلو منطقة نجد من أبسط صور وملامح الدولة (جيش نظامي، شرطة، بريد، جمارك، دائرة للضرائب، مدارس، مرافق صحية — حمامات رجالية أو نسائية، كتلك المنتشرة في غالبية المدن العربية والإسلامية... إلخ. أضعف شعور سكان هذه المنطقة بالحاجة إلى متغيرات حياتية ومدنية تضعهم على عتبات الحضارة المعاصرة، لتخرجهم من وضعيتهم التاريخية "الراكدة" وحتى السلطات المركزية القوية التي بسطت نفوذها قديماً — كالأتراك أو الأشراف في الحجاز — لفترة من الزمن على هذه المنطقة لم تقم بواجباتها كدولة مسؤولة عن إرساء بعض ملامح المجتمع الحديث على الأقل، بل كل ما اكتفت بعمله هو القيام بحملات ردع "تأديبية" لتمنعهم من غزو ونهب سكان الواحات والمدن المحاذية للحدود الصحراوية ولإلزام القبائل الأخرى على دفع "ضريبة الزكاة" أو غيرها من الضرائب المتوجبة عليهم لصالح السلطة المركزية — المؤقتة آنذاك.

ولهذا لا يمكننا الحديث هنا عن أي تراكم علمي — معرفي قد عاشته هذه المنطقة. وإذا ما وجد فلفترة قصيرة لم تتأخر رمال الصحراء بالقيام بطمره. وبفعل هذه الوضعية

الاجتماعية العامة، شبه الراكدة، هيمن منطق البداوة، المتمثل بالسيف والغزو والاقتتال المستمر فيما بينهم، مما جعل هذا المكان أرضاً سهلة الوطأ للتبشير بالدعوة "الوهابية" المنسجمة مع عقلية البدوي وطموحاته. ولهذا ما أن استتب الأمر للسلطة الوهابية – السعودية وتم لها السيطرة على أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية عام 1800م حتى تحولت إلى دولة غازية وناهبة للأقطار المجاورة لها تتحكم فيها قوانين الصحراء.

3– انتماء رجال الدين في منطقة نجد

انتماء رجال الدين إلى مذهب إسلامي واحد، وهو "المذهب السني" شكلوا الفئة الوحيدة المتعلمة في تلك المنطقة – آنذاك – وكانت لهم علاقات متميزة وقوية مع سكان الصحراء وسكان القرى على السواء وذلك بفعل ما كانت تقوم به تلك العناصر من مهمات وخدمات عديدة دون مقابل، دون راتب رسمي – كما عليه الآن – مثل: القيام بالشعائر الدينية وتعليم الصبية حفظ القرآن والمبادىء الأولى للقراءة والكتابة، حل الخصومات والمنازعات المستمرة بين سكان هذه المنطقة، تسهيل الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية من زواج أو طلاق وتقسيم الإرث...إلخ. من هنا أطلق مواطني ذلك المكان على رجل الدين اسم "المطوع" أي تطوع في عمله لوجه الله دون مقابل، ما عدا ما يقدمه بعض المحسنين في بعض المناسبات. هذه الفئة الاجتماعية هي التي شكلت دوماً البذرة الأساسية القوية والجاهزة دوماً لعودة "التجربة" الوهابية – السعودية من جديد. كما أن هذه الفئة من رجال الدين، تطبعوا بصفات وأخلاق أبناء الصحراء: خشونة، تعصب، انطواء، كره الآخر.. إلخ. وهي الصفات التي لازمت رجل الدين الوهابي منذ عام 1744م إلى وقتنا الحاضر وما ينطبق على هذه الفئة ينطبق على قسم كبير من سكان قرى ومدن نجد الذين سأموا من الاقتتال الشبه يومي بين أمراء تلك القرى المتناثرة والمتصارعة وكانوا يتطلعون إلى قيام "سلطة مركزية" قوية تردع الجميع وخصوصاً بعد ما ذاق الجمهور النجدي العز والجاه والصيت في العصر الذهبي للدولة الوهابية الأولى الناهبة والغازية – ويتطلعون بين الفنية والأخرى بشوق لعودة سلطة الوهابيين والسعوديين من جديد. وهذا ما حصل فعلاً فما أن سقطت الدولة الوهابية الأولى عام 1818م ثم رحيل الجيش المصري عن منطقة نجد عام 1819م سرعان ما عادت السلطة الوهابية – السعودية عام 1822م بعد ما التف رجال الدين الوهابيين وقسم كبير من سكان المدن والقرى حول الأمير السعودي "تركي بن عبد الله" ثم ابنه الأمير "فيصل" الذي أطلقوا عليه لقب "الإمام" حتى

موته عام 1865م — ثم تصارع أبنائه الأربع على العرش مما سهل سقوط الدولة السعودية — الوهابية عام 1887م ثم ما لبث هذا المشهد أن تكرر بسرعة في المرة الثالثة عام 1902م على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، الذي نال دعما غير محدود من رجال الدين النجديين وأنصارهم في إنشاء الدولة السعودية - الوهابية الثالثة والمستمرة إلى وقتنا الحاضر.

4 — دور القبائل البدوية:

كلما تتسارع القبائل البدوية الكبرى القاطنة في صحارى نجد للالتحاق بالمعسكر الوهابي — السعودي، كلما انقلبت المعادلة السياسية والعسكرية لصالح الوهابيين والسعوديين وتسهل بذلك عملية توحيد البلد من البحر الأحمر في الغرب إلى الخليج العربي في الشرق وقد عرف الدعاة الوهابيون كيف يضربون على الوتر الحساس لكسب تلك القبائل البدوية وأدلجتها، بعد أن أدلجوا الغزو بأنه "جهاد" في سبيل الله ضد الكفار! وما أحوج البدوي إلى منظر من أهل المدن ليؤدلج له "الغزو" الذي يعتبره أساساً حياتياً يجري مجرى الدم في عروقه. بهذا الطرح الجهادي لموضوع "الغزو" تتقاطر القبائل الكبيرة والصغيرة لتنضوي تحت راية "التوحيد" مشكلين بذلك القوة الضاربة والمخيفة للأعداء في الداخل والخارج، فالقبائل البدوية إذ ما توحدت في لحظة تاريخية تنفتح أمامها آفاق المستقبل وتتفتح أمامها — أيضاً — أراضي الدول المجاورة، سواء للقيام بالفتوحات والاستقرار فيها أو لنهبها والعودة ثانية للصحراء. واستناداً إلى مثل هذه العقلية، فقد اكتفت قيادة هذا "التحالف القبلي" بالغزو والنهب فيما بين عام 1790م إلى 1818م، فهذا التحالف "الوهابي" لم يملك أساساً مشروعاً حضارياً "توحيدياً" ولهذا كان شعارهم أثناء هجمات الغزو التي قامو بها: هبت هبوب الجنة وينك — أين أنت — يا باغيها" بهذا الشعار دشنوا "العصر الذهبي" للقبائل النجدية بعد سلسلة طويلة من الغزوات العنيفة للأراضي: السورية والعراقية واليمنية والعمانية... إلخ. ناشرين الذعر بين صفوف سكان تلك المناطق. فكل ما كان يهمهم بعد كل غزو، هو أن يعودوا بسرعة إلى صحرائهم غانمين فرحين ويتم توزيع الغنائم فيما بينهم حسب العرف الصحراوي — القبلي.

هذه هي أبرز المغذيات الأساسية لعودة ونجاح التجربة الوهابية — السعودية أكثر من مرة والتي لم تعد موجودة الآن بنفس القوة كما كانت عليه في السابق بسبب التطورات والتغييرات الأساسية التي مست التركيبة الاجتماعية والاقتصادية والطبقية التي شهدها

المجتمع في الجزيرة العربية بعد "فيضان البترول" وارتفاع أسعاره منذ عام 1974م. هنا يطرح علينا السؤال الجوهري والأساسي: إذا كانت بنى المجتمع الوهابي – السعودي القديم قد اهتزت وتساقطت بعض صوره وملامحه فلماذا إذن لم تهتز قواعد العرش السعودي والمؤسسة الدينية الوهابية؟! كيف يفسر –منطقياً– "سر" هذا الصمود الطويل لهذه التجربة الدينية – السياسية الرجعية والمنغلقة على نفسها حتى وقتنا الحاضر؟ هل هذا يرجع ضعف واستسلام هذا الشعب العريق أم أن هناك عوامل أخرى وما هي؟

قد يقول البعض بأن هذا "الصمود واستمراريته إلى وقتنا الحاضر" 2004م، إنما يعود *إلى قوة أجهزة النظام الأمنية والقمعية، وهذا استنتاج وحيد الجانب متسرع ومبالغ فيه*، فالوهابيون والسعوديون لم يستخدموا الأجهزة القمعية والاستخباراتية إلا مؤخراً في بداية الستينيات وظلت تلك الأجهزة "بدائية" ومحدودة النشاط والفعالية، لا يمكن مقارنتها – إطلاقاً – بحيوية ونشاط أجهزة القمع في البلدان العربية الأخرى وغيرها من البلدان وليس مرد هذا "ديمقراطية" النظام. فالوهابيون والسعوديون هم أبعد القوى السياسية في عالمنا المعاصر عن "الديمقراطية" فالوهابيون يحاربونها فكراً وممارسة باسم "السلفية" لأنهم يظنون أنفسهم بأنهم الفرقة الدينية الوحيدة الناجية من الهلاك والسائرة على "طريق الجنة" فبالأمس القريب كانوا يغزون علناً فرق إسلامية أخرى بعد تكفيرها وها هم اليوم يكفرون علناً "الشيعة" في داخل بلدهم وخارجها. فما بالك بمواقفهم من الديمقراطيين والعلمانيين؟ والسعوديون يحاربون الديمقراطية عبر عقليتهم الاستبدادية المتعطشة للاستحواذ المطلق على السلطة إسوة بجبابرة ملوك الشرق والغرب الغابرين ليكونوا مقدسين أو شبه مقدسين، وإذا كانت أجهزة الأمن ضعيفة ومتخلفة، فإلى ماذا يعود هذا الضعف واستمراريته حتى ما بعد الإنزال العسكري الأمريكي على أرض الجزيرة العربية في شهر أغسطس عام 1990م؟ ثم على أي شيء اعتمد العرش السعودي وحليفه "الفاتيكان الوهابي" للبقاء في إدارة السلطة والمجتمع لأكثر من قرن من الزمن، دون هزات تذكر.

في البدء لا بد من الإشارة السريعة إلى بعض العوامل الموضوعية التي أسهمت بشكل مباشر في الحد من انتشار أجهزة القمع على نطاق واسع ويأتي في مقدمتها.

غياب تام لدور العنصر النسائي في العمل السري داخل أجهزة القمع الوهابي – السعودي كما هو معروف ومنتشر في جميع البلدان العربية والعالمية. حيث يتم استغلال "جسد وجمال وثقافة" المرأة مما يخدم مصلحة هذا النظام أو ذاك سواء كان هذا النظام

نظاماً استبدادياً أو نظاماً ديمقراطياً. فـ"دور المرأة" كمخبر هام وحساس في تلك الأجهزة. أما الوهابيون والسعوديون فقد أشادوا "مجتمع ذكري – سلفي" بعيدا عن أي اعتراف بالجنس الآخر. ناهيك بأن موقف الوهابيين من المرأة الزانية هو الرجم والجلد للمغازل. فكيف يوافقون على بيع جسدها مقابل معلومات تخدم العرش أو "الفاتيكان الوهابي"؟! إنه أمر لا يتخيله العقل الوهابي فما بالك بتطبيقه على أرض الواقع الاجتماعي؟! صحيح إن "للعرش السعودي محاولاته الخاصة في تجنيد بعض النساء في العمل الاستخباراتي في السنين الأخيرة، ولكن يبقى عددهن محدوداً جداً سواء كن مواطنات أو أجنبيات.

قوة العادات والتقاليد العربية والإسلامية في هذا البلد والتي تحتقر علناً "العمل التجسسي" المباشر، حتى ولو عاش المرء طيلة حياته على الكفاف، فالوهابيون أنفسهم يحتقرون العمل التجسسي المنهى عنه شرعاً، وإن كان لهم أساليبهم الخاصة في العمل التجسسي من الناحية الأخلاقية والدينية – كما هو معروف. وأمام هذه الحالة من المقاطعة لمثل تلك الوظائف "الأمنية" لم يجد العرش السعودي في الستينيات والسبعينيات والطامح آنذاك لبناء وتقوية أجهزته الأمنية والاستخباراتية إلا أن يعترف بوجود هذه المعضلة. وكيف التغلب عليها فتفتق عقل النظام بدفع راتبين في الشهر لإغراء المواطنين بالانخراط بالأجهزة القمعية. راتب رسمي مقابل عمله كمخبر وراتب آخر يسمى "فقدان السمعة والشرف الاجتماعي" بالتحاق هذا المخبر أو ذاك في العمل التجسسي السري. وبفعل ضعف أقبال المواطنين على مثل هذه الوظائف الخبيثة، ظلت أجهزة القمع في السعودية ضعيفة ومحدودية التأثير.

ضعف حركة المعارضة السياسية في الشارع العام، طمأن النظام والمؤسسة الدينية، وجعلهما يقتنعان بالمستوى الذي وصلت اليه أجهزتهما الآن. وما أن ترتفع الحرارة الثورية يوماً ما في الشارع العام حتى ترتفع معها نزعة القمع والبطش عند النظام السعودي – الوهابي إسوة بالأنظمة الأخرى، وأخيراً جوهر النظام الطائفي والذي لم يعترف بعد لأبناء الطائفة الشيعية بالمواطنة والتساوي مع الوهابيين – النجديين، حيث لا يحق لهم. حتى الآن العمل في "السلك الدبلوماسي" أو القضائي أو الخدمة في الطيران أو الحرس الوطني، ناهيك عن منعهم من إظهار شعائرهم الدينية، كل هذه الممارسات الطائفية التي ينتهجها النظام منذ أكثر من قرنين من الزمن كرست الحقد والكراهية في نفوس أبناء هذه الطائفة

تجاه العرش السعودي والمؤسسة الدينية من جهة واستحال الحديث عن انتماء أو التحاق أعداد كبيرة أو صغيرة من أبناء هذه الطائفة للعمل داخل الأجهزة الأمنية السرية أو العلنية. وبالمقابل استطاعت "شركة أرامكو" أن تجند بعض العاملين في حقول البترول ولكن يبقى عددهم ضئيل جداً. لذا فالدوريات الأمنية التي تجوب مدن وقرى المنطقة الشرقية خاصة (القطيف، سبهات، سنابس، رأس تنورة، العوامية... إلخ)، هم رجال قادمون من مناطق أخرى محسوبين على الخط السعودي – الوهابي. هذه المقدمة ضرورية لكي يدرك القارىء بأن "القمع" لوحده لا يحل مشكلة ولا يصون النظام على المدى البعيد ولا يفسر لنا بشكل منطقي استمرارية وجود النظام السعودي الرجعي المضاد للعقل والتاريخ. فالسافاك الإيراني عبر وحشيته وشهرته العالمية لم يستطع أن ينقذ النظام الأمبراطوري–البهلوي من السقوط عام 1979م والمخابرات الروسية (ك.ج.ب) بأخطبوطها العالمي الواسع لم تسعف أو تمنع النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي – سابقاً – من السقوط من فوق. هذا إذا لم تكن مساهمتها الفعلية في عملية السقوط هذه. لا يفهم من هذا بأننا نقلل أو نسقط من حسابنا دور "القمع" الجسدي والفكري الذين يمارسهما النظام بحق الشعب في الجزيرة العربية، إلا أن هذا لوحده لا يفسر "سر" صمود واستمرارية التجربة الوهابية – السعودية إلى وقتنا الحاضر.

إذاً بماذا اعتمد الوهابيون والسعوديون؟!

عرف الوهابيون والسعوديون، كيف يصيدون الإنسان والمجتمع ويأسرون الزمن لفترات طويلة. عرفوا كيف يخلقون مجتمعاً وهمياً – مزيفاً تسوده قيم وأخلاق مزيفة مضللة للمواطن عشرات السنين. ولكنه مجتمعاً منسجماً ومتمشياً مع مصالحهم ورغباتهم وتطلعاتهم مجتمعاً تسوده العديد من الصفات والخصائص –الشاذة– والتي لم يشهد مثلها أي مجتمع إنساني لا في القديم ولا الحديث. وعلى ضوء كشفنا وشرحنا لهذه الصفات، يظهر جلياً "السر" الحقيقي في إطالة عمر سلطة الأمير وعمر سلطة رجل الدين داخل المجتمع من جهة وعن حجم التشويهات التي لحقت بشخصية ابن الجزيرة العربية –كما سنرى– من جهة ثانية.



الفصل الأول

خصائص وصفات المجتمع الوهابي-السعودي



"يحكى أن الفيلسوف اليوناني "ديوجين" كان يمشي في وضح النهار وفي يده مصباح منار. فإذا سئل عن ذلك: أجاب: أفتش عن إنسان"[1] ديوجين ابن الحضارة الإغريقية العريقة، يبحث عن إنسان عاقل، ليتحدث معه عما أصاب المجتمع اليوناني من حالات إنهيار وتراجع في العطاء المعرفي على المستويات الفكرية والفلسفية والفنية، بفعل الصراعات الإجتماعية الحادة التي نشبت ضمن وسطه ومن ثم الفوارق الطبقية المخيفة التي عرفها المجتمع اليوناني آنذاك والتي كان يحاربها بشدة ديوجين.

ترى كم مصباح من مصابيح "ديوجين" يحتاج إليه المجتمع الوهابي - السعودي اليوم، لمعرفة عمق روح الظلامية فيه، مائة مصباح او ألف مصباح؟! واذا افترضنا بان هناك "مثقفا جزيريا خرج على طريقه "ديوجين" سواء في مدينة الرياض او مدن وقرى القصيم، فكم هي المسافة التي سيقطعها هذا "المثقف الإنتحاري، خمسين مترا او مائة مترا؟! وستنهال عليه اللعنات واللكمات ضربا ورفساً وبصقا من قبل "المطاوعة" ورجال الدين وطلبة جامعة"محمد بن سعود" دون حتى ان يسألوه عن السبب وعن فلسفته بالحياة، فحمل الفانوس اثناء النهار وفي الشارع الوهابي، هو بحد ذاته "بدعة" وكل بدعة ضلالة... فما بالك اذا كان وراء حمل الفانوس فلسفة نقدية للمجتمع؟ قادة المجتمع يرتعدون خوفا ورعبا من حمل اي فانوس، أليس جديرا بمعرفة ما وصل اليه هذا المجتمع من تيه. خصائص وصفات وشذوذ غريبة ومتخلفة وخطرة جدا على حاضر ومستقبل هذا البلد، بل المنطقة ككل، تحت ظل التجربة الوهابية السعودية الطويلة من 1926 م الى اليوم 2004 م.

ولكي لا نتقول على خصومنا السياسيين، دون علم ودراية ولا نطلق عليهم الاحكام جزافا، نستعرض هنا بعض الخصائص والصفات التي يتصف بها المجتمع الوهابي السعودي، منذ بداية تكوينه الى وقتنا الحاضر 2004م، حيث أُبعد المواطن عن أية اسهامات فعلية في اي نهضة حضارية لا في الامس ولا اليوم وألحق الضرر الكبير في

---

1 ديوجين الكلبي 404 – 322 قبل الميلاد، مؤسس المدرسة الكلبية في الفلسفة، هاجم الفوارق الطبقية وظلم الحكام ودعا إلى نبذ الحروب وإلى الزهد في الحياة، وكان جريئاً في مواجهة الحكام. كان جالساً ذات مرة يتمتع بدفء الشمس وفجأة وقف على رأسه الإسكندر المقدوني – قبل أن يقوم الأخير بغزو العالم القديم كما هو معروف – فسأله أن يطلب منه ما يشاء فأجابه "ديوجين" ببرود: "لا أريد إلا أن تبعد عن شمسي". فذهل الإسكندر من هذا الجواب القاطع والتفت إلى قواده وقال: لو لم أكن الإسكندر لوددت أني كنت "ديوجين". عن الموسوعة الفلسفية.

شخصية وسمعة إبن الجزيرة العربية كما سنرى لنبرهن في النهاية بأن افضل وأثمن مصباح نحتاج إليه لتصحيح الاوضاع الشاذة وأنقاذ ما امكن إنقاذه هو "المصباح الديمقراطي، المنسجم مع خصائص ومميزات مجتمع الجزيرة وسمات عصره، دون الخضوع لهيمنة القوى الخارجية ،ديمقراطية قادرة فعلاً على إبطال كل السمات السلبية التي الصقت بالمجتمع وبالمواطن رغما عنه والخروج بالمجتمع من النفق الوهابي- السعودي المظلم والطويل. ولا نبتعد عن الحقيقة اذا ما أشرنا الى أن القارئ والمواطن قبل غيره، سيندهش من كثرة وغرابه تلك الوصفات التي تكرس بمجموعها كل ابعاد الإنصياع الحيواني في نفسية المواطن، ولا غرابه في ذلك فهو كان يستنشق، تلك الوصفات، مع الهواء منذ الصغر، حتى أصبحت، للأسف الشديد، شيئا مألوفا. فبقدر ما كنا سابقا نجهل "ثنائية السلطة، في هذا البلد بقدر ما كنا نجهل أيضاً، الخصائص الغريبة المكونة لماهية مجتمع الثنائية داخل "المملكة الوهابية"، وإليكم أهم الخصائص والصفات المزمنة والمدمرة للإنسان والمجتمع.

1- مجتمع الفتوى

وصف المجتمع الوهابي- السعودي، بأنه مجتمع الفتوى، بمعنى الكلمة، ليس من قبيل الصدفة، بل عبر رحلة مأساوية في قلب الفاتكان الوهابي والمجتمع، حيث يظهر، ان كل شيء هناك لا يتم دخوله الى البلد ولا يتم قبوله من قبل الطرف الرسمي والديني الا عبر "فتوى" دينية تزكيه وتطهره، ليعبر بعدها "البوابة الوهابية" بآمان، وليأخذ طريقه داخل المجتمع. وبالمقابل كل شيء غريب او جديد وغير مألوف لدى الوهابيين، لا بد من ان ينتظر بدوره "فتوى وهابية"، "لتحرره" حتى يأخذ طريقه الى أرض "المملكة" والمواطن في هذه الحالة، يسمع عشرات الفتاوى أسبوعيا يصدرها مجموعة من الفقهاء الوهابيين. ويحددون فيها رأيهم في جميع نواحي الحياة الإجتماعية والثقافية والجنسية والإقتصادية، ناهيك عن المسائل الدينية والفقهية، فتوى في المآكل، فتوى في الملبس، في حركة المرأة في المجتمع، في التأمين على الحياة او الاموال، في الموسيقى، الفن، الحب، العطور!! وحركة العطور، الذهب، لعب الأطفال، قتل الحشرات، تحديد العلاقات الإجتماعية بشكلها السلبي المطلق بين: المسلم و المسيحي، الوهابي،الشيعي ......الخ.

الكل يسير على ايقاع "الفتوى الدينية" بهذا القدر او ذاك، فالفتاوى هنا هي الغلاف الديني السميك، ليس لتبرير سلوك "الامراء" فحسب بل لتبرير كل المحرمات الدينية القائمة او المستندة الى "اللاءات الوهابية" القاتلة لسير التطور والتمدن باسم الدين. وبهذا يكون مفهوم ودور الفتوى الدينية في المجتمع الوهابي- السعودي، تختلف تماما عما عرف عن دورها في الحضارة العربية الإسلامية، فهي لا تقف عند حدود استنباط الأحكام الشرعية في قضايا وتفاصيل الحلال والحرام، كما هو معروف عنها فقهيا. بل هي تشكل أكسير الحياة "للفاتيكان الوهابي" والفتوى، هي ميزان الحرارة الذي يقيس به رجال الدين الوهابيين درجة الحرارة اليومية داخل الشارع والمسجد، والاسواق والمؤسسات الرسمية، لمعرفة مدى قوة تجاوب الرعية "الشعب" مع هذه الفتاوى من جهة ولشدهم الى مواقع "الفاتيكان الوهابي" وعدم الإبتعاد عنه من جهة ثانية. ولاهمية الفتوى في داخل المجتمع الوهابي- السعودي، يمطر كبار رجال الدين الوهابيين، المجتمع باكثر من "ألف فتوى" سنويا. ولو طرح سؤال بسيط على اي مواطن في كل من: العراق مصر،

المغرب، سوريا، الأردن...الخ، عن عدد الفتاوي التي صدرت وسمع بها في بلده طيلة حياته؟ لأجاب بكل ثقة وهدوء: لا يتعدى أصابع اليد، اي ما يعادل فتاوى يوم في "السعودية" وقد يحتج احد القراء مفسرا: ان المجتمعات العربية وبعض الدول الاسلامية كـ "باكستان، بنغلادش واندونيسيا" مجتمعات علمانية او نصف علمانية ولا يمكن مقارنتها بالوضع في "السعودية" حيث النظام يستمد كل قوانينه الاساسية من مصدر واحد الا وهو الشرع الإسلامي، وردنا على هذا المتسائل واضح وسريع وذلك يطرح سؤال هام: هل المجتمع الراشدي والاموي، والعباسي...الخ. هو مجتمعاً علمانياً او نصف علماني؟ ولو قمنا باحصاء عدد الفتاوى التي صدرت بحق الانسان والمجتمع في "المملكة الوهابية- السعودية" خلال الفترة الممتدة ما بين عام 1971م الى 1998م. لظهر امامنا رقما خياليا بل فلكيا اكثر من "ثلاثين الف فتوى، الزمت الطرفين الشعبي والرسمي على التقيد في غالبيتها العظمى، سواء فترة قصيرة او لقرن من الزمن، كما سنرى، وهو رقم يفوق، العديد من المرات، جميع الفتاوى التي عرفها تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، من الدولة الراشدية الى سقوط بغداد على يد هولاكو عام 1258م، 656هـ. لو كان المجتمع العربي الإسلامي، آنذاك، مجتمع فتوى على نمط الوهابي، لما كان هناك "حضارة" أساساً ولاختفت تلك الكنوز الثمنية، في العلوم والفكر والفلسفة الخ، التي ابدعها الأجداد.

وحينما نؤكد هنا على "فتوى رسمية" نهدف الى التنبيه والتمييز الواضح بين الفتوى الدينية التي يصدرها عالم او فقيه ديني سواء قابع في مترله بالشام او البصرة او الكوفه، القيروان، القاهرة، أشبيليه، النجف...الخ. وبين فتوى رسمية تجبر الرعية على الالتزام والتقيد بها دون اعتراض او جدل، ففي الحالة الاولى يوجد آلاف من العلماء المسلمين الذين اجتهدوا بشكل ذاتي ونشروا آرائهم وفتاويهم الدينية للجمهور المسلم ولكن ظلت محدودة الاثر والتأثير على الواقع الاجتماعي فاستقر الغالبية العظمى منها في زوايا المكتبات الخاصة او العامة، فالفتوى في غالبية رأي اولئك العلماء هي: اخبار بحكم شرعي وليس إلزاما بالقوة كما هي الحالة في "الفتاوى الوهابية". فما ان ينطق بها رجل الدين الوهابي، حتى تتحول الى قوة مادية تترجم بسرعة على الواقع الاجتماعي، عبر سيف السلطة وسوط المطوع وحركته الدائمة داخل المجتمع السعودي الوهابي. والفاتيكان الوهابي مدين بقوته وشموخه وكبريائه. لهذا السيل الهائل من الفتاوى التي تشل من حركة التطور الطبيعي داخل المجتمع ولتسهم في لجم عقل ولسان المواطن وتطارده في كل مكان عبر:

الراديو، التلفاز، الصحف والمجلات، المسجد، العمل، الجامعة...الخ. وللإكثار من الفتاوى التي يصدرها العلماء الكبار خصص "الفاتيكان الوهابي" عدة جهات رسمية لها الحق باصدار الفتاوى:

2- **المفتي الأكبر "حبر الأمة"** له حصة الأسد من "الفتاوى اليومية او الاسبوعية الصادرة في الصحف والمجلات والفتاوى التي تصدر عن هذا "العالم الديني" ملزمة للجميع، داخل المؤسسة او خارجها. وقد أصدر المفتي الاكبر لديار السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز، أكثر من "عشرة آلاف فتوى. سواء كان منفردا او مع مجموعة من العلماء.

3- **اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:** وهي الجهة الرسمية الاكثر نشاطا في هذا المجال والمخولة أكثر من غيرها في اصدار الفتاوى والرد على اسئلة المواطنين سواء الدينية والفقهية او ما يتعلق في الامور الحياتية. وتتكون من خمسة اعضاء:

الشيخ عبد العزيز بن باز[1]	رئيسا
الشيخ عبد الرزاق عفيفي	نائب الرئيس توفي عام 1995م
الشيخ عبد الله بن غدبان	عضوا
الشيخ عبد الله بن منيع	عضوا
الشيخ عبد الله بن قعود	عضوا

وحتى الآن اصدرت هذه "اللجنة الدائمة، اكثر من "عشرين الف فتوى" اما عن اعضائها الحاليين فهم:

الشيخ عبد العزيز بن باز	رئيسا
الشيخ عبد العزيز آل الشيخ	نائب الرئيس
الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد	عضوا وهو أكفأهم ثقافة وأكثرهم اعتدالا

[1] توفي الشيخ عبد العزيز بن باز عام 2000م.

الشيخ الدكتور صالح الفوزان	عضوا كثير الفتاوى لدرجة الثرثرة
الشيخ عبد الله بن جيرين	عضوا كثير الفتاوى لدرجة الثرثرة، أصدر فتوى بقتل "الكلب الاسود لانه الشياطين" كما أصدر بتكفير الشيعة وعدم مخالطتهم".

4- **هيئة كبار العلماء:** وهي اعلى هيئة دينية داخل "الفاتيكان الوهابي" عدد أعضائها يتراوح ما بين 16 الى عشرين عالما، يرأسها المفتي الاكبر "الشيخ عبد العزيز بن باز" منذ الثمانينات، تجتمع مرتين في السنة في مدينة "الطائف" ولمدة 15 يوما لمناقشة العديد من الامور الفقهية بشكل خاص ولا تصدر الفتاوى الا في حالات نادرة، امام حدث سياسي خطير حسب المفهوم الوهابي، مثال: ما حكم الشرع في ما يسمى "الفيزا"؟ .

الجواب من الشيخ صالح الفوزان" بطاقة فيزا تحت الدراسة لدى "هيئة كبار العلماء وسيعلن ما يتوصلون اليه ان شاء الله"[1].

5- **مجلس القضاء الأعلى:** نادرا ما يصدر عن اعضائه البالغ عددهم "خمسة" فتاوى الا في المناسبات الدينية، كحلول شهر رمضان، وفي القضايا السياسية الداخلية حيث أصدروا فتوى بتكفير "جهيمان العتيي".

فتاوى لكبار العلماء: تذكر الصحف والمجلات المحلية والاسبوعية او الشهرية، سلسلة من الفتاوى التي يصدرها بعض كبار رجال الدين في هذه المسألة او تلك قبل ان يلتحقوا في لجنة الافتاء او لجنة كبار العلماء ليبرهنوا على مقدرتهم الفقهية والدينية في المسائل والمشاكل المعروضة عليهم من قبل المواطنين. مثال: الشيخ محمد بن عثيمين الذي صدرت له عدة مجلدات من الفتاوى قبل ان يلتحق بهيئة كبار العلماء عام 1989م.

---

[1] مجلة الدعوة، العدد 1617 بتاريخ 9 اكتوبر 1997م.

فتاوى تصدرها كوادر دينية متقدمة داخل الجامعات في "المملكة، أمثال: الدكتور صالح السدلان، والدكتور صالح اللحيدان والدكتور الأطرام...الخ.

فتاوى موجهة لحل مشاكل الشباب والشابات "المراهقين"، تنفرد بنشرها جريدة الشرق الأوسط، ومجلة الدعوة: امثال الشيخ "فرج" وغيره. واذا استمر الوهابيون على هذه الوتيرة في اصدار الفتاوى فان الرقم سيصل الى "مائة الف فتوى" بعد بضع سنوات. ودونكم نماذج من الفتاوى الوهابية إخترنا بعضها حسب التسلسل العديدي.

الفتوى رقم "41": س: أفتونا عن الملائكة الموكلين بالإنسان لاحصاء أعماله في مدة الحياة وهما "رقيب" و"عتيد" عندما يموت الانسان هل يموت الملكان الموكلان به او ما مصيرهما بعد وفاة الإنسان؟

الجواب: أحوال الملائكة وشؤونهم من الغيبيات ولا نعرف الا من قبل السمع و لم يرد نص في موت كتبة الحسنات والسيئات عند موت من تولوا كتابة حسناته وسيئاته ولا نص ببقاء حياتهم ولا عن مصيرهم وذلك الى الله وليس ما سئل عنه مما كلفنا إعتقاده ولا يتعلق به عمل. فالسؤال عن ذلك دخول فيما لا يعني لذا ننصح السائل ان لا يدخل فيما لا يعنيه ويبذل جهده في السؤال عما يعود عليه وعلى المسلمين بالنفع في دينهم ودنياهم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: عبد الله بن منيع، عضو. عبد الله بن غديان، عضو. عبد الرزاق عفيفي نائب الرئيس عبد العزيز بن باز، الرئيس.

الفتوى رقم "1727": س: يقول رجل لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا يقوم بالاركان الاربعة: الصلاة والزكاة والصيام.والحج هل يستحق هذا الرجل شفاعة النبي محمد ﷺ يوم القيامة بحيث لا يدخل النار ولو لوقت محدود؟

الجواب: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وترك الصلاة والزكاة والحج والصيام جاحد لوجوب هذه الاركان الاربعة او لواحد منها بعد البلاغ فهو مرتد عن الاسلام، يستتاب فان تاب قبلت توبته وكان أهلا للشفاعة يوم القيامة، ان مات على الايمان وان أصر على انكاره قتله ولي الامر لكفره وردته ولا حظ له في شفاعة النبي. ولا غيره يوم القيامة وان ترك الصلاة وحدها كسلا وفتورا، فهو كافر كفرا يخرج به من ملة الاسلام.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء: عبد الله بن منيع،
عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي، عبد العزيز بن باز الرئيس.

الفتوى رقم "3262": س: طلبوا مني ان اذهب معهم الى الكنيسة فرفضت حتى أسأل عن حكم هذا. فهل يجوز الذهاب معهم لاثبت سماحة الدين الاسلامي وانه دين اجتماعي علما بانه يستحيل ان اعتنق المسيحية بإذن الله تعالى.

الجواب: اذا كان ذهابك معهم الى الكنيسة لمجرد اظهار التسامح والتساهل فلا يجوز وان كان ذلك تمهيدا لدعوقمم الى الاسلام وكنت لا تشاركهم في اعيادهم ولا تخشى التأثر بعقائدهم فذلك جائز.

الفتوى رقم "5124": س: هل يجوز للمسلم الحضور الى حفلة ترميد الموتى البوذيين اذا دعي اليها؟

الجواب: لا يجوز للمسلم ان يحضر حفلة ترميد موتى البوذيين سواء دعي اليها ام لم يدع اليها لما في ذلك من مشاركتهم في شعارهم المنكر وإدخال السرور عليهم والرضا بصنيعهم.

اللجنة الدائمة للبحوث الدينية والافتاء.

الفتوى رقم "5609": سؤال: ما حكم تذنيب الخطابات "العرائض" بكلمة " ودمتم"؟

الجواب من اللجنة الدائمة...: يكره ذلك لان الدوام لله سبحانه والمخلوق لا يدوم.

الفتوى رقم "6541": سؤال: هل تجوز زيارة الاقارب الذين يحبون الكفار؟

الجواب من اللجنة الدائمة: إذا كان من يزورهم ينصحهم ويرشدهم الى ترك ما هم عليه من محبة الكفار وشرح لهم معنى الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين ليعرفوا ما يجب عليهم في ذلك وما يحرم فيرجى تمسكهم بدينهم وتركهم ما هو عليه من المنكر جاز له زيارتهم واذا كان لا يقوم بذلك في زيارته لهم فلا يجوز له زيارتهم.

الفتوى رقم "7712"س: وصلني سؤال من احد العاملين في قسم البطاقات الشخصية مفاده، ان من يدخل الاسلام حديثا يلزمه تغيير اسمه وخصوصا اذا كان مخالفا للإسلام. ويحدث ان يرتد بعضهم ويلزم بعد ذلك اعادة اسمائهم الاولى يوم كانوا كفارا لأنه يترتب على ذلك احكام كثيرة منها الإسلامية ومنها ما تفرضه ملل الكفر كالميراث

والزواج والاحوال الشخصية وحيث ان طالب الفتوى يعمل في قسم الاحوال المدنية شعبة البطاقات، فهل عليه اثم اذا قام بتغيير تلك الاسماء وهل يعتبر عمله هذا تأييدا لهم على ردهم كما وانه يحدث انه ينفذ اوامر رؤسائه بذلك فما الحكم في الجميع؟

الجواب: اذا علمت ان طالب التغير متنقلا من الاسلام الى الكفر، فليس لك ان تساعده في ذلك في اي نوع من انواع المساعدة ولو امرك رئيسك بذلك لقول الله عز وجل: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان".

الفتوى رقم "7717":س: هل يجوز ان أقول للضابط في الشرطة او القوات المسلحة. حاضر يا سيدي؟

الجواب: يجوز ان تقول حاضر ولا يجوز ان تقول له : يا سيدي لقول النبي ﷺ لما قال له بعض الصحابة: انت سيدنا، قال: السيد الله تبارك وتعالى،

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الفتوى رقم "8071":س: لدينا إمرأة تسمى "بالغائبة" فاذا كان سبب تسميتها بهذا الاسم ادعاؤها علم الغيب فما الحكم؟

الجواب: إدعاء علم الغيب كفر قال تعالى: قل لا يعلم من في السموات والارض –الغيب– الاّ الله. وينبغي ان تغير اسمها باسم طيب كفاطمة وعائشة ونحو ذلك حتى يزول عنها تلقيبها بانها تعلم الغيب وعليها مع ذلك التوبة الى الله توبة نصوحا من دعوها علم الغيب او تعاطيها ما حرم الله عليها من الكهانة والتنجيم وغير ذلك مما ينتحله من يدعون علم الغيب فان لم تتب وجب رفعها الى ولي الامر بالبلد الذي هي فيه لمعاقبتها بما تستحق وتحذير الناس من عملها وتصديقها".

الفتوى رقم "8691": سؤال: ما كيفية التعامل مع النصراني المجاور في السكن او المدرسة وهل ازوره واهنئه في اعيادهم؟

الجواب: يجوز التعامل مع النصراني المجاور بالاحسان اليه ومساعدته في الامور المباحة والبر به وزيارته لدعوته الى الله العلي عسى الله ان يهديه للاسلام. اما حضور اعيادهم وتهنئتهم بها فلا يجوز وذلك لقول الله: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا

على الإثم والعدوان". لأن حضور أعيادهم والتهنئة نوع من الموالاة المحرمة وهكذا إتخاذهم اصدقاء.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء. عبد الله بن غديان، عضو. عبد الله بن قعود، عضوا. عبد الرزاق عفيفي نائب الرئيس. عبد العزيز بن باز الرئيس.

الفتوى رقم "12592": س: تقول والدتي انها في وقت الجاهلية! قبل انتشار العلم، انها وضعت عل لحيها الاسفل خرطة ليس وشمة كاملة ولكنها وضعتها في جهل ما تدري هل هي حرام ام حلال واليوم سمعنا ان التوشحة ملعونة افيدونا جزاكم الله خيرا؟

الجواب: يحرم الوشم في جميع البدن سواء كان وشما كاملا ام غير كامل والواجب على والدتك ازالة تلك الوشمة ان لم يحصل ضرر مع التوبة والاستغفار مما حصل منها في سالف الدهر.

الفتوى رقم "13437" : س" شابة في بداية عمرها لها حواجب كثيفة جدا تكاد تكون سيئة المنظر، فاضطرت هذه الفتاة الى حلق بعض الاماكن التي تفصل بين الحاجبين وتخفيف الباقي حتى يكون المنظر مقبولا لزوجها. فارادا ان يحتكما الى من عنده دراية بمثل هذه الامور الشرعية التي تشكل على كثير من الناس. فهل تستمر الفتاة في ما هي عليه ام لا؟

الجواب: لا يجوز حلق الحواجب ولا تخفيفها لان ذلك هو الخص الذي لعن النبي محمد ﷺ من فعلته اذا فعله فالواجب عليك التوبه والاستغفار مما مضى وأن تحذري ذلك في المستقبل.

الفتوى رقم "19616": س: ماذا يقول او يفعل المسلم اذا كثر وسواس الشيطان له وكاد ان يشرك بالله عز وجل؟

الجواب: يدفع الوسواس عن نفسه بقدر الطاقة وذلك يشغل نفسه بتدبر القرآن وتذكر عظمة الله ونحو ذلك ويشرع له ان يقول ما جاء في الاحاديث الصحيحة: امنت بالله ورسله. ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

اللجنة الدائمة:عبد العزيز بن باز الرئيس-عبد الرزاق عفيفي نائب الرئيس-عبد الله بن منيع عضو- عبد الله بن غديان عضو

واذا استمر الوهابيون على هذه الوتيرة في اصدار الفتاوى فان الرقم سيصل الى "مائة الف فتوى" بعد بضع سنوات. ترى هل نسوا الحديث النبوي الذي حذر وتوعد المفتي بالنار: أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار، لأن خطرها عظيم ونتائج الاخطار فيها مصيبة وقد تتعرض الفتوى لهدم الاسر وتخريب البيوت"[1] بل والشعوب كما هو حال شعب الجزيرة العربية في "المملكة السعودية-الوهابية".

ماذا نستنتج من هذا "السيل العرمرم" من الفتاوى الوهابية؟

أ- البرهنة عمليا بان رجال الدين الوهابيين، ليسوا ضيقي افق ويخافون من نور الحضارة الانسانية فحسب، بل هم قوة اجتماعية دينية حشرية، بمعنى الكلمة تقحم نفسها في كل مسألة صغيرة او كبيرة من حياة المواطنين الشخصية.

ب- يدل على القلق الكبير الذي يعاني منه كبار العلماء من ابتعاد الجمهور عن الخط الوهابي، فكرا وممارسة، فيلاحقونه ليلا نهارا عبر هذه الفتاوى لعودة الجمهور الى حظيرة "الفاتيكان الوهابي" من جديد

ت- وجود اكثر من جهة رسمية مخولة بإصدار الفتاوي يعني وجود التنافس الحقيقي والقوي بين كبار العلماء الوهابيين، على من يستطيع عبر "اسهاله" اي عبر كثرة "الفتاوى" جذب اكبر عدد من الجمهور الوهابي حوله ليكن النجم الديني الاجتماعي اللامع، ليتسلق بسرعة، المراكزالعليا داخل "الفاتيكان الوهابي" من جهة وليجذب عيون "كبار الامراء السعوديين، على قدرته في ترويض الجمهور لولي الامر : من جهة ثانية.

[1] الدكتور عبد الرحمن البكر، "السلطة القضائية" مكتبة الزهراء، القاهرة، 1988م.

2- مجتمع اللاءات

أقدم صفة يتصف بها المجتمع الوهابي السعودي، هي بأنه مجتمع لاءاتي، رفضي، أمام أي شيء جديد من الخارج او يلد في داخل البلد، مجتمع تتحكم فيه كتلة ضخمة من التحريمات واللاءات الوهابية التي أُعطيت صيغة دينية لتشل قدرة المواطن على الابداع والتفكير السليم وضربت حوله سياجا سميكا يحول بينه وبين المعرفة العملية وما يدور، في الخارج، من تطورات حضارية انسانية. فكلمة **لا** هنا ليست فردية ولا عفوية ولا هي نابعة من خوف او ردة فعل مباشرة من اكتشاف علمي اقتحم المجتمع الوهابي المغلق فجأة ولا هي "لاءات" فئة اجتماعية مهشمة ومحدودة العدد والقوة والتأثير على الواقع، بل هي لاءات رسمية وشعبية، دينية وسياسية، تنطلق من ارضية مؤسسة دينية قوية واسعة الانتشار والتأثير وتناصف العرش في ادارة المجتمع والقرار السياسي. وما يتفوه بها كبار العلماء الوهابيين، أو صغارهم حتى تترجم بسرعة على الواقع العملي. فـــ "اللاءات" الوهابية، تنطلق من قناعة راسخة وتعني الرفض او المنع الرسمي القاطع لهذا الشيء الجديد، اي الجديد، القادم توا من الخارج وغير المألوف او المعروف مسبقا داخل المجتمع النجدي الذي يعيش في منفاه الصحراوي، آنذاك، فيضع رجال الدين "الفيتو الوهابي" باسم "بدعة" وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ثم يتبعون موقفهم هذا باصدار "فتوى" وعقاب ديني فوري صارم، لكل مخالف. واذا قمنا باحصاء عدد "اللاءات" التي نطق بها الوهابيون، منذ بداية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى يومنا هذا، فان عددها يفوق بكثير عدد اسماء الله الحسنى، كما سنرى، فألحقوا بـــ "لاءاتهم" هذه العطب الفعلي في مسار وبناء مجتمع مدني متطور في الجزيرة العربية اسوة بالمجتمعات الاخرى، على الرغم من مرور اكثر من فرصة تاريخية ذهبية، مرت امامهم، تساعدهم فعلا على النهوض الحضاري المبكر والمنسجم مع حركة التاريخ آنذاك، لو، احسنوا او عرفوا استغلالها ولكن مثل هذا لم يحصل، فقد قتلتهم سلفيتهم وتعصبهم الشديدان، قتلتهم "لاءاتهم" فاضاعو عدة فرص تاريخية لا يمكن ان تتكرر. ولا نبالغ اطلاقا عندما نقول، كان الوهابيون اولى من غيرهم من البلدان العربية والاسلامية في وضع وتنفيذ مشروع حضاري وحدوي، آنذاك لكونهم القوة الفعلية الوحيدة والمستقلة على الساحة العربية او المعترف بها ما بين

عام 1792م الى 1818م، القوة التي استطاعت فعلا توحيد أجزاء الجزيرة العربية الطبيعية ما بين عام 1800- 1804م، لتصبح القوة العسكرية العربية الوحيدة التي كانت تصارع "الدولة العثمانية" وتقوم أيضاً بالغارات العنيفة على "الولايات العربية" الخاضعة للحكم العثماني انذاك. ويكفي الاشارة على قوة وصدى اسم الوهابيين في العالم ان نابليون الاول في لحظة تتويجه امبراطورا على فرنسا عام 1802، كان يحلم في بناء علاقة وطيدة مع سلطان مسقط ومع الامام غالب، شريف مكه، واستثمار تلك العلاقة ضمن استراتيجيته العسكرية لضرب المصالح الانجليزية في الهند. فبادر بارسال بعض الرسائل لهما لتقوية علاقته بهما. وفجأة سمع بسقوط سلطان مسقط والامام غالب في آن واحد، فتساءل نابليون: عن القوة التي قامت بهذا العمل؟ فقيل له: انها قوة قادمة من الصحراء "الوهابيون"[1].

وكتب قنصل فرنسا في مدينة "حلب وعين نابليون" على تحركات الوهابيين ومشاريعهم سلسلة من المقالات في الصحف الفرنسية عام 1804م قائلا: اسم الوهابيين أصبح معروفا بما فيه الكفاية في أوروبا وان هؤلاء العرب يظهر انهم سيلعبون دورا كبيرا في التاريخ[2].

لقد اخطأ "كورنسيه ونابليون" وغيرهما حينما نظرا للوهابيين من منظار حركة التاريخ الاوروبي الصاعد، أنذاك، حيث اعتقدوا بانهم "قوة تقدمية" وستلعب دورا هاما في تحريك تاريخ المنطقة للافضل ولكن سرعان ما تكشفت الامور "لنابليون الاول" وغيره، بان الوهابيين قوة ناهبة وغازية ومتعصبة دينيا ومضادة لحركة التاريخ فحطموا الاسطول العماني المتطور، أنذاك، والمسيطر على المحيط الهندي والمزود بمائة قطعة مدفع، وبدلا من الاستفادة منه والتعاون المثمر مع العمانيين اصحاب الخبرة والتجربة العريقة في هذا الميدان، اداروا ظهرهم للبحر وللعمانيين بعد ان احرقوا غالبية السفن الراسية في ميناء مسقط. ثم واصلوا نهبهم للمدن العراقية السورية، اليمنية. ولا نجافي الحقيقية اذا قلنا انه لو خفف الوهابيون من بعض "لاءاتهم" الحادة وتشددهم الديني على التجار وحصل نوع من التعاون بينهم وبين تجار نجد والحجاز بشكل خاص لسار تاريخ الجزيرة العربية مسارا اخر. خاصة

---

[1] Corancy. O.E., (Histoire des Wahabis) Paris, 1810.

[2] Corancy. O.E., (Histoire des Wahabis) Paris, 1810

اذا علم القارئ بان فئة نشطة من تجار نجد، اخذت تتاجر مع العراق، الهند، سوريا، ايران...الخ. وعلى رأسهم واشهرهم ثروة وحيوية يطلق عليه" ملك اللؤلؤ، الا وهو "ابن زرق العتيبي" الذي عانى كثيراً من قيود وتشدد الوهابيين ومراقبتهم لسلوك "التجار" فهرب الى العراق "البصرة" واخذ ينشط في التجارة على ساحل الخليج العربي، والهند، بعد ان بنى "ميناء الزبارة" في قطر[1] وبنى قصره المنيف في ميناء "أم قصر" على الحدود الكويتية العراقية.

واخذ في نفس الوقت يحرض والي بغداد "كيخا علي الرتكي" على محاربة الوهابيين. ولما اعتذر الوالي بسبب قلة المال والعتاد قال له ابن رزق: سامدك بعشرة الاف بعير محمل[2] ونفذ قوله فعلا عام 1797م. ولكن حملة والي بغداد على الوهابيين عام 1798م فشلت لاسباب لسنا بصددها هنا[3] ترى كم كان يملك هذا الرجل الطموح؟ ولماذا لم يستفد الوهابيون من ثروته وخبراته؟ واخيرا لا نبعد أيضاً، عن الحقيقة اذا قلنا "مات نابليون بونابرت" في قلبه شيء من الوهابية. حينما رفض الوهابيون التعاون معه لضرب المصالح البريطانية في الهند عام 1811م وعاد مبعوثه من "الدرعية" عاصمة الوهابيين، فاشلا في مباحثاته، فوجد "نابليون" ضالته في والي مصر الجديد "محمد علي باشا" فحثه على محاربة الوهابيين ومده "بثمانين مدفعا" وبعض الضباط الفرنسيين عام 1813م. كما رفض الوهابيون بالمقابل الانفتاح على الغرب للاستفادة من نهضة العلوم، انذاك، بحجة "علوم كافره" واليكم عينة من اللاءات الوهابية المزمنة والتي لم تتوقف منذ ما قبل "الثورة الفرنسية" الى يومنا هذا.

لا للإنفتاح الحضاري: وبناء علاقات خارجية متكافئة مع دول الغرب، أنذاك، فمخالب الرأسمالية لم تصل بعد الى هذه المنطقة، فقد كانوا اسياد منطقة الجزيرة العربية، دون منازع منذ عام 1800 م. كما كرروا رفضهم للانفتاح على العالم الخارجي ابان الدولة الوهابية السعودية الثانية خاصة في عهد الامام الوهابي، القوي فيصل بن تركي،

---

[1] عثمان بن سند. مطالع السعود " القاهرة" الطبعة 1951 ص72

[2] عثمان بن سند. المصدر السابق

[3] أهم عامل على فشل "الحملة" هو مقتل قائدها "راشد السعدون" على أيد "فدائي – وهابي" أرسل من الدرعية، فتفرق البدو وساهم بعضهم بنهب المعسكر.

الذي حكم من 1824- 1867م والنتيجة اليوم نحن آسرى للعلاقات الخارجية وخاصة الأميركية.

لا لعلوم الغرب "الكافرة": عندما أخذت القوات المصرية بقيادة "ابراهيم باشا" تضرب وتدك جدران عاصمة الوهابين "الدرعية" صاح بعض الوهابيين باندهاش شديد: يا إلهي ما هذا السلاح الذي يثور مرتين مرة في بطنه ومرة فينا"[1].

نعم هذه بعض فوائد العلوم التي احتقرها الوهابيون ورفضوا تعلمها وامتلاكها ناهيك عن تطويرها، والمأساة انهم في حالة حرب دائمة مع اعدائهم، فهم، والحال هذه، اولى من غيرهم لامتلاك مثل هذا السلاح "المدفعي" الفعال، خاصة وانهم يملكون جيشا يصل أحياناً الى اكثر من خمسين الف بدوي، كما ذكر عين نابليون في بغداد عام 1806م "السيد جون ريمو"[2] وكذلك يملكون المال والامن والاستقرار ومع ذلك لم يستغلوا ذلك الظرف التاريخي الملائم لانه تنقصهم العقلية المرنة والمنفتحة، فوقفت "لاءاتهم" سدا منيعا امام العلوم ناهيك عن امتلاكها. وجاء بعدهم بسنين طويلة الامبراطور الياباني "ماجي عام 1860م فأخذ يرسل الشباب الياباني للتعلم بالغرب مع الحفاظ على جوهر العادات والتقاليد اليابانية العريقة.

لا لشرب القهوة: يشن الجيش الوهابي العقائدي، هجوما صاعقا ماحقا على مزارع البن في اليمن ويتم حرقها مع بعض القرى عام 1811 بحجة ان "القهوة آفة محرمة" فالحقوا بعملهم "المشين" هذا خسائر مادية كبيرة جدا، لان البن، هو تجارة اليمن الاساسية بل ومنبع شهرتها العالمية. وقد قدر القنصل الفرنسي في اليمن، خسائر اليمن من جراء الهجوم الوهابي هذا بأكثر من (عشرين مليون فرنك قديم[3] ناهيك عن ردود الأفعال التي تركها هذا الهجوم في نفسية وذهنية ابناء اليمن. واليوم لا تفارق دلة القهوة، الموحدي الوهابي، بل هي امتدادا لجسمه.

---

[1] ابن بشر "ناريخ نجد". عنوان المجد في تاريخ نجد وزارة المعارف السعودية الرياض ط2 1971

[2] Raymond Jean.: “L’origine des Wahhabis” rapport en 1806.

[3] Thabet Anwar. Le movement Wahhabite en Arabie, mémoire présenté en vue de l’obtention du diplôme de l’école des hautes études en sciences sociales.. 1980, p.159

لا لدراسة الجغرافية: لانها تتناول دراسة بعض البلدان غير الاسلامية علاوة على انها تؤكد على كروية الارض، وظل هذا الموقف المتشدد حتى منتصف السبعينيات، ثم بدأوا يغضون النظر تدريجيا لا عن قناعه وبعد فيضان البترول عام 1975م. هجم الفاتيكان الوهابي، على كافة ارجاء المعمورة مستفيدا من عائدات البترول وفتح له اكثر من 134 فرعا في تسعين دولة اسلامية وغير اسلامية حتى نهاية عام 1997م. ترى هل هو وصل متأخرا جدا ام عريانا جدا لا يستر نفسه الا "بحفنة من الدولارات"؟

لا لتدخين السجائر والاركيلة ويجلد من يشرب الدخان "المخزي" باللهجة النجدية، ما بين الثلاثينات واوائل الخمسينيات. وعلق الشاعر العراقي الشعبي "عبود الكرخي" في قصيدته مستحيلات، مستحيل وهابي يشرب تتن. وها هو اليوم بلد الوهابية يستورد ما قيمته مليار ريال في السنة من كافة انواع السجائر.

لا لإستخدام الراديو والتلفون"مخاطبة الشياطين" ويمنعون هذا على الشعب، وبعد الطفرة البترولية، اخذت السلطة تمد الخطوط الهاتفية وايصالها الى البيوت مجانا واليوم تجد في بيت كل داعية وهابي وغير وهابي عدة خطوط هاتفية.

لا للتلفزيون: فقد قام رجال الدين وانصارهم بالهجوم على اول محطة تلفزيون انشأت في منطقة الرياض عام 1965م حطموا اثاثها واجهزتها. واليوم تجد في كل بيت ثلاثة او اربعة اجهزة ناهيك عن الاطباق (الدشات) المتصلة بالاقمار الصناعية.

لا لإستخدام كلمة "ويسكي" في الافلام الاميركية التي تبثها انذاك محطة تلفزيون ارامكو، ويجب ابدالها بكلمة "طيبة" اعطني كأس من عصير الطماطم او البرتقال يا جون، فحفرت هذه الكلمة في ذهن الاطفال والشباب وصار عندهم رغبة قوية لشرب عصير الطماطم هذا الممنوع عليهم حتى نطق اسمه الحقيقي، وها هو البلد اليوم يحتل المرتبة الرابعة، على الصعيد العالمي في استهلاكه لمادة "الويسكي" بالرغم من غلائها الفاحش في الايام العادية "500 ريال" وفي مواسم الاعياد والمناسبات ما بين 800 - 1000 ريال. اي كل قنينة ويسكي يشربها المواطن تعادل ما قيمته (3500 ليتر من البترول الخام، اي تبذير في مخزون الارض واي تبذير في دخل الفرد وصحته؟! ومن المستفيد؟ حفنة من الامراء الكبار وزبانيتهم، حيث تدر عليهم عملية تهريب "الكحول الويسكي" مبالغ طائلة ما بين ثلاثة واربعة مليار دولار في السنة.

لا لاستعمال آلة التصوير: أصدر الشيخ محمد بن ابراهيم. مفتي الديار السعودية فتوى عام 1955م تحرم استخدام آلة التصوير وخُرجت من البلد عام 1969م و لم أر مواطنا او أجنبيا حاملا كاميرا. واليوم يتسابق كبار العلماء في "المملكة" بلحاهم الكثيفة للظهور على شاشة التلفزيون وعلى صفحات الجرائد والمجلات المحلية والعالمية.

لا لتعليم لغة الكفار: "الانجليزية والفرنسية". حتى عام 1953م واليوم يندفع علماء الوهابية في ترجمة فتاويهم وكراريسهم الدينية الى جميع اللغات. ويبالغون في الاسراف بنشر كتبهم باللغات الاجنبية ويوزعونها مجانا بطريقة لا تقل عن اسراف بعض الامراء السعوديين في النوادي الليلية المعروفة في الشرق او الغرب.

لا لكروية الارض: والتأكيد على انها مسطحة وفرض هذا الرأي على كافة المدرسين أجانب كانوا ام مواطنين واستمر هذا الموقف الرسمي حتى نهاية السبعينات واوائل الثمانينيات من القرن العشرين. والى الان يرفض كثير من الوهابيين فكرة "كروية الارض" وقد نشر الشيخ ابن باز كتابا عام 1974م انكر فيه كروية الارض ودورانها ويكفر ويسفه من قال بها وقد ولد، كتابه، إحراجاً كبيرا للملك فيصل بن عبد العزيز، آنذاك، يقول الشيخ عبد العزيز بن باز، فلم يزل الناس مسلمهم وكافرهم يشاهدون الشمس جارية طالعة وغاربة ويشاهدون الارض قارة ثابتة ويشاهدون كل بلد وكل جبل في جبهته لم يتغير من ذلك شيء. ولو كانت الارض تدور كما يزعمون، لكانت البلدان والاشجار والجبال والانهار لا قرار لها. وهذا جبل النور في مكة في محله وهذا جبل احد في المدينة في محله[1] وفي التسعينيات اصدر الشيخ ابن باز وغيره، بعض الفتاوى والارشادات الدينية للسائلين حول كيفية الصلاة او الصيام في "المكوك الفضائي" الذي يدور حول الارض، اهو استهتار جديد بعقولنا ام انه كبرياء وهابي فاضي لا يود الاعتراف بالخطأ".

وكالعادة، يحرمون بالمقابل، ظهور صور نسائهم على صفحات الجرائد والمجلات المحلية. وفي نفس الوقت لا تتوقف صحفهم ومجلاتهم عن نشر صور لنساء جميلات من كل لون ومن كل جنس.

---

[1] الشيخ عبد العزيز بن باز: "الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض" ص 23-24 منشورات الجامعة بالمدينة المنورة 1974م.

ومن التناقضات الشنيعة للعلماء الوهابيين هو تشجيعهم، مؤخرا الى الافغانيين خاصة الطلبانيين "بعدم نشر صور فوتوغرافية في صحفهم ومجلاتهم، راجع صفحة 127"

لا لإستخدام السيارات: ظلت السيارات مقتصرة على "الامراء والأميرات" واول سائق دخل منطقة عسير عام 1952م ضرب وحطمت سيارته، مثلما حطمت اول سيارة دخلت قرى نجد في اواخر الثلاثينيات. وظل عدد السيارات في البلد محدودا حتى نهاية عام 1953م. وفي عهد الملك فيصل استوردت "المملكة 16098 سيارة عام 1968م و22789 سيارة عام 1969م ثم انخفض عدد الاستيراد الى 18852 سيارة عام 1971م. وبعد الطفرة البترولية، منذ عام 1975م احتلت "السعودية" المرتبة الثانية على الصعيد العالمي بعد اميركا في استيرادها السيارات مع الفارق الكبير بين عدد السكان في المملكة وبين عدد السكان في اميركا وظلت "المملكة الوهابية" محافظة على هذه المرتبة من 1975م الى اليوم عام 2000م.

عام	استورد البلد	
1975	118984	سيارة من جميع الأحجام
1979	314004	سيارة من جميع الأحجام
1980	380788	سيارة من جميع الأحجام
1981	387367	سيارة من جميع الأحجام
1982	483250	سيارة من جميع الأحجام[1]
1990	117355	سيارة من جميع الأحجام
2000	160461	سيارة من جميع الأحجام[2]

[1] مجلة اليمامة العدد 1676 بتاري 6 أكتوبر 2001.
[2] مجلة اليمامة العدد 1676 بتاريخ 6 أكتوبر 2001.

واليوم يوجد اكثر من ستة ملايين سيارة في البلد، بعض المصادر ذكرت سبعة ملايين سيارة، ليس من ضمنها ما تملكه اجهزة الدولة في المجال العسكري والمدني. وتظهر اللوحة الأليمة في هذا الاسراف الهائل من السيارات من خلال ما هو متروك، منها، على جانبي الطريق وفي الصحاري والقرى، بسبب خلل بسيط او مركب كما يوجد في مدينة "جدة" اكبر سكراب للسيارات المحطمة في العالم، وبالمقابل تخلو منطقة نجد من وجود مدارس مهنية، مهمتها تخريج مهندسين ميكانيكيين مختصين، على الاقل، بتصليح السيارات الفاخرة لكبار علمائهم ودعاتهم، لكي لا يبصق احدهم مرة اخرى على سياراته[1].

لا للعلوم الهندسية: لتطوير وتحسين البيت العربي الاسلامي، ما ينسجم وخصائص الطبيعة وعادات وتقاليد هذا البلد فقد ظل موقف الوهابيين من هذه الناحية صارما ومتشددا. فهم لا يتقبلون "الفن والزخرفة الاسلاميتين" باعتبارها نوع من البدع، وظلوا على موقفهم المتزمت هذا حتى منتصف السبعينيات من هذا القرن. وقصة الشيخ محمد بن مانع مدير التعليم، بمثابة وزير انذاك من 1937م إلى 1953م قصة مشهورة[2]. واليوم انقلبت الصورة ليس باتجاه الافضل بل اخذوا يبنون بيوتهم على احدث طراز غربي لا تنسجم اطلاقا مع المناخ الصحراوي ومتطلباته ولا تتكيف مع العادات والتقاليد العربية الاسلامية، التي يضج بها الاعلام الوهابي السعودي يوميا وقد شرحنا هذا في "كتابنا البترول والاخلاق في الجزيرة العربية".

لا لرسم حيوان او انسان او طير: ويحرم هذا في كافة المراحل الدراسية وهذا الفيتو الوهابي المزمن لم يتزعزع منذ ايام الشيخ محمد بن عبد الوهاب 1745م يومنا هذا

---

[1] توقفت "سيارة" داعية وهابي متجهة إلى "القصيم" لإلقاء محاضرته هناك. فاحتار ماذا يفعل؟ ثم بصق على سيارته قائلاً: ما فيك خير.

[2] في اوائل الخمسينيات من هذا القرن، زار الشيخ ابن مانع مدير التعليم في السعودية، اخا له في مدينة الزبير التابعة لمدينة البصرة في جنوب العراق، فشاهد واجهه الباب الرئيسي مبنية من "الطابوق العراقي المشهور" وامام الباب "عتبة من درجتين" وكان وضع البيت من الخارج والداخل مثله مثل اي بيت في منطقة نجد. ومع ذلك رفض الشيخ الوهابي الدخول واصر على اخيه ان (يستغفر ربه وان يسرع الى هدم وازالة هذا المنكر قائلا له: اصبحت يا اخي مثل هؤلاء النصارى الذين يزينون واجهة بيوتهم بهذا المنكر" ترى لو خرج الشيخ ابن مانع من "قبره في مدينة عنيزه وشاهد الفلل والقصور الضخمة والمبنية على أحدث طراز غربي في مدن: الرياض والقصيم والحجاز..) لحكم على الشعب بما فيه "الوهابيين وكبار علمائهم ودعاتهم بأنهم نصارى".

وبهذه المناسبة فقد تبرع الامير طلال بن عبد العزيز مؤخرا ببناء مركز حديث لرعاية الأطفال في المنطقة الشرقية "علقت على جدرانه صور عديدة فاسرع الوهابيون الى نزع تلك الصور. وفي نفس الوقت يشاهدون الاطفال صور ملوك آل السعود على الاوراق النقدية اي تناقض شنيع هذا؟

لا لتعليم المرأة: تم الاعتراف والاقرار به على مضض عام 1961م، بعد ان وضع رجال الدين شروطهم وقيادتهم لهذا القطاع الحيوي حتى يومنا هذا.

لا لتشجيع المرأة دراسة الهندسة المعمارية، الزراعية، والميكانيكية وهذا الفيتو قائم الى يومنا هذا.

لا لخروج المرأة سافرة	**هذا الفيتو قائم حتى الآن**
لا لسياقة المرأة للسيارة	**هذا الفيتو قائم حتى الآن**
لا لخروج المرأة للخارج دون محرم	**هذا الفيتو قائم حتى الآن**
لا لمدارس الفن والرقص والموسيقى	**هذا الفيتو قائم حتى الآن**
لا لفتح دور سينما وعدم تشجيع صناعة السينما	**هذا الفيتو قائم حتى الآن**
لا لدراسة الفلسفة او المذاهب الفلسفية	**هذا الفيتو قائم حتى الآن**
لا للزواج من فتاة شيعية ولو كانت سعودية	**هذا الفيتو قائم حتى الآن**

لا لذبيحة الشيعي وهذا الفيتو قائم الى وقتنا الحاضر. وهم في نفس الوقت يشجعون على نشر المطاعم الاميركية "ماكدونالد" فهل عرفوا نوعية اللحم ومن أين؟

لا لرسم حيوان او انسان: يحرم على الطلبة صغارا ام كبارا ذلك بينما يقف كبار العلماء الوهابيين امام عدسات الكاميرا ليلتقطوا لهم الصور.

هذه الاشارات المقتضبة والسريعة عن شمولية "اللاءات الوهابية" القديمة والحديثة ليس الهدف من ذكرها هو التشهير بعقلية "الوهابي" او الاستصغار من شأنه او حرمانه من حق التطور،معاذ الله، بل الهدف ابعد واشمل واسمى من هذا فنحن لسنا من هوات

الفضائح أو "المعايرة"، كانوا كذا واليوم كذا، فالتطور العام وتأثير قوة العلم ومتطلبات الحياة تفرض وترغم مسايرة التطور بوعي او دون وعي، والذي يهمنا معرفته هو الكشف عن ذهنية وعقلية قادة الحركة الوهابية السلفية، فانهم كانوا منذ زمن، ولا زالوا، لا يسايرون عصرهم ولا يسمحون للبراعم ان تتفتح بشكل طبيعي داخل مجتمعهم، فهم قوة اجتماعية عمياء تسير دائما عكس حركة التاريخ الانساني الصاعد لتشد الانسان والمجتمع الى الوراء، بقدر الامكان، وهم والحال هذه ليسوا جديرين اطلاقا بقيادة مجتمع لا بالامس، حيث فوتوا عدة فرص تاريخية ثمينة، كما اشرنا آنفا، تساعدهم على النهوض ومسايرة الركب الحضاري والاسهام به،ولا اليوم، حيث تدين خصائص عصرنا وطموحات الانسان في هذا البلد أطروحات وممارسات الوهابيين. ومع ذلك الكبرياء الوهابي لا يتزعزع وقوة الرفض الشمولي عبر "اللاءات الوهابية" مستمرة لا تعرف التوقف ولو للحظة من الزمن فما ان تغيب احدى اللاءات القديمة، سرعان ما تحل محلها لاءات نجدية – وهابية اخرى تكبل انطلاقة الانسان والحركة الاجتماعية من جديد باسم الدين تارة وباسم العادات والتقاليد العربية الإسلامية تارة ثانية وباسم "قدسية البلد" تارة ثالثة.

إن دهشة الانسان او جماعة ما، من بعض الاكتشافات والاختراعات العلمية، شي طبيعي وبديهي عرفته غالبية شعوب العالم ولكن الشيء غير الطبيعي والمضاد للعقل والمنطق، هو تحول الدهشة الفردية العابرة، إلى موقف ايديولوجي رافض بقوة لذلك الاختراع او الاكتشاف العلمي واتهامه بـــ"البدعه" وهنا تتحول "المعرفة الدينية الوهابية" الى "مسلخ للمعرفة العلمية واجبار الجمهور، بالقوة، على التقيد بوجهة نظرهم الدينية الضيقة هذه. من هنا تكمن المأساة والخطورة فهنالك فرق جوهري بين موقف فردي حذرا او رافضاً دخول هذا "الشيء الجديد" الى البلد وعدم التعامل معه وبين موقف ديني رسمي مسبق يحتقر كافة انجازات العقل الانساني الخلاق. فلسنا ضد رجل دين من هذه الملة او تلك "يستنكر كروية الارض او يبتعد عن لمس "التلفاز" او لا يعتقد بوصول الانسان الى القمر، فهذا شأنه فهو حر ولكننا نرفض بشدة ان تتحول هذه المواقف الفردية المتخلفة الى قوة مادية تعمم على الجميع وترغم المجتمع ككل على التقيد بوجهة النظر تلك او العقاب الصارم. هذا هو ما يميز موقف الوهابيين عن غيرهم من الفرق الاسلامية، فهم ليسوا ضد العلوم. والاختراعات العلمية الجديدة فحسب، بل يرغمون الشعب على الالتزام بمواقفهم. فعندما استخدم القطار لاول مرة في العراق اوائل القرن العشرين، صاح

رجل دين عراقي مخاطبا الجمهور قائلا: اتتركون حمير الله وتركبون "الشمندفر"[1] اي القطار، ولكن القطار سار وركبته الناس وهم يبتسمون لرجل الدين الساذج، لأن موقفه فردي لم يتحول الى قوة اكراه واجبار رسمي كشأنه عند الوهابيين.

ما الذي أدت إليه هذه اللاءات؟ اللاءات الوهابية القديمة والحديثة، تنزل على راس المجتمع كالصاعقة، دون مقدمات ودون دراسة علمية او عقلانية للظاهرة او "البدعة" وهي في الوقت نفسه غير قابلة للاعتراض او الجدل من جانب الطرف الشعبي "الدهماء الرعية"، بل تؤخذ بها كمسلمات او من بديهيات المجتمع الوهابي وتقاليده. والغالبية العظمى من هذه اللاءات اي حوالي (95% ليست لها علاقة بالنصوص القرانية ولا الاحاديث النبوية، بل هي من تصورات العقل الوهابي النجدي الذي يرتعب من كل شيء جديد، فكل شيء يراه "الوهابي" ولا يجد له وجودا ماديا ملموسا داخل مجتمعه المغلق او في تراثه الشعبي إعتبره "بدعة" سرعان ما يتحسس وينفر منها مرتدا الى الوراء محرما هذه "البدعة" اولا ولاعنا صاحبها ثانيا من تحريم الغترة الزرقاء[2] مرورا بتحريم ساعة اليد[3] الى التلفون والكاميرا والتلفزيون...الخ والنتيجة العملية لهذه السلسلة من التحريمات او اللاءات الوهابية- الإقليمية المزاجية هي:

أ- كل اللاءات التي نطق بها العلماء الوهابيون او تلك التي سينطقون بها غدا، تمضي بكل سهولة وتستقر داخل المجتمع، بفعل ثقل "الفاتيكان الوهابي" وشدة بطشه ولا ترفع عن كاهل المجتمع الا بعد مرور ثلاثون عاما على الاقل، الغالبية العظمى من تلك

---

[1] كلمة الشمندفر ، كلمة فرنسية "Chemin de Fer" عربت. وتعني السكة الحديدية.

[2] زار شمري من من اهل الرياض، العراق في اوائل الخمسينيات من هذاالقرن ، ثم عاد الى مدينته وهو لابس "غتره زرقاء" على رأسه فضرب الشيخ عبد الملك بن إبراهيم اخو المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم، الباب ، فخرج اليه الشاب، فقال له :اين ابوك؟ فلما جاء الاب، قال له الشيخ عبد الملك: ان ابنكم جاء من العراق ومعه منكر"بدعة" فلا تشجعوه على لبس العترة الزرقاء" والا نؤدبه.

[3] أخبرني رجل ثقة من أهل الرياض قائلا: ان اباه اهدى له ساعد يد ، فذهب بها فرحا الى "الكتاتيب"، المطوع" فلما شاهد المطوع، المعلم آنذاك، الساعة في يده قال له ما هذا؟ اجاب الطالب: ساعة، قال له المطوع: هذه بدعة فضربها بعصاه فكسرها وشاءت الصدف،حسب منطق التطور، ان هذا الطفل الذي فقد ساعة في اوائل الخمسينيات، استلم هدية 1980م ساعة ثمنية قيمتها "مائة الف ريال، حسب ما اخبرني، وهي احدى مظاهر التفاخر بين الوجوه البارزة والغنية في مدينة الرياض بعد فيضان البترول.

"اللاءات" ظلت ما بين الخمسين ومائة عاما. مثل دراسة العلوم واللغات او الاعتراف بكروية الارض...الخ. وبعض اللاءات مر عليها الان اكثر من قرنين من الزمن ولا زالت، اي منذ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. مثل حقوق المرأة: خروجها سافرة، حقها في دراسة الهندسة الميكانيكية، الزراعية. حقوق المواطنة، حقوق الطائفة الشيعية منع الرسم في مدارس الاطفال، منع صور نسائهم.

ب- اللاءات الوهابية، تكشف لنا حقيقة شخصية رجل الدين الوهابي المتخلفة والمعقدة جدا فهو حتى الان لم يظهر لديه اي ميل للاعتراف بخطأ موقفه وما الحقه من اضرار جسيمة بحق المسار التاريخي لهذا الشعب، ناهيك عن سمعة أبناء الجزيرة في الخارج، فعلى الرغم من ان جميع الوهابيين اليوم، يمارسون بكل حرية وتلذذ كل "البدع" او ما كان محرما بالامس على الشعب، صحيح ان منطق التطور يفرض عليهم استيعاب بعض هذه التطورات التي لا بد منها والتأقلم معها، ولكن على الاقل الإشارة الى الاعتراف بخطأ مواقفهم السابقة او نقدها والتخفيف من حدة التشدد الديني ورفع ما تبقى من "اللاءات" على كاهل المواطنين بل يمضون في سيرهم وكأن شيئاً لم يكن، بل يوحون لك "بكل ثقة" بان "التاريخ" نفسه يسير مع صعودهم وهبوطهم، ان الحديث النبوي "الإعتراف بالخطأ فضيلة" لا يود ان يسمعه الوهابي ولا يود الإعتراف به.

ج- إصابة المجتمع في الجزيرة العربية، بالعطب التاريخي في مساره تارة وبالشلل والتشوه تارة اخرى، فبقي على هذه الحالة، كما هو معروف لدى الجميع، عشرات السنين ولا يزال يهاب ويتحسس من كل جديد (فكر، اختراع ...الخ) سواء قادم من الخارج او نابع من صلب التطورات الداخلية ناهيك عن زعزعة ثقة المواطن بنفسه الذي ظل يتحسس من كل شيء جديد خوفا من الاتهام بالزندقة اوالخروج عن رأي الجماعة! وكل ما يشاهده المواطن من سمات حضارية زرعت بسرعة من: مصانع البتروكيماويات وصوامع الحبوب، المصانع الصغيرة والمتوسطة، والنهضة العمرانية...الخ لعبت الدولة الواهب الاكبر، بفضل البترول، لتحسين وجه النظام او الفاتيكان الوهابي اولا ولإبقائه بعيدا عن الاسهام الفعلي لنهضة بلده على أسس سليمة ثانيا وكان "شراء هياكل حضارية مع طاقمها الفني، كما سنشرحها بعد قليل، اوجز الطرق لتحضير المجتمع ولكي ينسى الشعب بعض "لاءاتهم".

د- جميع اللاءات التي عرفها المجتمع السعودي الوهابي هي لاءات وهابية وليست لاءات سعودية بمعنى هي انتاج وإبداع عقول رجال الدين الوهابيين وليست انتاج عقول "ملوك وامراء آل السعود" والسبب واضح وبسيط: ان جميع اللاءات الرفضية التي نطق بها قادة "الفاتيكان الوهابي" وفرضها على الجمهور بالقوة، يمارسها بكل حرية ملوك وامراء واميرات آل سعود داخل قصورهم الملكية المترفة فالرقابة الوهابية الصارمة والمسلطة على الشعب تنحني وتذوب قبل ان تصل إلى جدران تلك القصور، ناهيك على ان "النص القرآني" والاحاديث النبوية لا تطبق على سلوك ومواقف الامراء والاميرات والعرش، طبعا، مستفيداً من هذه "التحريمات" او "اللاءات" والذي يهم العرش السعودي في هذا الظرف هو "وضع الفيتو" على ثلاث لاءات فقط، لا للتأمر على سلامة العرش، لا لمطالبة الجماهير بالديمقراطية والمشاركة في القرار السياسي لا يسأل المواطن لا من قريب او بعيد عن مصير الثروة الوطنية او القومية، واين ذهبت؟ وبعد ذلك فالمواطن "حر" هو وحظه مع رجال الدين، يشرب الخمر ام لا؟ يتزوج شيعية مسيحية، يهودية ام لا؟ يتعاطى المخدرات او يشاهد الافلام الجنسية...؟ فهذه الامور لا تشكل خطراً بل لا تعني شيئا امام مصلحة العرش، ومستقبله، كما وان جميع أمراء آل سعود تقريبا غير متعصبين دينياً. فالعرش دوماً يهمه شيء واحد، هو الطاعة السياسية.

هـــ - اللاءات الوهابية، تؤكد وتعزز، دون لبس مقولة "ثنائية السلطة" في هذا البلد والقائمة والمستمرة بين "العرش والعلماء" فالرياح العفنة تخرج دوما من وسط "الفاتيكان الوهابي"المعادي للانسان، والتحضر لهذا لم نسمع ولم نقرأ بان مرسوما ملكيا صدر بمنع هذه "البدعة" او تلك، كما لم نسمع بالمقابل بان قررا ملكيا عارض هذه "الفتوى" او هذه "البدعة" التي نطق بها رجال الدين الوهابيين، فهو والحال هذه يساير حلفاؤه التاريخيين، رجال الدين، ولا يود التصادم معهم لصالح الشعب، فمصالحه أساساً ومنذ البداية، مع "الفاتيكان الوهابي" ويشاطره في التدجيل والاستغلال.

و- اللاءات الوهابية، هي لاءات اقليمية، نجدية بحتة، لا نجد لها عمقاً في ارض الواقع الاجتماعي وانما هي مفروضة على الشعب بقوة سيف الدولة وسوط المطوع في الشارع فـــ "اللاءات النجدية" هذه لا تلقى اية تجاوب من قبل رجال الدين المسلمين في داخل البلد سواء في منطقة"الحجاز" او المنطقة الشرقية او الخارج، بل الغالبية من رجال الدين في الداخل والخارج يسخرون منها ومن عقلية رجل الدين النجدي الضيقة

والحشرية ولكنهم مضطرون لمسايرة الوضع لاسباب عديدة، ولذا ما ان تغيب سلطة المطوع عن الشارع العام لمدة اسبوع واحد حتى تنهار وتتبخر جميع اللاءات الوهابية الآنفة الذكر، وستعم الفرحة خاصة في صفوف النساء، ولربما خرجن فرحات ليتبؤان مكانتهن الطبيعية داخل المجتمع اسوة بشقيقاتهن في البلدان الاخرى فالمستوى التعليمي والوضع النفسي، الثقافي كلها مهيئة ومشجعة للقيام بهذه القفزة او بالتحول السريع.

ز- اللاءات الوهابية السعودية اخيرا تمثل المحرمات الأبدية على المجتمع وتعكس عشق الوهابيين والسعوديين لها. فهم لا يفكروا في التخلي عنها، لان وجودهم واستمراريته في السلطة مرهون بها. لانها تشكل الزاد او الطاقة اليومية المحركة للجسم الوهابي، بشكل خاص، فبقدر ما إن ماكنة السيارة لا تمشي دون وقود بقدر ما إن العقلية الوهابية لا يمكنها ان ترى وتحاكم الاشياء وان تسير في الشارع دون قوائم تحريم ودون ترديد بعض "اللاءات" في هذا المضمار او ذاك.

3- مجتمع الغصب (الإجبار والإكراه)

الصفة الاكثر وضوحا والاكثر بشاعة من غيرها والتي لازمت المجتمع الوهابي السعودي هي صفة "الغصب" اي الاجبار والإكراه، بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى لكونها ظاهرة عامة ملموسة تصدم الانسان في الشارع، وفي العمل والاسواق والحدائق العامة وحتى في "بيته" وتمارس يومياً، دون توقف، من قبل رجال الدين الوهابيين كبيرهم وصغيرهم ولا ينجو احد من حالات الغصب والإكراه والإلزام الاّ اذا كان ينتمي للعائلة السعودية المالكة، هذا ما يميز سلوك الوهابيين عن بقية الفرق الاسلامية الاخرى قديما وحديثا. فقادة المؤسسة الدينية الوهابية، يدركون جيدا بان جميع ما يصدر عنهم من فتاوى ووصايا وارشادات دينية اخلاقية لا يمكن ترجمتها على الواقع الاجتماعي وان تأخذ ابعادها المطلوبة في نفسية وذهنية المواطن والاجنبي المقيم في البلد، الا باتباع سياسة "الغصب" اليومي لاجبار الجميع على الامتثال للاوامر والنواهي الدينية الصادرة اليهم لتستكمل الصورة الظاهرية للجمهور ومدى انسجامها مع الخط السلفي بالمفهوم الوهابي.

والإجبار والاكراه، صفتان ملازمتان ومتأصلتان في نفسية وحركة رجال الدين في الشارع منذ نشأة الدعوة الوهابية، اذ لا يمكن ان تتخيل وهابياً واحداً دون ممارسته لسياسة الغصب والاكراه ضد المواطنين وتدخله السافر، في شؤونهم الشخصية باسم الدين. لهذا ليس من قبيل الصدفة او التهويل والتضخيم، حينما نصف رجل الدين الوهابي وخاصة "المطاوعة" بانه رجل مؤذ ومعتد على "حرية الاخرين" ومن لا يفعل هذا فهو ليس وهابيا. لهذا الغرض بالتحديد انشئ جهاز ديني سيء السمعة والصيت في داخل المملكة وخارجها، يدعى جهاز هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، مزود بكل الامكانيات والوسائل الحديثة، التي كانوا بالأمس يحاربونها باسم "البدع"، اسطول من السيارات الضخمة[1]، تلفون نقال، فاكس، وربما غدا هيلوكبتر(تطارد المتخلفين عن

---

[1] قدم الملك فهد بن عبد العزيز"هدية" 51 سيارة حديثة لفرع هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرياض وهذه السيارات تأتي ضمن مكرمة خادمة الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز التي قدمها للرئاسة العامة لهيئة الامر بالمعروف والنهي عن

الصلاة) لمراقبة الناس سواء لاجبارهم على الحضور الى المساجد او للصيام او التقيد الحرفي بنصائح كبار علمائهم المتعلقة بالنواهي الاخلاقية والاجتماعية.

وقد مُنحت لعناصر هذا الجهاز سلطات واسعة وفورية على الجمهور لم يعرفها و لم يمارسها رجل دين اسلامي، منذ نشأة الاسلام الى وقتنا الحاضر. فمن سمع او قرأ بأن لرجل الدين الاسلامي سلطة: بسجن المواطن ثلاثة ايام وجلده 15 جلدة وان يتسلق سطوح منازل المواطنين بالسلالم بحثا عن المنكر "الخمر" وان يقص الشعر الطويل في الشارع...الخ دون تدخل من السلطات القضائية او السياسية؟! بل يتلقى التهاني على عمله "المجيد" هذا داخل "المملكة الوهابية".

نعم هناك رجال الحسبة، منذ فجر الاسلام لمراقبة البيع والشراء والموازيين مما ينسجم والاحكام الشرعية وبعضهم يدعو لاعمال الخير ولكن هناك فرق جوهري بين سلوك ومواقف "رجال الحسبة" في التارخي الاسلامي وبين رجال الحسبة الوهابيين، الاوائل يقومون بواجبهم في مراقبة حركة البيع والشراء في الاسواق العامة، دون تدخل في الشؤون الشخصية للمواطن والبعض يتبرع مناديا على الصلاة في مواعيدها دون اكراه واجبار الناس، الذكور، على الحضور الى المساجد، اما الاواخر الوهابيون فهم على النقيض، اذ يتلذذون في التدخل في كل صغيرة من حياة المواطن ويعاقبون بشكل فوري وفظ لكل مخالف لتعاليمهم او بالاصح لقوائمهم الطويلة التي تضم "الممنوعات والمحرمات، حسب المزاج الوهابي، لذا من الافضل او الاصح ان يُطلق على جهاز "هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر" بجهاز الغضب. وسياسة الغضب هذه يتوارثها رجال الدين الوهابيين جيلا عن جيل منذ انطلاقة الدعوة الوهابية 1745م وهم لا يخفون او ينكرون هذا، بل يفتخرون علنا بهذه السياسة. ولنا في جواب "الامام" محمد بن عبد الوهاب مؤسس الدعوة، والاب الروحي للوهابيين خير دليل على ذلك:

فقد سأل بعض رجال الدين في الحجاز، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن سبب الاختلاف بين أهل نجد الوهابيين وبين سائر الناس؟

المنكر والمتمثلة (240 سيارة حديثة الطراز 2001م وتمثل حلقة في سلسلة الدعم المتواصل لهذا الجهاز "جريدة الرياض العدد 12144 بتاريخ 2001/9/23.

فأجاب الشيخ بكل وضوح: إن سألت عن سبب الاختلاف الذي بيننا وبين الناس ما اختلفنا في شيء من شرائع الاسلام والشي الذي عند الناس زين عندنا زين والشيء الذي عندهم شين هو عندنا شين، الا اننا نعمل بالزين ونغصب الذي عندنا عليه وننهي عن الشين ونؤدب عليه"[1] خط التشديد من عندنا. فكلمة "نغصب ونؤدب" مثلتا جوهر العلاقة الاكراهية والالزامية القائمة بين الوهابيين والرعية. وقد حافظ رجال الدين النجديون على هذه "القاعدة" على ممر الايام والسنين دون انقطاع لتثبيت الخط السلفي المصحوب بالارشادات والوصايا الدينية.

والوصايا الوهابية. و"الفاتيكان الوهابي" بشموخه اليوم وسطوته الكلية على المجتمع"مدان بسياسة" الغصب والإجبار والاكراه التي انتهجها منذ عشرات السنين. وبما ان الوهابيين من أهل السنة على مذهب الامام احمد بن حنبل، الا انهم شذوا عن القاعدة العامة لجميع المذاهب، حيث: لم يدع احد من الائمة الاربعة الى مذهبه ولم يتعصب له ولم يلزم الناس بالعمل به او بمذهب معين وانما كانوا يدعون الى العمل "بالكتاب والسنة". وربما طرح سائل: هل الوهابيون وحدهم الذين يستخدمون اسلوب القمع والاكراه ضد مواطنيهم؟ هذا صحيح إذا كنا نتحدث بشكل عام عن الاكراه والعسف في المجال السياسي والمطالبة بالحريات الديمقراطية حيث يشارك الوهابيين عشرات الانظمة السياسية عربية وغير عربية. ولكننا هنا نتكلم عن "الاكراه والاجبار" خارج نطاق كل المفاهيم السياسية والامنية، حيث نرى هناك زاوية "شبه مقدسة" لم يمسها او يقتحمها او يصادرها اعتى الانظمة الدكتاتورية في التاريخ الانساني الا وهي "الحريات الشخصية للرجل او المرأة" وحركة الانسان البريئة وغير التأمرية داخل المجتمع (يغني، يرقص، يمضي يصفر، شكل الملبس، يذهب الى الكنيسة او المسجد، حسب قناعته، نوعية التسلية التي يرتاح اليها دون الاضرار بمصلحة الاخرين... الخ.)كل هذه الامور الشخصية والبديهية، اختفت، بل انها محاربة بشدة داخل المجتمع الوهابي "المسير" فحرية الاختيار هنا ليست محدودة، بل مفقودة وتتنافى وسياسة "الغصب" الشاملة التي يطبقها قادة "الفاتيكان الوهابي" على ارض الواقع الاجتماعي. وما ان يجرأ احد المواطنين ويطالب علنا بجزء من

---

[1] الدكتور منير العجلاني "تاريخ البلاد العربية السعودية. دار الكاتب – بيروت دون تاريخ ص 213.

"حريته الشخصية" سرعان ما يتلقى الجواب الجاهز والقمعي والذي يتكرر مئات المرات: ليس هناك حر الا الله جل جلاله يا كلب!

والغصب عندما يكون بيد قوة دينية متخلفة كالوهابية، يكون غصبا شموليا يجمد اي حركة ابداع وابتكار داخل المجتمع وتنزل بالمواطن الى الدرك الاسفل من سلم العبودية، والغصب الديني الوهابي مربوط دائما بـــ "زمن مقدس". يا للهول منذ متى عرف الوهابيون قيمة للزمن وهم القوة المنغلقة على نفسها وتراوح في مكانها منذ عشرات السنين بين وادي الرمه ووادي فاطمة؟ ومع ذلك طرح والتزم الوهابيون بمفهوم "الزمن المقدس" وهو الزمن الذي يشعر به رجل الدين الوهابي باداء رسالته وهو يسوق المواطنين نحو البوابات الرئيسية للمساجد والجوامع لاداء فريضة الصلاة في مواعيدها. واليكم بعض الامثلة الصارخة على شمولية الاكراه والاجبار وعدم التمييز بين السائح والمقيم او بين طفل وامرأة...الخ وعن حيوية حركة المطاوعة في زمن الغصب المقدس.

غصب الجميع على ترك أعمالهم في وقت الصلاة سواء كانوا في المعامل او الاسواق او المؤسسات الحكومية، المستشفيات...الخ. كما تغلق او تهجر المحلات التجارية في وقت الصلاة ليؤدي الجميع فريضة الصلاة.

إجبار واكراه النساء على التقيد بالحجاب وبالاحتشام بالمفهوم الوهابي والإبتعاد عن مواقع الرجل.

إجبار النساء بعدم خروجهن دون محرم وبعدم ركوبهن سيارة تكسي دون محرم ولو كن من النساء الأجنبيات.

- تحذير الرعية بعدم الحديث او القيام بصلة مع "مسيحي او شيعي الا بهدف كسبه للإسلام!.

إجبار أصحاب المقاهي بفتح التلفزيون فقط على القناة السعودية.

إجبار سكان بعض قرى نجد على اداء "صلاة الفجر" في المساجد ومن يتغيب يُعاقب .

إجبار الأيدي العاملة الاجنبية التي تعمل في السعودية وتنتمي الى ديانات مسيحية، بوذية، بمنع اشهار معتقداتها او الدعاية لها. ناهيك عن منع اولئك، العمال، من ممارسة

طقوسهم الدينية ولو بطريقة سرية داخل بيوتهم لان هذه الطقوس من اعمال الشرك بالمفهوم الوهابي، يجب لا أن تمارس في "أرض القرآن والعقيدة" .وقد تم معاقبة وتسفير المئات من المسيحيين والبوذيين من الفيليبين والتايلانديين والهنود الذين يجهلون تقاليد هذا البلد وقساوة وصرامة الوهابيين. قال احد الهنود، واحد ضحايا الوهابيين، في رسالة الى منظمة حقوق الإنسان قائلاً: إن المطاوعة ينادون علينا: ماعز[1]، فينتزعون عمامة الشخص ويحلقون لحيته وشعر رأسه وقد يدفعهم الغضب احيانا الى حلق شعر الحاجبين وهم يهينوننا الى اقصى درجة ممكنة فاذا حاول أحد منعهم، استعانوا بالشرطة[2].

وذلك من الاحداث اليومية في المملكة العربية السعودية، وقد حدث اليوم ان قبضوا على احد افراد طائفة السيخ وخلعوا عمامته وكانوا يستعدون لحلق شعره ولكنه فر هاربا. وقدمنا الشكوى الى مدير شركتنا ولكنه لم يتخذ اية خطوات حاسمة، لانه لا يحق لاحد في ان يسائل المطوعين عما يفعلونه" خط التشديد منا، هذا وصف صادق عن سلوك المطوع اليومي، من يقدر ان يسأل او يحاجج "سوبرمان نجد" عما يفعله من تصرفات شاذة ومخجلة ومزعجة للأخرين؟ كم عائلة نجدية زارت او تاجرت واستغنت في الهند، منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين؟ وكم نجدي سافر الى الهند وعاد مبتسما ومرتاحا جدا باقامته هناك دون ازعاج احد له او مس بكرامته او تقاليده او منعه من اداء طقوسه الدينية؟ وما اكثر العوائل النجدية التي سافرت الى الهند: عائلة السميط، البسام، المانع، الشبيلي، السويدان، الذكير، المانع، الدغيثر، المهيدب، البليهد، المطلق، الراشد، الإبراهيم، الفوزان، العقيل، المندبل، الصانع...

---

[1] وصف صادق ودقيق، لان ماعز وتعالي يا عنزه، من الألفاظ الشائعة بينهم وكان لي جار من آهل "بريدة" في الستينيات. يصيح على زوجته تعال يا عنزه.

[2] التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولي لعام 1998م.

4- مجتمع النصحية 'مجتمع قاصر'

"إذا بالغت بالنصيحة أدت بك الى الفضيحة" حكيم العرب "أكتم الصيفي".

أخطر وأغرب صفة تطلق على "المجتمع السعودي الوهابي" هي كونه "مجتمع قاصر" مجتمع لم تستكمل فيه شروط البلوغ او الرشد، على الرغم من مرور قرن من الزمن، اي مجتمع لا زال افراده غير قادرين على التمييز بين الخير والشر، غير قادرين أيضاً على تحمل اي قدر من المسؤولية في بناء مجتمعهم ولشق طريقهم المستقيم في الحياة دون الرجوع والاتكال على رجال الدين الوهابيين، مجتمع غير مؤهل للتحول الحضاري البناء.! إلا عبر الأخذ بوصايا الأبدية هذا الحكم القاطع والظالم، الذي يتمسك به قادة "الفاتيكان الوهابي" لا يكشف عن صور الاذلال والاهانة المباشرة لكرامة "المواطن" اي اشعار الجميع رجالا ونساءا دوما بالنقص او عدم البلوغ والوعي الكافيين، وانهم بحاجة ماسة لنصائح وتوجيهات من القادة الروحانيين لانقاذ انفسهم من السقوط في الهاوية، بل يكشف لنا عن العطش التاريخي لرجال الدين الوهابيين لقيادة المجتمع والانسان دون منازع ودون مشاركة ودون نقد او ملاحظات على سلوكهم ومواقفهم وهذا لا يتم الا عبر الاتهام المستمر للمواطن بالقصور والعجز الابديين لتستمر النصائح الوهابية على المجتمع الى ما لا نهاية.

وهنا يطرح السؤال الهام والمحير: كيف يمكن اطلاق صفة القصور او النقص على مجتمع بأكمله؟ وهو في نفس الوقت مجتمع حي متحرك، افراده لهم ابداعاتهم الثقافية والفكرية ومسايرين التطورات الحضارية ومتلهفين أيضاً "للوثبة الحضارية"؟ مجتمع له تاريخ عريق، كيف يتهم افراده بالعجز والنقص حتى في تدبير امورهم الشخصية؟!! لو كان الاتهام يخص فئة او مجموعة معينة من الشعب لهان الامر، بل يصر الوهابيون على الصاق هذه الصفة المذمومة والتحقيرية على الجميع رجالا ونساءا ويتمسكون بها دون خجل ويمارسونها علنا. ففي رأيهم انه مهما بلغ المواطن من العمر العتيد ومهما نال من الشهادات العلمية العالمية الرفيعة والمصحوبة بتجارب شخصية غنية في فهم معترك الحياة والسمو في المعرفة العلمية والاخلاق الفاضلة، فهو طفل قاصر، لم يبلغ بعد سن "الرشد

الوهابي" من وجهة نظرهم، لان الشهادات العلمية والسمو في المعرفة العلمية، لا تعني شيئا بالنسبة لهم، اذا لم يتشرب المواطن من النبع الصافي للحياة الامثل والمتمثل في الاطلاع على امهات الكتب لكبار علمائهم والالتزام بوصاياهم الحكيمة. وعليه أيضاً الاستماع بإنتباه لنصائح المطوع المتسكع في الشارع، ليفهم سر الحياة، بل سر الوجود الدينوي، لينعم بعدها بحياة سعيدة هادئة بقرب دفء الجماعة، والجماعة هنا الامراء ورجال الدين، ومن شذ "شبرا" عن تلك الجماعة ورفض نصائحهم فقد، الفوزين" في الدنيا والاخرة. ومات موتة "جاهلية" حسب تعبيرهم.

ان "اتهام" الجميع بالقصور، مسألة لا يختلف عليها "وهابيان" فالمجتمع بالمفهوم الوهابي "صنفان" صنف عبارة عن عورة "المرأة" وهذا الصنف لا زال يعيش ضمن الدائرة الوهابية المغلقة فمهما نالت "المرأة" من شهادات علمية عالية فهي لا تستطيع ان تستنشق الحياة. الا من خلال "الثوب الوهابي المقدس" فهي كائن بشري ملحق "بجدران" الفاتيكان الوهابي" يسيرها حسب ارادته ومشيئته اما الصنف الثاني، الرجل فهو موزع بين عاجز وضعيف وبين قلةواعية ولكنها واقعه تحت تأثير "الشياطين" وبهذا التصنيف او التحليل الوهابي لافراد المجتمع اصبح الجميع، من وجهة نظرهم، بحاجة ماسة لاستمرار رسالة المطوع الوهابي في التبشير والوعظ، وحتى يأتي ذلك اليوم الذي يقتنع فيه الوهابيون عن طيب خاطر "بأننا لسنا قاصرين، وان الشعب اصبح قادرا بعد قرن من الزمن من النصح والوعظ ان يشق طريقه بأمان ووعي كاملين دون الرجوع اليهم، ستنتهي رسالتهم التبشرية وستنتهي معها وصايتهم على الشعب وتختفي بذلك سلطتهم ومصالحهم الضخمة، وذلك اليوم، لن يأتي ابدا في نظر الوهابيين. اذ لا يمكن ان يعترف به الوهابيون ولو للحظة من الزمن. اذ كيف يعيشون داخل المجتمع كمواطنين عادين، دون سلطة وتسلط، دون صراخ يومي ودون سوق الرعية بالعصا، نحو مرابع الجنة؟ ! والحال هذه ستبقى نصائحهم او بالاصح اتهاماتهم للشعب بالقصور وعدم النضج مستمرة ولا يمكن ايقافها الا اذا تحرك الشعب يوما وطرق بقوة اولا "ابواب الفاتيكان الوهابي" وقال لهم كفى نأمل ذلك من الاعماق.

اما عن شكل النصائح المتبعة منذ زمن داخل المجتمع الوهابي السعودي اليوم. فهي:

نصائح للرعية: تحتل النصيحة مكانة هامة ومتميزة في ذهن وقلب "العربي، قبل وبعد الاسلام لكونها تضرب على وتر حساس في ذهن المستمع ولكونها تمثل عصارة

تجارب رجال أفذاذ خبرو الحياة والنفسية البشرية، فتقدموا، عبر طواعية ذاتية، باعطاء نصائحهم ووصاياهم الى الناس في المناسبات العامة: سوق عكاظ، سوق منى، سوق هجر، سوق عدن، الخ. وفي الحج قبل الاسلام. أطلق على هذا النوع من الناس او الاشخاص بـــ"الحكماء" وقد حفظ لنا تاريخ العرب قبل الاسلام، اقوال ونصائح مأثورة لاولئك الحكماء والتي لا زالت حية خالدة تتوارثها الاجيال، مثلا: اقوال الحكيم "الجرهمي" وخالد بن صفوان وقس بن ساعده الايادي واكثم الصيفي ووكيع بن سلمه... اما الوهابيون فلهم مفهومهم الخاص والخاطئ في تقديم النصحية للرعية. فمنذ عام 1903م لم يتوقفوا لحظة من الزمن عن اعطاء الوعظ والارشادات الدينية والاخلاقية للرعية دون تميز بين مرحلة تاريخية واخرى ودون تطوير لا في الشكل ولا في المحتوى "المضمون" في خطابهم اليومي الموجه للجمهور، فاذا كان هناك مبرر تاريخي واجتماعي وسياسي لحملة الوعظ والتبشير الديني ما بين عام 1903م الى 1930 م لاجل تثبيت اركان العرش والدعوة السلفية، فهل لهذه الحملة المسعورة التي يشهدها المجتمع ما يبررها بعد مضي اكثر من سبعين عاما على توحيد البلد واستقرار النظام السياسي والايديولوجي فيه؟ ناهيك عن جملة التطورات الملموسة والهامة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي التي عصفت بالمجتمع منذ اوائل الستينات بفضل تدفق البترول بكيمات هائلة وارتفاع اسعاره؟ وهل ادى "النصح الوهابي" الى الحد من "الانحرافات السلوكية" ما بين صفوف الامراء والمواطنين وهل خفف من حدة انتشار الظاهرات المرضية التي عصفت بالمجتمع" ام زادها أنفلاشاً وانتشارا كما سنرى؟

من هنا يكمن الفرق الجوهري بين نصيحة القدماء التي تنطلق من فعل ارادي، انساني محض ولشعور هذا الحكيم او ذلك ما توصل اليه، بعد تفكير عميق، من وعظ وارشاد وعبر غنية قد تسهم في انارة الطريق امام الاخرين، فيقف واعظا ومعلما امام الملأ في المناسبات العامة، فيتلقفها الجمهور المتعطش للمعرفة الى سماع اقوال هذا الحكيم، فتستقر كلماته في اذهانهم مثل نقش في حجر ويتذكرون بخير اصحاب تلك الاقوال المأثورة، وبين نصح ووعظ وهابي تنطلق دوما من واقع التسلط ومن فعل أمر فارغ من كل محتوى او تجربة انسانيةومصحوبة بعين حمراء وبمراقبة بوليسية، اخلاقية شديدة لتنتهي بعقاب صارم وفوري.

ان الفرق بين الاثنين بين النصيحتين ليس درجي بل نوعي "جوهري" ولكي لا يكون الحكم محض افتراء او تجريح لخصومنا السياسيين "الوهابيين" نطرح هذا السؤال: هل قرأ او سمع القارئ العربي عن "حكيم واحد وهابي" فمن هو وما هي اقواله المأثورة؟ بالرغم من مرور(250 عاما) على وجود الدعوة الوهابية وبالرغم من العدد الكبير للعلماء والدعاة الوهابيين؟

ودونكم بعض الأقوال والحكم المأثورة لبعض حكماء العرب القدماء."قيل للحكيم قس بن ساعده الايادي، ما افضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل لنفسه وهو قول مطابق او مشابه لقول الفيلسوف اليوناني "أرسطو": اعرف نفسك وللنبي محمدﷺ قول مشابه رحم الله امرئ عرف "قدر نفسه" فهل عرف الوهابي نفسه او قدره؟ ويكفي فخرا لهذا الحكيم، بان نبي الامة سمعه وهو شاب فتأثر ببعض اقواله. سمع الرسول، قس بن ساعده يخطب في سوق عكاظ وهو على جمل احمر قائلا: ايها الناس اجتمعوا واسمعو ووعوا فاذا دعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، مالي ارى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا فاقاموا ام حبسوا فناموا[1].

أما اقوال الحكيم "أكثم بن صيفي التميمي": يا بني تميم لا يفوتكم وعظي ان فاتكم الدهر بنفسي ان بين حيزومي وصدري لبحرا من الكلم لا اجد له مواقع اغير اسماعكم فتلقوها باسماع صاغية وقلوب واعية تحمدوا عواقبها".

أما الحكيمة "امامة بنت الحارث، قبل الاسلام، تنصح ابنتها ليلة زفافها قائلة لها كلاما يدل على فهم عميق للحياة الاجتماعية وطبيعة الرجال في ذلك العصر:

إن الوصية تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، اي بنية انك فارقت الجو الذي فيه خرجت وخلقت والعش الذي فيه درجت الى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فاصبح بملكه عليك رقيبا، فكوني له امه يكن لك عبدا. أحملي عني عشرة خصائل تكن لك ذخرا: الصحبة بالقناعة ولا تفشي له سرا فانك اذا فشيت سره لم تأمني من غدره..الخ[2].

---

1 الدكتور جواد علي،المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،دار العلم للملايين- بيروت 1968م الجزء الخامس ص 371

2 الدكتور جمال الدين الرمادي"شخصيات مشهورة ومغمورة" مطابع الدار القومية.القاهرة. دون تاريخ.

واليوم يشجع رجال الدين الوهابيون، المرأة على ان تفشي اسرار زوجها هل هو يصلي بانتظام ام لا؟ هل يصوم أم لا؟ هل يشرب الخمر أم لا؟ وهم بهذا العمل المشين واللاأخلاقي، يساعدون عن عمد، هدم الاسرة ويمهدون الطريق لدخول المرأة، للعالم المخابراتي "لصالح" الفاتيكان الوهابي، والان كيف فهم الوهابيون النصيحة وكيف مارسوها على الشعب؟

إتبع رجال الدين في "المملكة" اساليب وطرقا متعددة مباشرة وغير مباشرة لايصال نصائحهم ووصاياهم الى "الرعية "المواطنين مستخدمين ومستغلين في الوقت نفسه كل امكانيات الدولة، المادية والاعلامية لنشر الوعظ الممزوج دوما بأساليب القهر والاكراه.

منبر الجمعة: شكل ولا زال، اهم اتصال مباشر وواسع ومستمر مع الجمهور، حيث يجتمع اكثر من ثلاثة ملايين مصل، في يوم الجمعة تضمهم مئات الجوامع والمساجد الكبيرة والمنتشرة في جميع انحاء البلد، يستمعون في آن واحد للوعظ الديني والاخلاقي من هذا الخطيب الوهابي، او ذاك، ولحد الان مرت اكثر من (3890 خطبة جمعة) اي 74 عاما وجوهر الخطاب الديني واحد لم يتغير، محافظا على ايقاعه الثلاثي الجامد والرتيب.

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم

إبتعدوا عن المعاصي والشهوات

استعدوا ليوم الحساب والعقاب

وفي نهاية السبعينيات واوائل الثمانينيات، بدأ الخطباء الوهابيون يلقحون خطابهم التقليدي ببعض القضايا السياسية التي تفرضها قوة الاحداث السياسية في المنطقة: تمرد جهيمان بن عبد الرحمن العتيبي في مكه في شهر اكتوبر عام 1979م وقيام الجمهورية الاسلامية في ايران وتصاعد المقاومة الفلسطينية وبروز المقاومة الأفغانية ضد الوجود العسكري السوفياتي في افغانستان ما بين عام 1978 و 1989 والدعم المادي والمعنوي الذي قدمه النظام والوهابيين لتلك المقاومة...الخ. وغالبية المصلين يستمعون بشكل آلي الى وعظ وقائد منبر الجمعة وهم في نفس الوقت في شرود ذهني وصراع داخلي عنيف بين مفهوم النصيحة وبين الاجبار على المجئ بالقوة. لا يفيق المصلون من شرودهم إلا على "كلمة" السلام عليكم ورحمه الله السلام عليكم ورحمة الله فيهرول الأكثرية الى بيوتهم ناسين ما قاله الخطيب الوهابي توا.

فهل ادت نصائح منبر الجمعة رسالتها ووظيفتها؟ وهل اثرت في اذهان وقلوب الجماهير؟

الجواب واضح: انتشار المخدرات بين صفوف الشبيبة ناهيك عن الادمان على الكحول انتشار الجرائم الفردية والمنظمة، اتساع رقعة الفساد والرشوة داخل "الفاتيكان الوهابي" وخارجه، الهجرة الاسبوعية والموسمية الى الخارج، تاركين وراءهم نصائح وارشادات الخطيب الوهابي.

ب - توافق على اثر "الطفرة البترولية" التي شهدتها البلاد ما بين عام 1975م و1983 وتنعم المواطنين بقطرات بترولية "طفرة وهابية" في النصح والارشاد واخذت تلاحق الجمهور خارج المساجد والجوامع، ذلك بتنظيم المحاضرات الدينية المكثفة في طول وعرض "المملكة ثم اقدم الوهابيون لاول مرة على احياء المهرجانات الشعبية للشبيبة لتكون مناسبة هامة لسماع النصائح والوعظ الديني والاخلاقي ولفرض "هيبة" لكبار علمائهم داخل الوسط الشعبي. بالرغم من ان هذه الظاهرة بمثابة "بدعة وهابية" لانها لم تكن معروفة او مقبولة من السلف الوهابي. فهم يكرهون اي نوع من التجمهر ولا يحبذون ذلك ومع هذا دفعتهم مصالحهم الضخمة الى اتباع مثل هذا الاسلوب ليس مسايره للزمن والتطور، بل حفاظا على سلطة ومكانة "الفاتيكان الوهابي" واستمرار رسالته. ومنذ اوائل الثمانينيات أُلقيت مئات المحاضرات الدينية داخل المجتمع لتصل الموجه الوعظية الى قمتها في اوائل التسعينيات، حيث نجد هناك اكثر من الف محاضرة دينية واخلاقية في الشهر، ويكفي الاشارة الى ان منطقة الرياض لوحدها مؤخرا استمع مواطنوها والاجانب فيها خلال الثلاثة اشهر الاولى من عام 1997م الى 133 كلمة وخطبة و299 درسا ومحاضرة دينية قام بتنفيذها (466 منشطا داعيا تابعا لهيئة الامر بالمعروف[1] ناهيك عن القضاة والاساتذة الجامعيين ترى كم هو العدد الحقيقي[2] في عموم مدن المملكة؟

---

[2] أما جريدة "الرياض" الصادرة بتاريخ 15 فبراير – شباط 1999م. فقد ذكرت "ثمان وعشرين ألف منشط، قاموا بـــ432 جولة دعوية وزيارات ميدانية.

نصائح موجهة لملوك آل سعود: تقليد وهابي، قديم، قدم العلاقة بين آل سعود والدعوة الوهابية، ارسى هذا التقليد وسار عليه السلف عن الخلف بدءا بالشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الدعوة ثم ابناؤه من بعده. وكانت المشورة، النصح في الدولة الوهابية الاولى 1745- 1818م ثم الدولة الوهابية السعودية الثانية 1824م الى 1887م محصورة في بيت لآل الشيخ، ولكن منذ عام 1903م اخذت النصائح والارشادات الموجهة للملك السعودي منحى آخر لا تقتصر على عائلة ال الشيخ بل اصبحت اكثر وضوحا وانتظاما ودقة من الحالة الاولى، فرضتها شكل ونوعية القيادة الجماعية الجديدة للمؤسسة الدينية الوهابية التي برزت عام 1903 واخذت تشارك العرش في كل شيء بل وتراقبه على طريقتها الخاصة. وظل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، يجتمع بالعلماء من كبار رجال الدين الوهابيين ويستمع الى نصائحهم وتوجيهاتهم مرة واحدة، في الاسبوع في الايام العادية، باستثناء فترة الحروب والحملات العسكرية، واستمر هذا التقليد حتى عام 1953 حتى وفاة الملك عبد العزيز. وجاء الملك سعود واستمر بتلقي النصح والوعظ من كبار العلماء من 1954م الى 1964م مرة واحدة في الاسبوع و لم يشذ عن هذه القاعدة لا الملك فيصل 1964 الى1975م ولا الملك خالد 1975م الى 1982م وتطالعنا الصحف اليومية في كل يوم ثلاثاء بالنبأ التالي: اجتمع الملك فهد بن عبد العزيز بالعلماء والمشايخ جريا على العادة الملكية، دون نشر او ذكر بعض تفاصيل ما دار في هذه اللقاءات الدورية الثنائية ولا عن شكل النصائح التي سددها نخبة من العلماء، ورجال الدين بدورهم لم ينشروا لحد الان اية معلومات عن هذه الاجتماعات وعن طابعها وهل يصغي ويستمع لها العاهل السعودي وما هي ردود فعله؟ وتعتبر النصائح الموجهة للملك اثناء الاجتماع به سرا وهابيا، بل السر الاعظم لانه ليس من اللائق، حسب تعبيرهم ومفهومهم، نقد إمام المسلمين وقرة عين الموحدين، امام الرعية او الكشف عن بعض عيوبه او سلبيات بعض مواقفه، لكي لا تهتز صورته في اذهان الرعية فتهتز معها صورة "التوحيد". ولهذا من الصعب اختراق الجدار الوهابي السميك او المركزية الوهابية المنغلقة لمعرفة ماهية النصائح او المواد التي نوقشت مع العاهل السعودي. واحيانا نادرة يقوم بعض كبار العلماء الوهابيين، بنشر بعض الرسائل الموجهة للملك على شكل نصائح وانتقادات فرضها عليهم، البعد الجغرافي لموقع الملك مثلا في جدة والطائف ولتجاوزه الخطوط الحمراء الوهابية مثل رسالة العلماء الوهابيين للملك عبد العزيز التي ينتقدونه فيها على احياء

احتفال رسمي بمرور ست سنوات على اعتلائه عرش الحجاز عام 1930م فطلب منه العلماء، بعدم تكرار مثل هذه المنكرات وان الاسلام لا يعرف الا عيدين عيد الفطر وعيد الأضحى، وقد التزم الملك فيما بعد بتوجيهات العلماء، وكذلك رسالة الشيخ ابن باز التي وجهها للملك فيصل بن عبد العزيز عام 1970 عشية سفره للامم المتحدة ينصحه بان يعمل كذا وكذا لخدمة الاسلام.

وظل اسلوب النصح المباشر مستمرا دون معارضة او نقد له حتى نهاية عام 1990م حيث تعرض "الفاتيكان الوهابي" لاول مرة الى هزة عنيفة من داخله، على اثر ارتفاع اصوات بعض الدعاة والكوادر الدينية والاساتذة بالجامعات الدينية تندد بابقاء " القوات الاميركية" على ارض الانبياء "ومطالبين بالاسراع في وضع برامج الاصلاح منتقدين في الوقت نفسه "العلاقة الضيقة والقائمة بين نخبة من العلماء الوهابين وبين الملك السعودي، لاحتكار المشورة والنصح، فقدموا مشروعهم الاصلاحي "للامة" عبر كراس اطلق عليه بـــ "مذكرة النصيحة" ومن عنوان الكراس او المذكرة، يستنتج القارئ على مدى تشرب ذهن الوهابي المتشدد ضد العرش او المتعاون مع العرش السعودي بمفهوم "النصيحة" وقاموا بنشر مذكرتهم هذه علنا شارحين فيها مواقفهم واراءهم في اصلاح الامة وتعرضوا في مذكرتهم الى نقد العاهل السعودي علنا بعد تقديم نصائحهم كما ورد في كراس "النصيحة" مما ولد ردود فعل قوية وسريعة داخل التيار الديني الرسمي، تيار الشيخ ابن باز وهيئة كبار العلماء، فاسرعوا في نقد اصحاب "مذكرة النصيحة" متهمين عملهم هذا بانه تجاوز خطير لتقاليد وهابية عريقة قائمة على "المركزية الوهابية" في تقديم النصيحة للامام عبر القنوات السرية لا العلنية. واليكم بعض مقتطفات من البيان الرسمي المطول في نقده لاصحاب مذكرة النصيحة".

ان مجلس هيئة كبار العلماء يستنكر الطريقة التي سلكت في نشر وتوزيع وما كتب في ذلك ويحذر من مغبة مثل ذلك مستقبلا ويرى ان الطريقة التي استخدمت في نشر وتوزيع ذلك لا يخدم المصلحة ولا يحقق التعاون على البر والتقوى. ان نصح الأئمة المسلمين يكمن في ارشادهم سرا بينهم وبين ناصحهم[1].

---

[1] مجلة إقرأ. العدد 721 بتاريخ 12-4-1991م.

هذا البيان واضح وصريح على مدى تمسك كبار العلماء الوهابيين بأن يكون نصح الأئمة دومابالسر، بعيدا عن أعين الرعاع، الرعية، ولا يتهاونون في موقفهم الصارم هذا

ويصف الشيخ عبد الله بن منيع، عضو في هيئة كبار العلماء "هيئة كبار العلماء" قائلا: هي مجلس شورى لولي الامر وفي نفس الوقت هي همزة وصل بين "ولي الامر والرعية" يقدم هذا المجلس لولي الامر الكثير من التوصيات بما فيه مصلحة البلاد"[1].

يبقى السؤال الكبير والهام، هل ادت النصيحة الوهابية وظيفتها وهل تجاوب معها ملوك وامراء آل سعود؟! ومن يراقب السلوك العام لمجموع أفراد الاسرة المالكة رجالا ونساءا يجد هناك قاسما مشتركا في سلوكياتهم وتصرفاتهم الخاصة والعامة: التبذير والاسراف واستئثار كامل بالثروة وبالسلطة بجانب استخفاف كبير بالشعب ومقدراته...الخ ولكي لا ننبش قبور الاسرة المالكة، نشير هنا فقط الى "سلوك ولي الامر الحالي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز فالعلماء الوهابيون يجتمعون به مرة كل اسبوع ولنقل مرة واحدة في الشهر لكثرة سفر الملك للخارج، وبما ان الملك فهد في الحكم منذ ثمانية عشر عاما ولا يزال يكون "كبار العلماء" اجتمعوا به اكثر من (216 مرة" فهل ناقش مجلس هيئة كبار العلماء معه، اي الملك، الظاهرة الخطيرة في بناء القصور الضخمة في كل مدينة من مدن المملكة وشراء عشرات القصور الملكية في اوروبا والعديد من اليخوت الفاخرة؟ ناهيك عن مساهمة بعض "الامراء" في المتاجرة بالمخدرات وأنتشارها في عموم البلد؟ فاذا قال رجال الدين، باننا تطرقنا الى هذا الموضوع اكثر من مرة مع "ولي الامر" فهذا يعني ان نصائحهم في واد وسلوك "ولي الامر" في واد آخر، واذا كانوا لم يتطرقوا أساساً، لمثل هذه الامور مع الملك، وهذا ما نعتقده، فقد خانوا الامانة. وما جدوى نصائحهم ووعظهم للرعية دون الرأس؟

<u>النصيحة المتحركة</u>: بدعة"وهابية سعودية" تشكل اسوأ انواع النصح في تاريخ العرب قبل وبعد الاسلام الى وقتنا الحاضر، لكونها تثير ازعاجا واضطرابا لا حدود له في نفسية وذهنية المواطن والاجنبي المقيم في بلد الموحدين، فمن سمع او قرأ بأن هناك نصيحة تثير الخوف والفزع وتخرج الانسان العاقل من طوره؟! اللهم الا النصحية الوهابية التي

---

[1] مجلة اليمامة: العدد 14254 بتاريخ 5-10-1996م.

يطلقها الاف من رجال الدين "المطاوعة" بشكل يومي في جميع انحاء "المملكة". لماذا النصيحة الوهابية بالذات؟ لكونها نصيحة متحركة تلاحق وتستفز الانسان في الشارع، في الازقة والاسواق والدوائر الحكومية وشبه الحكومية...الخ. نصيحة تنطلق من تدخل سافر ومشين على ما تبقى لهذا المواطن والمواطنة من حركة في تدبير اموره الشخصية ولا اقول على ما تبقى من حريته الشخصية لان هذه الاخيرة مفقودة منذ زمن طويل، ولو بأبسط اشكالها للتناقض الصارخ بينها وبين سلطة المطوع في الشارع العام.

والنصيحة المتحركة، مجموعة اوامر شفوية ابوية صارمة لا تقبل التلكؤ او الجدل ولو للحظة واحدة من الزمن، تنطلبق من افواه رجال لا يعرفون معنى النصح، بل لا يعرفون الابتسامة ولا اللياقة ولا التسامح في سلوكهم اليومي، فهم في حركتهم المسرحية اليومية، فاقدين الحس الحضاري تجاه الاخر، ينصحون ويعظون الجمهور في كل مكان وهم كفر الوجوه، يتطلعون لانزال "العقاب" بفارغ الصبر، خاصة اذا كانت امرأة جالسة لوحدها في حديقة او مطعم!!، ليفرغوا من شحنات حقدهم وعقدهم النفسية المتراكمة منذ سنين طويلة. تراهم منتشرون في القرى والمدن يقتحمون أبواب المطاعم والمعامل والحدائق والمخيمات الخاصة للشباب، مطلقين نصائحهم في حث الجمهور على اداء الصلاة خمس مرات في اليوم. وما ان يتنفس المواطن بعد ان ادى واجباته الدينية. تنطلق "جولة" اخرى من النصائح والاوامر بأسم "الواجبات الاخلاقية" يقاسي منها الواطن والاجنبي على السواء. الامرين لان رجال الحسبة "المطاوعة" يهجمون عليه فجأة ومن عدة زوايا مثيرين الخوف والارباك والحيرة في نفسيته، لا يتركون له مسافة للتفكير!.

وتظهر ابعاد ومآسي النصيحة المتحركة من الامثلة الحية التي تتكرر، يا للخزي والعار، يوميا في ارض المملكة. ودونكم بعض العينات من تلك الصور المأسوية.

المشهد الاول: عصا المطوع ترتفع فجأة وتهوى على ظهر امرأة بريئة، نزع الحجاب فجأة، بعض السنتميترات وللحظات، عن وجهها لتتفحص بضاعة ما ترغب بشرائها، صارخا في وجهها، الستر يا مرة" كم مرة يتكرر هذا المشهد المأساوي واللانساني في مدن واسواق المملكة؟

المشهد الثاني: مجموعة من الشباب، طلبة، موظفين، رجال اعمال...الخ سأموا من رتابة الحياة اليومية في هذه المدينة او تلك ومن تكرار المشاهد المخزية للمطاوعة والدعاة

وهم يسوقون الشعب الى "مرابض الطاعة" اتفقوا فيما بينهم على الخروج من "الجنة الوهابية الكاذبة" الى الجنة الطبيعية، الصحراء، ابتعادا عن اعين رجال الدين وتكشيرة المطاوعة لاستقلال موسم الربيع والتمتع، ولو مؤقتاً، بالمناظر الخلابة للصحراء في مثل هذا الموسم. وبينما هم في عز ارتياحهم وانشراحهم وصفاء ذهنهم تقف فجأة امام مخيمهم سيارة يابانية فاخرة، ينزل منها عدد من المطاوعة، يرغبون زيارة المخيم. وهم في الحقيقة جاءوا ليتجسسوا على احوال الشبيبة: هل هم مجتمعين على منكر: خمر، نساء؟ هل هناك آلات طرب موسيقية تلهيهم عن قراءة كراريس ونصائح كبار أئمة الدعوة السلفية ؟ هل هم مجتمعين لغرض"علماني"؟ اي يناقشون افكار علمانية!!، واذا لم يجدوا اية اثر لهذه "التهم" المسبقة يقف أحد المطاوعة مخاطبا الشبيبة قائلا: الحمد الله انتم شباب صالحون من هو امامكم في الصلاة؟ يرد احد الشبيبة قائلا: فلان. فيهز المطوع رأسه ناصحا: انتم، اذا، بحاجة ماسة الى كراريس ائمة الامة فيسرع احد المطاوعة لينزل كرتون او عدة كراتين تحتوي على كراريس دينية وفقهية واشرطة لاشهر الدعاة الوهابيين. قائلا لهم: انشاء الله غدا او بعد غد نرسل لكم احد الدعاة الصالحين يعظكم. هل يجرؤ احد ان يقول لهم لا؟!

المشهد الثالث: شاب خريج احدى الجامعات الاميركية عاد متحمسا الى خدمة بلده، فوجد وظيفة محترمة في احد الوزارات. وذات يوم دخل عليه صديق قديم له ميول سياسية معروفة لديه، فرحب الشاب بصديقه واخذ يتكلم عن النهوض الحضاري الذي يشهده البلد وعن الحرية النسبية التي بدأ يتمتع بها المواطن الان ونأمل المزيد ولكن بشكل تدريجي هادئ. وفجأة دخل مطوع مكتبة منبها "الصلاة يا جماعة، فهز الصديق القديم رأسه مخاطبا الخريج: اي ديمقراطية اي حرية نسبية، هذه التي تتكلم عنها. وهذا "المطوع" اخترق كل الحواجز ودخل مكتبك لينبه اثنين جالسين في غرفة؟!

المشهد الرابع: لا يقل مأساوية وخزيا عن المشاهد – الآنفة الذكر - ويتكرر دوما: مجموعة من المتعلمين والمثقفين والكوادر العلمي، سواء من ابناء هذا البلد او من جنسيات اخرى، يتجاذبون اطراف الحديث في هذا المقهى اوذاك وبينما هم في عز نقاشهم الثقافي او السياسي والفكري وفي عز صفائهم الذهني ومتابعتهم للموضوع بحرص شديد، فجأة يقف امامهم شاب قصير الثياب وكثيف اللحية صارخا في وجههم دون ادنى أدب او لباقة، الصلاة يا جماعة، واحيانا يضرب الطاولة بعصاه، فينقطع الحديث ويرفع الجميع رؤوسهم البعض تعود على هذا المشهد وتأقلم والبعض جديد عليه،

يتطلعون الى هذا الشاب المتوهب ولسان حال كل منهم ينطق اويغلي داخليا، ايعلمنا الاسلام واحنا بهذا العمر، ابن الوهابية؟ ومع ذلك يغادر الجميع المقهى الواحد بعد الأخر، البعض يتجه فعلا نحو المسجد او "الجامع" لاداء صلاة مسلوقة اي سريعة دون وضوء ودون رغبة "كفاية شر الوهابي، والبعض الاخر يهيم على وجه في ازقة او شوارع المدينة حتى ينتهي موعد الصلاة ليعود الى مكانه وكل واحد منهم يتسآل بألم مع نفسه: الى متى وهذه النصيحة المتحركة والمؤذية مستمرة؟!

المشهد الخامس: استاذة جامعية، جالسه مع ولدها "الشاب" في الحديقة العامة بمدينة الرياض لترفه عن نفسها قليلا من حرارة الجو الخارجية ومن حرارة "القهر الوهابي" الداخلية. فطلبت من ابنها "ان يشتري ايسكريم" وبعد خمسة دقائق عاد "الابن" ليجد ثلاثة اشخاص "مطاوعة" مطوقين امه يسألونها لماذا هي جالسة وحدها هنا؟!

اي طعم لنزهة واية افكار او راحة نفسية في الحدائق "الوهابية"؟ اذا جلست لوحدها خضعت للاستجواب واذا جلست مع شاب خضعت للاستجواب والعقاب ماذا تفعل المرأة وكيف تخلص من "النصيحة" الوهابية المتحركة؟

5– مجتمع الناطقين[1]

الصفة الغريبة والملازمة للمسار الطويل للمجتمع الوهابي السعودي هي كونه مجتمعا خاضعا في نفس الوقت الى سلطتين الى "ناطقين مستبدين" ينطقان باسمه فقد عرفت المجتمعات البشرية قديما او حديثا، ولا زالت، ظاهرة المستبد السياسي الأوحد والمتفرد بالسلطة بشكل مطلق، سواء كانت تلك المجتمات خاضعة لانظِمة ملكية او جمهورية، وضعية او دينية ولم تعرف، خاصة المجتمعات الشرقية ظاهرة مستبدين فعليين يديران في آن واحد مجتمعا مدنيا واحدا، فهذه الظاهرة تقتصر فقط في مرحلتنا الراهنة، على المجتمع في الجزيرة العربية" السعودية، حيث نجد هناك ناطقين شرقيين، كليي الجبروت: يتقاسمان في آن واحد ادارة مجتمع مدني واحد، وكل ناطق منهما له صلاحياته المطلقة في ادارة شؤونه او مسؤولياته داخل المجتمع بحرية كاملة دون المساس بمصالح الطرف الآخر "الحليف" والاثنان يشكلان الة قمع نفسي وجسدي وفكري يومي على الشعب.

الناطق الملكي: هو المعبر عن ارادة ومصالح الاسرة السعودية المالكة والمتمثل دوما بشخصية الملك "العاهل" السعودي، الملك عبد العزيز آل سعود ثم ابنائه من بعده: الملك سعود ثم الملك فيصل، خالد، وحاليا الملك فهد، المطلق الارادة في تصريف شؤون العرش والاسرة المالكة ولا يحق للرعية التدخل في شؤون صلاحياته ولا الاطلاع او معرفة ما يجري داخل القصور الملكية، كما وانه لا يحق للقضاء الوهابي محاكمة اي امير سعودي، بل يمتثل الامير الى محكمة "ملكية" خاصة متفق عليها مسبقا بين العرش والعلماء الوهابيين. والمواطن غني عن التعريف بصلاحيات الناطق الملكي، فهو منذ الصغر يخضع الى تربية خاصة تكرس فيه كل ابعاد الطاعة الى"ولي الامر"، "الملك" وبما ان الناطق الملكي يمثل رمزيا "امام الموحدين – الوهابيين.، فان "بيت مال المسلمين" هو امتداد طبيعي للبيت

[1] من أراد معرفة "صلاحيات العرش وصلاحيات العلماء، وعن طبيعة تقاسم السلطة. بين الاثنين عليه مراجعة كتاب المؤلف "العلماء والعرش" ثنائية السلطة في السعودية.

السعودي، يغرف منه الناطق الملكي ما يشاء وفي اي وقت شاء، ولا خلاف في هذا بين "الناطقين". والذي يهمنا ويهم القارئ هنا، هو معرفة صلاحيات "الناطق الاخر" الذي كان يعيش ولا زال دوما في ظل ثقافة الرقابة الشمولية على المجتمع وضع المرأة ،حاضرها ومستقبلها تقبع بيده! ناهيك عن بعد سلطته القضائية.

الناطق الديني الأوحد: هو "حبر الأمة" بابا الوهابيين، الناطق الاوحد بأسم الدين او "الفاتيكان الوهابي" وكلامه وفتاويه غير قابلة للنقد او حتى الجدل فهو الرمز الشرعي الاعلى لرجال الدين، وعصارة فكرهم ومحط افتخارهم ويجلون من مقامه كما يجل رجال الكنيسة الكاثوليكية "الاكليروس" رمزهم الديني الاعلى، البابا، في القرون الوسطى، ومساحة حركة وصلاحيات الناطق الديني الوهابي الاعلى اخطر من حليفه العرش فيما يخص "حرية المواطن الشخصية وتقدم المجتمع، كما سنرى، فالناطق الملكي "العرش، حام للشرع والناطق الديني الاعلى الممثل الفعلي لقوانين الشريعة والساهر على تطبيقها نصا وروحا على الرعية، طبعا، فهو ليس مفتي اكبر كمفتي الازهر او مفتي لبنان او مفتي الجمهورية في سوريا، العراق الجزائر، او المغرب، فهؤلاء ممثلو لدولة وتابعون لامرة رئيس تلك الدولة او ذلك، الملك اما الناطق الديني الوهابي الاوحد فهو شيء اخر فهو دولة بحد ذاتها او دولة داخل دولة فهو قانون ديني اجتماعي متحرك ولا يجرؤ احد من الرعية او من داخل القصور الملكية السعودية على النطق او الرفض العلني لهذه الفتوى او تلك من الفتاوى التي يصدرها الرمز الاعلى "للفاتيكان الوهابي" فالجميع يلتزم بها على قناعة او دون قناعة وان جاءت هذه الفتاوى اوتلك الاوامر والنواهي لا تنسجم وسلوك وتطلعات وقناعات الامراء والاميرات وتحد من حركتهم في الشارع والمجتمع، فهم مضطرون ان يلتزموا ظاهريا على الاقل، بعدم المعارضة وان لِا يظهروا استيائهم لاوامر حليفهم التاريخي"الناطق الديني الاكبر، ما دام الامر متعلقا بالرعية. لا يعنيهم وما دامت تلك الفتاوى والوصايا الدينية لا تطبق على ما يجري داخل قصورهم الضخمة.

وعلى الرغم من ان كثيراً من الامراء السعوديين الكبار، ناهيك عن الامراء الشباب، يتأففون في كثير من الاحيان من الاحكام والقرارات التي يصدرها الناطق الديني الاعلى ويشاطرهم هذا التأفف الملك فيصل بن عبد العزيز، خاصة تجاه الفتاوى المضادة لروح العصر ولا يقرها المنطق والتي تثير لهم كثيراً من المواقف المحرجة داخليا وخارجيا ومع ذلك يلتزمون ولا يبدون استيائهم او نقدهم علنا لهذه الفتوى او تلك خاصة في

اللحظات الاولى او الاشهر الاولى من اصدارها وليس هذا مرده "البعد الديمقراطي" في الموقف الملكي ولا هو صدفه ولا حكمه، بل هو اتفاق مسبق ومنذ زمن طويل بين العرش والعلماء خاصة ان الاول يعلم جيدا مدى اتساع القاعدة الاجتماعية الوهابية التي يعتمد عليها "الناطق الديني الوهابي، والامثلة في هذا المجال عديدة: "فتوى تبيح قتل سائق سيارة دهس مسلم وفي الحال[1] وانعكاسات هذه الفتوى بين صفوف الدبلوماسيين.

وعندما أصدر "الناطق الديني الاكبر الشيخ ابن باز "كراسه الشهير الذي انكر فيه كروية الارض[2] عام 1974م فأستاء الملك فيصل بن عبد العزيز من الاراء التي اوردها الشيخ ابن باز ولكنه التزم ظاهريا مثل الجميع[3] وبالمقابل عرف رجال الدين الوهابيون كيف يخلقون هاله قدسية لشخصيات معينة من كبار علمائهم وخاصة رمزهم الديني الاعلى عبر احاديث دينية لتعزيز "الصورة القدسية" لناطقهم الديني الاكبر في نفوس المواطنين البسطاء مثال: العلماء هم خلفاء الرسل، راجع مجتمع الطاعة.

كيف يطبق الناطق الديني الاكبر صلاحيته؟: يعتقد كثير من الكتاب والباحثين، بان منصب "الناطق الديني الوهابي الاكبر هو حديث عهد، وصلاحياته الدينية والسياسية لا تتخطى صلاحيات المفتي الاكبر في مصر او سوريا...الخ وهو اعتقاد خاطئ يعبر عن عدم معرفة حقيقية بتاريخ الدعوة الوهابية وعلاقتها بالعرش السعودي اولا وعن دور وصلاحيات الناطق الديني الوهابي الاكبر، داخل المجتمع الوهابي – السعودي ثانيا، فمنصب الناطق الديني الاوحد، لم يكن حديث عهد ولا هو ظاهرة عابرة في تاريخ الجزيرة العربية الحديث، بل ان هناك تراثا دينيا ونفسيا لهذه الظاهرة الضاربة جذورها في اعماق المجتمع النجدي منذ عام 1744م اي منذ بداية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الدعوة الوهابي وانفاقه مع "محمد بن سعود شيخ الدرعية، آنذاك، على نشر الدعوة وتقاسم السلطة بينهما: القيادة العسكرية .وادارة شؤون القرية والقرى التي

---

1 أصدر بابا الوهابيين الشيخ محمد بن إبراهيم هذه الفتوى عام 1955م.

2 كان الشيخ ابن باز رئيسا للجامعة الاسلامية في المدينة المنورة بجانب مهماته الدينية وقد القى على الطلبة سلسلة من المحاضرات "انكر فيها كروية الارض كما اشرنا سابقا.

3 الرد الرحيد الذي جاء من وسط رجال الدين ناقدا آراء الشيخ ابن باز ومؤكدا على كروية الارض كان للعالم العراقي الشيخ "محمود الصراف الذي كان يعيش لاجئا سياسياً في السعودية آنذاك.

خضعت لهما فيما بعد بيد "الامير محمد بن سعود". والامور الدينية والثقافية وعقد الاتفاقات "السلم" او "الحرب" بيد الناطق الديني الاوحد الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب، وإية "فتوى" يصدرها تلزم الجميع ومات الشيخ ابن عبد الوهاب عام 1792م فحل محله ابنه الشيخ حسن ثم ابنه علي، ثم حبر الامة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ثم الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب المتوفي عام 1860م ثم ابنه الشيخ عبد اللطيف المتوفي عام 1882م ثم العقل المؤدلج للحركة السلفية الحديثة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف المتوفي عام 1921م ثم بابا الوهابيين الاشهر الشيخ محمد بن ابراهيم المتوفي 1969م ثم الشيخ عبد العزيز بن باز منذ عام 1975 م الى يومنا هذا[1] وهذا الاخير اخرج منصب الناطق الديني الاوحد من الظل الى النور، بفعل خصائص عصره التي تختلف عن الذين سبقوه: تطور المؤسسة الدينية الوهابية حتى وصلت الى شكلها "الفاتيكان" حاجة هذا الفاتيكان الوهابي الى شخصية دينية قوية تدافع عنه ضد اعدائه في الداخل والخارج، طموح رجال الدين الوهابيين لقيادة العالم الاسلامي السني، سرعة التطورات الحضارية التي شهدها المجتمع الوهابي السعودي بعد الطفرة البترولية...الخ، الشيخ ابن باز بقدر ما عرف عنه من تعصبه الشديد وانغلاقه ورفضه لحين وفاته مصافحة الشيعي او المسيحي ناهيك عن ضيق افقه في رؤية الاشياء، بقدر ما عرف عنه أيضاً من جرأة وشجاعة، نادرتين ضمن وسط كبار العلماء الوهابيين، في طرح افكاره ومعتقداته ومدافعا صلبا عن مصالح"الفاتيكان الوهابي" سواء امام العرش وطموحاته او امام "التيار الشعبي الناهض، كما وانه يتمتع بطاقة ونشاط ديني-ثقافي لم نعهدهما في السلوك العام لشيوخ الحركة الوهابية السابقين فهو يؤلف الكراريس الفقهية والدينية والسياسية ويترأس اجتماعات اللجنة الدائمة لهيئة الافتاء ولجنة كبار العلماء ويخطب ويحاضر تقريبا كل شهر مرة واحدة في هذه المدينة او تلك ويرد على اسئلة المواطنين خاصة في الثمانينات والتسعينيات كما ويراقب بدقة القوانين التي تصدرها الدولة ومقارنتها مع الشرع، بل ويراقب مفردات اللغة التي تستخدم داخل اجهزة الدولة خاصة شعبة الخبراء في مجلس الوزراء كما سنرى. وقد اصدر الناطق الاكبر حتى عام 1999م اكثر من عشرة الاف فتوى دينية في جميع نواح الحياة.

[1] كتبت مسودات هذا الكتاب قبل وفاة الشيخ عبد العزيز بن باز، الذي توفي مؤخرا في نهاية عام 2000م.

ماذا يدل هذا الكم الهائل من الفتاوى؟: يدل بلا لبس على أن "الناطق الديني الاكبر" وجماعته يراقبون كل صغيرة وكبيرة في حياة المواطن اليومية وعن البعد الشمولي لسلطتهم الروحية والثقافية والتربوية على المجتمع ولا يتهاون اطلاقا عن مراقبة ما تصدره اجهزة الدولة من لوائح وقوانين وتشريعات لفحصها ومقارنتها مع النص القرآني والاحاديث الشريفة، ودونكم بعض نماذج من قوة سلطة الناطق الديني الوهابي وعن يقظته وعن الثقة بنفسه وبالصلاحيات التي يتمتع بها.

اولا: اصدرت شعبة الخبراء في مجلس الوزراء، قانون العمل والعمال عام 1969 فرفض كبار العلماء الوهابيين ذلك القانون وعلى راسهم الشيخ ابن حميد رئيس المجلس الاعلى للقضاء، آنذاك والمتوفي عام 1983م والشيخ ابن باز رئيس الجامعة الاسلامية وعضو هيئة كبار العلماء وسجلوا اعتراضاهم بالشكل الاتي:

ان النظام متاثر بشكل كبير بالنصوص الغربية.

إضعاف لروح الشريعة الاسلامية وإظهارها بمظهر الضعيف في الدفاع عن حقوق المسلمين العمال وغير العمال.

يمنح العمال "حق" التجمهر والاضراب وتكوين نقابات خاصة بهم وهذا يتعارض مع الشرع، ولم يوافق العلماء الوهابيون على "نظام العمل والعمال الا بعد تنقيحة بما ينسجم وقوانين الشرع[1].

ثانيا: وقف الناطق الديني الاوحد الشيخ ابن باز، معترضا على "بنود قانون الضمان الاجتماعي لانه يتقاضى عن البعدين الانساني والاخلاقي الموجودين في جوهر الشريعة الاسلامية وبعد مناقشات مطولة بين العلماء والخبراء المختصين تم اعداد مسودة قانون "للضمان الاجتماعي منسجم مع التقاليد الحنبلية كما اشار بذلك السفير الفرنسي في السعودية آنذاك G. de bouteillet والذي كان شاهد عيان بين صديقه السوري الدكتور معروف الدواليبي الممثل عن الحكومة والملك فيصل وبين العلماء الوهابيين وعلى راسهم الشيخ ابن باز.

[1] G.De, Bouteiller: "L'Arabie Saoudite", paris puf 1981 p.148.

اما مدير التأمينات الاجتماعية في مدينة الدمام وفي خطاب له امام رجال الاعمال السعوديين في شهر مارس عام 1983م ليطمئنهم مسبقا على انسجام بنود القانون مع الشريعة الاسلامية فقد اكد لهم بانه قد تمت مراجعة احكام النظام قبل عرضه على مجلس الوزراء من قبل سماحة الشيخ ابن باز والشيخ ابن حميد.

ثالثا: مراقبة مفردات الخطاب الرسمي والتدقيق في كلماته ومصطلحاته. وبهذا الصدد احتج الناطق الديني الاكبر على تداول بعض الخبراء والمسؤولين الكبار في الدولة لكلمة "المشرع" في الخطاب الرسمي لانها من "اسماء الله الحسنى" وعليه فقد قرر مجلس الوزراء، انه بعد الاطلاع على الخطاب المرفوع من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، المتضمن انه قد يرد في بعض الانظمة والقرارات الرسمية اطلاق كلمة "المشرع" على من قام بوضع النظام ومن امثلة ذلك ما جاء بقراري مجلس الوزراء رقم 1433 في 21-9-1394هـ ورقم 439 في 21-9-1394هـ ونظرا لكون المشرع على الاطلاق هو الله وحده فان اطلاق هذا اللفظ على غيره غير لائق[1]، خط التشديد لنا وجاء الجواب من الملك: الموافقة على عدم استعمال كلمة "المشرع" في الانظمة والاعمال التنظيمية لاخرى والاستعاضة عنها بكلمة اخرى مناسبة[2].

رابعا: تعاقدت وزارة التعليم العالي في السعودية مع بعض اساتذة عرب للتدريس في مدارسها وجامعاتها وقد اكتشف رجال الدين فيما بعد قوة تأثير اولئك الاساتذة، على قاعدتهم المتوهبة والمغيبة، فخافوا من استمرار وجودهم ضمن وسطهم الاجتماعي ناهيك عن "مجال التعليم فشكوا الى "حبر الامة" الذي بدوره شاركهم تلك المخاوف فوجه رسالته الى وزير التعليم العالي يحذره ويأمره.

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الى حضرة الاخ المكرم معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله ال الشيخ: لا يخفى على معاليكم ان التعليم الجامعي مناهجه مختلفة من دينية ودنيوية والاساتذة القائمون على التعليم كثير منهم جاء من بلدان لا يخفى عليكم حالها وقد نشأ من ذلك تاثير بعض الافكار على بعض الطلبة تأثيرًا ليس بمحمود. وبناء على ذلك فانني ارى ان تعتني بهذه الناحية عناية خاصة وذلك بتعيم المحاضرات في

---

[1] الدكتور محمد عبد الجواد: التشريع الاسلامي في المملكة العربية السعودية مطبعة جامعة القاهرة1977 ص 121.
[2] الدكتور محمد عبد الجواد: المصدر السابق ص 122.

جميع الجامعات وبتولى القاءها من يصلح لذلك ويمكن معاليكم التنسيق بينكم وبين الجهات الدينية، للقيام بهذه المهمة[1] وسرعان ما استجاب الوزير لاوامر الناطق وقام" بتنظيف" وزارته من الاساتذة المشبوهين من العلمانيين والمتنورين[2].

خامسا: عشية استعداد الملك فيصل بن عبد العزيز للسفر الى نيويورك عام 1970م لتمثيل بلاده في ذكرى مرور 25 عاما على تأسيس الامم المتحدة. وجه الناطق الديني الاعلى نصائحه وتوجيهات الى الملك فيصل بن عبد العزيز قائلا:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الى حضرة جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز وفقه الله لكل خير وبارك في حياته امين: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: حفظكم الله لا يخفى على جلالتكم مركزكم العظيم الذي هو محط آمال المسلمين بعد الله عز وجل وذلك بسبب ولايتكم لقبلة المسلمين ومهاجر الرسول الاعظمﷺ فمن هذه البقاع المباركة شع نور الرسالة فأضاء الكون ومزق استار الظلام. اقول: انه بحكم ولايتكم لهذه البقاع المقدسة وميراثكم لتراث الاسلام الكرام فانه يتحتم عليكم ولا شك حمل راية الدعوة الى هذا الدين القويم وراية الجهاد في سبيل الله حيث امكن. وقد فعلتم ذلك مشكورين فالحمد الله على توفيقكم لذلك. فالى الله تعالى وهو اصدق القائلين تحذيرا للامة من كتمان الحق وتشجيعا على الجهاد والدعوة "واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتو الكتاب لتبينه للناس ولا تكتمونه" وقال النبي ﷺ في خطبته يوم الحج الاكبر: الا فليبلغ الشاهد الغائب" وقد هيأ الله في هذا العصر من اسباب الاتصال بجميع العالم ما هو معلوم، الامر الذي يجعل الدعوة الى الله متيسرة وجلالتكم في هذا العصر هو المسؤول الاول عن ابلاغ امر الله الى عباده ولا شك انها مسؤولية خطيرة تحتاج منكم الى

---

[1] الشيخ ابن باز بمجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، المجلد السادس ص 131.

[2] في عام 1967- 1968م احتج بعض الاساتذة العراقيين العاملين في جامعة الملك عبد العزيز "بجده على انهاء عقدهم من طرف واحد ولم يكملوا المدة المتفق عليها بينهم وبين وزارة التعليم، فذهبوا الى الطائف لمقابلة الملك فيصل بن عبد العزيز ويخبرني الدكتور محسن القزويني، استاذ مادة الفيزياء قائلا: رحب بنا الملك فيصل ترحيبا حارا فطرحنا مشكلتنا امامه.

قال الملك: انه يثق بجدية لاساتذة العراقيين ومقدرهم العلمية ثم التفت الى سكرتيرة احمد عبد الوهاب قائلا له: دبر امور الجماعة، ثم دعانا الملك لتناول الغداء على مائدته وخرج الدكتور الغزويني ورفاقه، وهم مندهشين من تواضع وبساطة الملك فيصل وعادوا الى مدينة جدة مطمئنون بعودتهم الى وظائفهم وظلوا ينتظرون وينتظرون دون جدوى لانهم يجهلون ثقل الفاتيكان الوهابي على النظام والمجتمع.

جهود عظيمة وصبر ومصابرة. وبمناسبة قرب زمن الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام هيئة الامم في شهر يونيو القادم ودعوة ملوك ورؤساء الدول الاعضاء في المنظمة الى القاء كلمات في الجلسة التذكارية لها لذلك فاني اهيب بهمة جلالتكم ان تشمروا عن ساعد الجد وتنتهزوا هذه الفرصة الثمينة بالدعوة الى الاسلام وتحكيم شريعته في هذا الاجتماع الذي سوف يضم اكثر رؤساء دول العالم الاسلامي وغيرهم وان تبينوا لهم محاسن الاسلام وانه دين الحق وانه الدين الكامل الصالح لكل عصر واوان. رايت ان اذكركم بهذا الامر العظيم وجلالتكم من اعلم الناس بالواقع وما اصاب العالم اليوم من فساد وانحلال وصبره وقلق والحاد وانحراف فارجو ان يكون هذا الامر موضع الاهتمام والتنفيذ واسأل الله ان يصلحكم[1] خط التشديد من عندنا مَن من رجال الدين في البلاد العربية، يجرؤ على كتابة مثل هذه الرسالة التوجيهية الى رئيس دولته؟ اليست احدى الدلائل الملموسة على وجود رأسين او ناطقين باسم المجتمع.

سادسا: منعت وزارة التجارة استيراد "النقاب بناء على فتوى اصدرها الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس هيئة كبار العلماء بعدم جواز هذا النقاب.

سابعا: طالبة في كلية البنات بجامعة الرياض تدعى "نهد" فجاء امر من مكتب سماحة الشيخ ابن باز الزام ادارة الجامعة بتغيير اسم الفتاة واذا رفضت يتم طردها من الجامعة لان اسم نهد، من النهود وهذا الاسم يثير الغرائز الجنسية لدى السامع فغيرت الفتاة اسمها، ابتعادا عن "الفتنة" واصبحت تدعى ابتسام.

ثامنا: في اواخر عام 1990م خرجت لاول مرة في شوارع الرياض 49 امرأة يقدن سياراتهن على شكل مظاهرة احتجاج على موقف رجال الدين ومطالبات بحق المرأة في سياقة السيارة ورغم ان ليس هناك نصا شرعيا يحرم المرأة سياقة السيارة فقد تعرضت لهن عناصر دينية شرسة من هيئة الامر بالمعروف، ومنعتهن من مواصلة موكبهن وتم اعتقالهن. فشتد النقاش في الشوارع وفي المجالس وعلى صفحات الصحف والمجلات المحلية بين مؤيد لحقوقهن وبين معارض. وفجأة اصدر الناطق الديني الوهابي الاكبر فتوى من سبع كلمات هذا نصها: **الشرع المطهر يحرم المرأة من سياقة السيارة.**

---

[1] الشيخ ابن باز مجموع فتاوى ومقالات متنوعة المجلد السادس ص 73.

فسكت الجميع واخمدت جذوة النقاش الى يومنا هذا مع العلم بان بعض النساء اللاتي خرجن بسياراتهن هن زوجات لموظفين كبار في الدولة واحداهن زوجها مستشار كبير في وزارة الداخلية، فهل يعقل ان تخرج الزوجة دون علم زوجها؟ وهل يعقل أيضاً ان يوافق الزوج دون اخذ رأي وزيره الامير نايف وعدم معارضته لمثل هذا العمل؟ كما وان الموكب النسائي كان متجها الى قصر الامارة لمقابلة الامير سلمان بن عبد العزيز، امير منطقة الرياض، والمعروف بتسامحه وعدم معارضته ربما لمثل هذه المظاهرة، ومع ذلك التزم الطرف الرسمي والشعبي على السواء بفتوى الشيخ ابن باز حبر الامة وصمامها كما يصفونه بل ان بعض النساء ذهبن فيما بعد لمقابلة الملك فهد بن عبد العزيز يتشكين له ما لحقهن من ظلم وعسف رجال الدين حيث فصلن من وظائفن. ووصفت احداهن المقابلة مع الملك قائلة: الملك رحب بهن وسمع شكواهن وضرب يده على صدره واعدهن خيرا، ومع ذلك لم يظهر صوت معارض لتلك الفتوى ويطالب بالغائها، حتى الامراء السعوديين الكبار وان كانوا غير مقتنعين بها، الا انهم غير مستعدين لان تهتز قاعدة التحالف التاريخي بينهم وبين المؤسسة الدينية من اجل "المرأة"[1].

---

[1] علما بان كثيرا من زوجات الصحابة في أيام الرسول وبعده، كن يخرجن لقضاء حاجاتهن وهن راكبات خيل او جمال. واحداهن: اسماء بنت ابي أبي بكر الصديق تقود فرس زوجها الزبير بن العوام في الطريق.

6- مجتمع الصمت والسكوت والسكون

ظل الشعار الوهابي الرئيسي والمركزي: لا للحزن لا للفرح لا للتجمهر لا للتظاهر لا للجدل، اكثر الشعارات الدينية السياسية تطبيقا فعليا على ارض الواقع الاجتماعي والاكثر استمرارية لانه يترجم ويجسد كل ابعاد الفلسفة التربوية والدينية والسياسية لدى الوهابيين والسعوديين. وظل المواطن – بالمقابل – أسيرا لهذا الشعار المركزي، منذ نجاح الدعوة الوهابية في منطقة نجد في منتصف القرن الثامن عشر الى يومنا هذا، على الرغم من اختفاء "السلطة الوهابية-السعودية" مرتين عن المسرح السياسي: الاول: اثناء سقوطها على يد القوات المصرية عام 1818م ثم عودتها بسرعة عام 1824م واستمرارها حتى عام 1887م حيث سقطت مرة ثانية على يد "آل رشيد" حكام جبل شمر والمنطقة الشمالية. فتوارى النجم الوهابي-السعودي عن الاحداث السياسية حتى عام 1901م ومع ذلك فقد حافظ ذلك الشعار الوهابي على تماسكه وتغلغله في اذهان ونفوس غالبية سكان منطقة نجد بالذات، مشكلا في الوقت نفسه جزءا هاما لا من التقاليد الوهابية بل من الشخصية الدينية – النجدية. وما أن عادت الدعوة السلفية من جديد عام 1902م ونجاحها في توحيد البلد عام 1926م حتى اعتمد كبار رجال الدين والملك عبد العزيز آل سعود على قوة جذور ذلك الشعار المهيمن على الواقع النجدي واحيائه وتغذيته من جديد ليأخذ هذه المرة ابعاده الشمولية على المجتمع ككل ففي هذا الشعار الجهنمي، سيكتشف القارئ الفارق المذهل بين مفهومين للقمع سادا تاريخنا القديم والحديث. القمع السياسي المباشر: قتل، تعذيب، تشريد، ومطاردة ...الخ هذا القمع السياسي هو الذي حفر صدر تاريخنا الشرقي والمنطلق من قاعدته الذهبية. " "اذا كان الكلام من فضه فالسكوت من ذهب" اي اسكت ثم اسكت واياك ان تتكلم في شؤون الحكم او تنتقد الخليفه، الملك، السلطان، الامير، كبار العلماء، رئيس الجمهورية..، فمن "اخذ امنا فهو عمنا" اي من اخذ بيده السلطة والارض له السمع والطاعة كالأب الشرقي، لكي ينسجم الادعاء مع نفس البناء الفوقي الحقوقي للمجتمعات الابوية الشرقية. هذا النوع من الاستبداد "يطالب الرعية" الشعب، بالصمت والسكوت ويصرف مالا كثيراً، وهادر لدم الشعب لتجسيد تلك الحكمة الجهنمية في نفوس وأذهان المواطنين ولكنه بالمقابل استبداد لم يستطع ان يقتلع

الحركة الجدلية داخل المجتمع ولم يقف امام تفاعلاتها الداخلية والخارجية والتي تظهر على مستويات وحقول عدة. سواء في الحقل الادبي او الفكري والفني..الخ. ومع موت هذا المستبد الاكبير او ذاك، تتغير اللوحة السياسية والاجتماعية والثقافية بسرعة ويتحول ذلك الشخص او النظام الى ذكريات اليمة كالاستبداد الذي ظهر في حكم "الحجاج بن يوسف الثقفي او خالد القسري او الخليفة "ابو جعفر المنصور..الخ

اما المفهوم الثاني للقمع فهو القمع المزدوج — ديني- سياسي، على الطريقةالوهابية- السعودية، فهو أشد وطأة على الشعب لكونه استبداد قاهر شمولي لا يسعده الوقوف عند نظرية كبار الطغاة "الصمت والسكوت" فحسب، بل يهمه اكثر هو الترجمة العملية للقاعدة او "الحكمة الوهابية" الصمت والسكوت والسكون، اي اخراس الالسن وشل الحركة الجدلية داخل ذهن المواطن ومن الوسط الاجتماعي على السواء. فنحن امام نظام ايديولوجي-استبدادي شمولي ومغلق على نفسه من كافة النواحي، لا يتأثر- ولا يحب ذلك ولا تهتز اركانه بموت الملك او المفتي الاكبر فعلى الرغم من موت عدد كبير ن ملوك آل سعود وعشرات من كبار رجال الدين الوهابي لم يتزحزح "الشعار الوهابي الخماسي: لا للحزن، لا للفرح، لا للتجمهر، لا للجدل، لا للتظاهر بل ظل محافظا الى يومنا هذا على قوته وتماسكه وهذا ما يفسر لنا حالات الجمود والانغلاق التي عاشها المجتمع في الجزيرة العربية عشرات السنين اي حتى اوائل السبعينيات، عندما اجبر العرش والفاتيكان الوهابي على جلب هياكل حضاري من الخارج كما يفسر لنا "هيمنة هذاالشعار على غياب ثنائية الفكر داخل الوسط الاجتماعي، بفعل غياب الحركة الجدلية في هذا الحقل او ذاك، مما اضعف ادوات التحليل العلمي والنظرة العلمية لدى المواطن ومع ذلك لا زال الشعار الوهابي- الآنف الذكر- هو الشعار السائد والمحبب لدى الوهابيين والسعوديين هذه المفردات"الخمس" اختلط فيها التحريم الديني بالقمع السياسي والفكري، فعاش المواطن محاصرا من كل الجهات فسار تائها صامتا وساكتا وساكنا على ضربات الايقاع الوهابي الثلاثي الرتيب والقاتل في كثير من الاحيان: مسجد، امير، مطوع، هذه هي المسافات الثلاث المسموح بها للمواطن ان يقطعها يوميا ويسبح بحمدها بصمت وسكون وليشكر الله واولياء الامر، على نعمة الامن الاجتماعي" منذ لحظة خروجه من بيته الى عمله ثم عودته سالما فرحا!.

والنتيجة العامة لهذا "الايقاع الثلاثي المميت" اختفاء روح الحيوية والابداع والابتكار ضمن الوسط الاجتماعي، باختفاء الحركة الجدلية بشكل عام. مما ادى هيمنة روح الجمود والخمول والكآبة وطبيعيا- والحال هذه- اختفاء الابتسامة من وجوه المواطنين والمواطنات في علاقاتهم اليومية. فمن رأى وهابيا مبتسما في الصباح ام في المساء؟ بل من احدى مهماته اليومية في الشوارع والازقة والحدائق، هي مصادرة "الابتسامة" هذا ما يؤدي الى فهم "السر الحقيقي" الذي يقف وراء هذه "التكشيرة" السائدة اليوم داخل المجتمع الوهابي- السعودي والتي يتشكى منها غالبية المواطنين والمواطنات، بل أيضاً عن "الكآبة" القاتلة والمهمينة في السلوك الاجتماعي العام. ففي مقاله لاحدى المواطنات "وفاء العمر" اشارة بذكاء اجتماعي في تصويرها الدقيق للحالة الاجتماعية العامة. ولكن في اعطائها الجواب ابتعدت عن النظرة الجدلية والربط الجدلي، قائلة:

نحن من الشعوب التي ترتسم عليها ملامح الاكتئاب والشكوى المستمرة وبسلبية قاتلة والا فان ما نملكه يجعلنا اكثر الشعوب حسا بالحياة كافتراض ولكن فن الحياة الذي لا نجيده ولا نحاول اكتسابه[1] ليس "فن الحياة" الذي ينقصنا، بل رفع الشعار الوهابي – الآنف الذكر- يجعل الجميع يحس بدفء الحياة وعذوبتها، انسحاب المطوع من الشوارع والاسواق والحدائق ..الخ، يجعل الشعب بسرعة يسترجع جزء كبير من ابتسامته وتوازنه النفسي والعقلي وتتورى "التكشيرة والكآبة" ان الغطاء الوهابي السميك والكاتم للصوت والنفس والمهمين على سماء البلد، يجعل الحس الطبيعي بدفء الحياة امرا مستحيلا خاصة بالنسبة للنساء. اما عن "الاكتئاب والشكوى" المستمرة فهما ظاهرتان اجتماعيتان خطيرتان تدفعنا على التساؤل ممن لاكتئاب والشكوى؟ اليست من سلطة المطوع شبه مطلقه في الشارع ومن الاخمس الحديدي للفاتيكان الوهابي وهمينته المطلقة على الحياة الاجتماعية وفي الشؤون الشخصية؟

اما افتراضها بما نملكه يجعلنا اكثر الشعوب حسا بالحياة "هذا الافتراض صحيح بشكل عام ولكنه يصطدم بقوة بمرارة الواقع في "المملكة" لان"المال" اسير كالمواطن لا يرى النور او الحياة ومباهجها الا من خلال المنافذ القائمة "للفاتيكان الوهابي" ففي بلد تكثر فيه "قوائم التحريم" بجانب عقاب صارم تكون الثروة الشخصية او "القومية" وبالا

---

[1] مجلة اليمامة. العدد 1632 بتاريخ 18 نوفمبر 2000

على مواطنيها ومصدرا للتعاسة والشقاء النفسيين وما انتشار المخدرات بكافة انواعها بشكل مخيف داخل المجتمع الوهابي-السعودي وكثرة ضحايا حوادث السيارات التي تفوق التصور، الا دليلا ملموسا على ما نقول. فالمواطن يعلم انه يملك احد اهم الوسائل الفعالة لادخال روح البهجة والمسرة لنفسه ولكنه غير قادر على رفع أو أبعاد التحريمات الوهابية عن طريقه.

فتهمين الكآبة والقنوط والتكشيرة بجانب الازدواجية في الشخصية كما سنرى. فمن اين تأتي الابتسامة او البهجة العامة في بلد فيه 50 الف رجل دين.ستين الف طالب في العلوم الدينية؟ مهمتهم الاساسية اثناء الدراسة او في حالة التخرج مراقبتهم للمرأة والسعي الجاد للتطبيق العملي للشعار الوهابي الخماسي على ارض الواقع الاجتماعي.

إن وقفة نقدية تحليلية لذلك الشعار، سيزيح الوهم عن عيون كثير من المواطنين تجاه امور هام من جهة وانه وراء كل الطحالب والظواهر المرضية التي اجتاحت ولا زالت المجتمع ونفسية المواطنين من جهة ثانية.

لا للحزن: إظهار الحزن او الحداد بشكل رسمي او شعبي، او حتى عائلي، هو بمثابة تحد لمشيئة الخالق وقدره وعلى المسلم التحلي بالصبر والسلوان مهما عظم المصاب" لا مفر من حكم القدر هذا معروف ومتفق عليه بين المسلمين وبين اصحاب الديانات الاخرى. ولكن نظرة الوهابيين لاتقف عند هذا الحد- لهان الامر- بل لهم مقاصد واهداف بعيدة دنيوية وسياسية، اي التحلي بالصبر وضبط النفس مهما صدرت تصرفات او اوامر غريبة وشاذة من "ولي الامر" سواء من: سجن، مصادرة، قتل... على المواطن تقبل هذا الامر وكأنه قدر!: فإظهار الحزن بشكل فردي او جماعي يولد الاحساس بالانتقام، كما يؤلب عقول وقلوب الرعية تجاه "ولي الامر" مما يدفعهم بهذا القدر او ذلك على الخروج والتجمهر ثم الاقتتال. وهذا ما يخشى منه الوهابيين فسعوا جاهدين منذ اكثر من قرن من الزمن – ولا زالوا- على قتل روح الاحساس والعاطفة بين صفوف الجمهور حيث تكمن فيها "مواطن الفتنة" وذلك عبر تربية دينية مركزة، لغسل دماغ، المتوهب "وتطهيره من رواسب الحزن المنتقم من "ولاة الامر". وقد نجحوا في هذا المسعى نجاحا واسعا فمنذ اكثر من ثمانين عاما والى اليوم ولم يسجل لنا تاريخ الجزيرة العربية الحديثة، حالة انتقام واحدة سواء كانت فردية او جماعية اتجاه "علية القوم" على الرغم من كثرة ضحايا النظام

والمؤسسة الدينية الوهابية. وليس هذا مرده "جبنا او خوفا" في صفوف هذا الشعب العريق، بل هو ضحية لتلك التربية الدينية المشوهة والامثلة على ذلك كثيرة.

في عام 1929م طلب الملك عبد العزيز آل سعود من احد اشجع واشهر قائد وهابي. الا وهو "سلطان بن بجاد " رئيس قبيلة عتيبة، الحضور الى مدينة الرياض" للتقاضي" بينهما فجاء مسرعا مطبعا لامامه وولي امره وهو في حالة "حرب معه" ويعرف مسبقا مصيره ومصير "خمسون فارسا معه" فامسك الملك به وبجماعته والقى الجميع في السجن حتى الموت. ومع ذلك لم تظهر علامات حزن او ردود فعل انتقامية، فردية او جماعية، اتجاه الملك عبد العزيز آل سعود او اتجاه بعض الامرءا الكبار او رجال الدين، فقد تقبل الجميع ارادة "الامام" وكأنه امر قدري.

- في عام 1965م حصلت مناوشات واقتتال بين مجموعتين من البدو في القرب من بلدة النعيرية في المنطقة الشرقية، فارسل الامير ابن جلوي "المعروف بقساوته قوات عسكرية وامسك بالمتهم والبرئ وجلد ما بين 25-30 شخصا جلدا مبرحا وعاد الجميع فيما بعد الى "النعيرية" فرحين مبسوطين من عدالة الامير دون اية ردود فعل.

وفي نفس الوقت تقريبا القى البوليس القبض على اطفال في مدينة "الاحساء" اعمارهم ما بين 12- 15 عاما يسرقون "درجات فاصدر الامير "ابن جلوي"، حكمه القاسي بان يبقى الاطفال في السجن حتى يبلغوا سن الرشد 18 عاما ثم تقطع ايديهم. فلم يكن هناك اية ردة فعل تجاه هذا القرار الظالم كما لم تظهر اية ردود فعل انتقامية لا من الاطفال فيما بعد ولا من اقاربهم ولا من المواطنين لان الجميع كان واقعا تحت التخدير الديني الوهابي.

- في عام 1979م تمرد "جهيمان العتيبي" في "الحرم المكي" على أسس وهابية واعلن من منبر مكه بظهور المهدي المنتظر وظل معتصما بالحرم المكي، على طريقة عبد الله بن الزبير وسقط اربعمائة شخصا من جماعته "شهداء دون ان يقتل او يمسك لا بامير صغير او كبير ناهيك عن كبار رجال الدين الذين يعلمون جيدا بانه "وهابيا موحديا" ومع ذلك وصفوه بأنعت الصفات ثم القي القبض عليه وعلى جماعته البالغ عددهم ثمانين شخصا وتم قطع رؤسهم وتعليق جثثهم في اربع مدن رئيسية. فلم تظهر لا علامات حزن ولا ردود فعل انتقامية ضد النظام او المؤسسة الدينية لا من الجانب العائلي ولا القبلي ولا النضالي.

لا للفرح: إظهار الفرح والبهجة سواء بشكل فردي او جماعي، تثير حفيظة الوهابين وتضعهم على المحك، لان الشعور بالفرح والبهجة يساعدان الانسان على التفاعل مع الحياة بشكل خلاق ومن يتفاعل مع الحياة يحس دوما. بالحيوية والنشاط يدفعان به للابداع في هذا المضمار او ذاك رافضا في الوقت نفسه حياة الجمود والسكون "القاتلين" وهذاما يخيف رجال الدين وانصارهم، فسارعوا في "تطويق الفرح" واجتثاته من الوسط العائلي ومن الحياة الاجتماعية بحجة ان الفرح بدعة وانه ابو الشرور يفتح باب الشر على مصراعيه مسهلا ومشجعا لطرق الفساد ودخول الشياطين والعفاريت الى نفسية المواطن والمجتمع! فأصدروا تحريماتهم عبر "فتاوى" وارشادات ومواعظ دينية فاصبحت الاعياد والمناسبات الشعبية التاريخية والتقليدية مطوقة ومدانه بين "بدعة اوفتنة" بدعة مثل: عيد الشجرة/، عيد الام، عيد الربيع، عيد العمال، العيد الوطني، عيدالميلاد...الخ. فقد عاشت اجيال – ولا زالت- دون ان تعرف او تشاهد هذه الاعياد "داخل المملكة"، كما اعتبرت الرقصات الشعبية المشتركة بين الرجال والنساء والتي تقام في المناسبات التقليدية "فتنة" والمعروفة منذ القدم في منطقة عسير، الحجاز، المنطقة الشرقية، فحرمت أيضاً وباختفاء الاعياد والمناسبات التقليدية، سادت "الذكوره الوهابية" في الساحة واختفى نصف المجتمع مرغما على ذلك.

فمن اين تأتي الافراح والمسرات الاجتماعية دون حضور المرأة، ودون حضور الموسيقى والغناء الشعبي المشترك؟

ومع "فيضان البترول" وتحسن الوضع الاقتصادي لشرائح واسعة من الشعب بدأت العائلات الميسورة والمتنورة بتأجير صالات، خاصة وباسعار غالية لجلب "طقافات"- منغنيات من البحرين واليمن...الخ. بمناسبة زواج ابنهم او ابنتهم.

لا للتجمهر: منذ تجمهر "الرعاع" حسب التعبير الوهابي امام بيت الخليفة عثمان بن عفان ثم مقتله والوهابيون يتحسسون، بل يحرمون التجمهر تحت اي شكل او هدف كان ابتعادا عن "الفتنة" والفتنة اشد من القتل، فمنعوا اي نوع من الاحتجاج سواء مطلبي او سياسي، بحجة انه نوع من التجمهر الذي يهدف الى زعزعة استقرار حكم "ولي الامر"، مهما كان حجم هذا التجمهر قليلا او كثيراً. فعندما وقع ثلاثون فلاحا في احدة قرى القطيف عام –1965م يطالبون الحكومة بمد تيار كهربائي لقريتهم النائية، اعتبر

الوهابيون هذا نوع من التجمهر، ومطاولة اللسان، على "ولي الامر"، فالقوا بالجميع في السجن!!

وفي عام 1981م طالب عدد من الطالبات الجامعيات القسم الداخلي بمدينة الدمام بتحسين وجبات الطعام المقدمة لهن، فاحتشد عدد منهن واعلن الاضراب عن الطعام المقدم لهن. فجن جنون المسؤولين واخذوا يهددونهن اما بترك الاضراب لانه نوع من "الفتنة" او اخبار ابائهن، ناهيك عن شراسة عناصر هيئة الامر بالمعروف. في هذا المجال وبعد عشر سنوات تقريبا قدمت مجموعة كبيرة من داخل المؤسسة الدينيةوخارجها مشروعها الاصلاحي عبر "مذكرة النصيحة" عام 1991، ووقع عليها: علماء دين، قضاة، دكاترة في الجامعات والمعاهد الدينية. دعاة رجال اعمال..الخ. ورفعت "المذكرة" الى ولي الامر العاهل السعودي والى "هيئة كبار العلماء" وقد تسربت بعض النسخ منها الى الطرف الشعبي، فاحتج التيار الوهابي الرسمي ممثلا – انذاك- بالشيخ عبد العزيز بن باز وجماعته، على اسلوب ونهج اصحاب المذكرة، متهما اياهم بخرق "تقليد وهابي عريق "حيث"النصيحة تتم بالسر لا بالعلانية وعن طريق المركزية الوهابية الممثلة بـــ "هيئة كبار العلماء" ناهيك عن ان تجمعهم هذا، هو نوع من التجمهر، نوع من احياء "الفتنة العامة" عبر تحريك "الرعاع- الجمهور" في الشارع وداخل الوسط الاجتماعي وقد لاقى اصحاب "المذكرة" وهم وهابيون قلبا وقالبا- كثير من المضايقات اولا ثم الاعتقال والتعذيب لبعضهم وهروب عدد منهم الى الخارج ثانيا.

لا للتظاهر: أفتو بتحريم المسيرات والتظاهرات الشعبية باعتبارها "زندقة مدنية" واتخاذ الاجراءات الصارمة اتجاه العناصر المحركة او المشاركة في هذه التظاهرة او تلك، حتى ولو خرجت مظاهرة شعبية بعيدة عن اي هدف سياسي ومطالبة بامور تتعلق بالحقوق المشروعة للعمال سواء في رفع الاجور او تحسين اوضاعهم الصحية وشروط العمل الملائمة ...الخ لانها "مظاهرة" سلبية تعود الجمهور "الرعية" على "الشحادة" التي تنقص من قيمة وشخصية المسلم!، منذ متى اصبح النضال المطلبي في تحسين الظروف المعيشية شحاذة؟ وهل يعتبر تكريس العبودية والخنوع في نفسية المواطن سمو؟ وهل التربع تحت اقدام هذا الامير او ذاك، وتلقف الهبات او الشرهات هي تمتين لشخصية المسلم؟! والشيء الذي لا يود الوهابيون الاقرار به هو خوفهم من خروج اية مظاهرة شعبية في الشوارع، ستولد لهم مشاكل وعقد نفسية عديدة، لان هدير اصوات المتظاهرين، يهز

اركان المجتمع فينقطع" حبل الصمت والسكون، العزيزين على قلب كل وهابي-سعودي. كما وان اية مظاهرة شعبيةتجتاح الشوارع الرئيسية في هذه المدينة او تلك، ستشكل مادة مغناطيسية، قوية لجذب "المرأة" من داخل القمقم الوهابي للخروج لشارع كمتفرجة اولا ثم مشاركة ثانيا، وهذا لا يمكن ان يتحمله "العقل الوهابي" فما بالك بمشاهدته؟ ناهيك ان المطالب تجر مطالب اخرى قد يتجرأ المتظاهرون يوما ما من مطالبه بتحديد "سلطة ولي الامر" او"سلطة رجال الدين" وقد يطالب البعض بوضع حد للاستنزاف الهائل لثروات البلد الطبيعية ووضع لجان محاسبة ورقابة...الخ، وهذه الامور لا يمكن ان يقربها امير او رجل دين وهابي. لذا عاش الشعب في الجزيرة بجهل تام "لفن المظاهرات او المسيرات الشعبية، كما يجهل فن رفع الشعارات المرحلية الملائمة في هذه المرحلة او تلك وبالنتيجة لم تبرز اسماء شعبية لامعة في تحريك الجمهور وقيادة المظاهرات، اسوة بما هو معروف في الساحة العربية[1] بل مات أو "جمد" الحس، الشعبي العفوي في انطلاقه مشاعر الجمهور.

واول خرق جماهيري للشعار الوهابي "لا للتظاهر" كان عام 1967م حينما خرجت لاول مرة مظاهرات شعبية سياسية في اكثر من مدينة من مدن المنطقة الشرقية** في البدء- الدمام، الظهران، رأس تنورة، الاحساء، الهفوف، في 6 حزيران تندد بالعدوان الاسرائيلي على مصر، وتطالب "ابو عبد الله – الملك فيصل- بقطع البترول عن اميركا ومما هو ملفت للنظر في هذه المظاهرات انها رفعت لافتات كتب عليها بعض الشعارات السياسية، وهذه "بدعة" كبرى عند الوهابيين والعرش السعودي. وبما انني كنت مشاركا في هذه المظاهرات- اسوة بالاخرين، لاحظت وجوه المارة الواقفين على جانبي الطريق لمدينة الدمام، يتطلعون الينا بحذر واندهاش بارزين، وتظهر على وجوههم سمات، لم افهمها انذاك، خاصة اولئك المواطنون القادمون من منطقة نجد وجنوب الجزيرة العربية "عسير" عندئذ تقدم رجل نجدي وسأل احد المتظاهرين الواقف بقربي. ما هذا، ثورة؟

[1] عرفت الساحة العمالية في مناطق البترول، الظهران، رأس تنورة، بقيق...الخ، العديد من التظاهرات والاضرابات العمالية، منذ عام 1953م و1956م و1964ن و1965م..الخ الا انها "اضرابات عمالية صرفه، محصورة في مناطق العمل تطالب بتحسين الظروف المعيشة والصحية – انذاك- ولم تنزل الى قلب المدن ولم تسهم القطاعات الشعبية الاخرى بدعم ومساند تلك الاضرابات العمالية كما حدث فعلا عام 1967م.

المتظاهر: لا مظاهرة احتجاج على العدوان الاسرائيلي على مصر وسوريا وتطالب "ابو عبد الله- الملك فيصل" بقطع "البترول" فتراجع الرجل الى الرصيف وهو يتطلع الينا فعلق المتظاهر قائلا: وهابي متخلف. اسرعنا في اعطاء الجواب السياسي الجاهز انذاك، ولم نتفهم خلفية موقفه. وبعد عشر سنوات ونيف عرفت بشكل جيد خلفية موقف ذلك الرجل وغيره كثيرون ممن كانوا يتطلعون الينا بصمت وتعجب ولم يتخذوا موقفا محددا لا مع ولا ضد. فهم أساساً ضحايا الشعار الوهابي الجهنمي لا للتظاهر لا للتجمهر...الخ. المتغلغل منذ زمن بعيد في نفوس واذهان ابناء المنطقة الوسطى، بشكل خاص حيث ان كل تجمهر او مظاهرة تعتبر بانها "ثورة او فتنة" ومما يلفت النظر في هذه المظاهرات الشعبية الاولى، ان الشرطة كقوة قمع والتي جاءت لتفريق المتظاهرين كانوا مندهشين لانهم امام اول مشهد "سريالي"، واول امتحان لهم ولما اقترب المتظاهرون من مركز شرطة الدمام، تقدم ضابط نحيف برتبة "رائد او مقدم" نحو المتظاهرين فحملوه على الاكتاف المتظاهرين وكان يقف من بعيد "مدير الشرطة العقيد حسن قناديلي"، كل هذا مر بسرعة ودون صدام وتم تفريق المتظاهرين بهدوء ولم تحدث اعتقالات الا فيما بعد عندما جاء امر من "الامارة" ووزارة الداخلية ثم ساد الصمت والسكون وهيمن الشعار الوهابي على الشارع من جديد حتى نهاية عام 1979م- 1980م حيث خرجت الجماهير في المنطقة الشرقية بشكل اوسع واكثر تنظيما ورافعين العديد من الشعارات السياسية المنددة بالسلطة مستغلين حادثتين هامتين: تمرد جيهمان العتيبي في مكة في شهر اكتوبر عام 1979م وقيام الثورة في ايران فالتقى الحدثان الداخلي والخارجي، مما ولدا زخما جماهيريا ثوريا لم يعرفا من قبل سواء في المنطقة الشرقية والوسطى مما دفع بالسلطة للاستعانة "بالحرس القبلي" المسمى ظلما بالوطني وهو اكثر القطعات العسكرية تخلفا وأكثرها تمسكا بالشعار الوهابي المركزي لا للتظاهر فعسكر عدة اشهر مطوفا مدينة القطيف والمناطق العمالية تارة والاحساء تارة اخرى.

في عام 1994م تجمع لاول مرة، حشد وهابي في مدينة الرياض وعلى رأس هذا الحشد الجماهيري ابرز وجوه أصحاب "مذكرة النصيحة" وبما انه تجمع وهابي صرف فانه بالضرورة لا يعرفون لا فن المظاهرات ولا فن رفع الشعارات التكتيكية ولا حتى "الهتافات الحماسية" واستغلال هذا الحشد لصالح مطالبهم ولهذا سار الجميع بصمت جنائزي مخيف اتجاه قصر "الامارة لمقابلة الامير سلمان دون شعارات دون تصفيق او تصفير، بل دون

هتافات ضد او مع، لانها "بدع" بالمفهوم الوهابي وكان البعض يردد بصوت منخفض الله اكبر، الله اكبر...الخ، واي مشاهد عربي او غير عربي، لا يعرف بالضبط معنى هذا المظاهرة اهي للاستنكار ام للتأييد؟ اهي خارجة لتوها من مقبرة او ذاهبة بجماهيرها الى المقبرة؟

وبفعل التحريم الوهابي للمظاهرات وبفعل جهلهم لفن الحوار في مثل هذه المناسبات دفع الوهابيون ثمنا باهظا، فالحشد الجماهيري الوهابي المطوق للامارة لم يستفاد منه. وكان الامير سلمان – اذكى منهم- حينما طالب الحشد بالمغادرة، والاكتفاء بمقابلة اربعة او خمسة اشخاص من الوجوه البارزة في صفوفهم. وهنا انقسم الجمهوري الوهابي واضطر بت صفوفه واخيرا تم تشكيل اعضاء الوفد لمقابلة الامير. وذاب ذلك الحشد الوهابي الذي يقدر بعشرة الاف ذكر – في ازقة وشوارع الرياض، وذابت معه مطاليبهم وتطلعاهم.

واخيرا اظهرت انعكاسات السلبية لذلك الشعار الوهابي واضحة وقوية ضمن وسط النساء فحينما خرجت لاول مرة مظاهرة نسائية صغيرة مكونة من (49 امرأة يسوقن سياراهن بانفسهن ويطالبن الحكومة بحق المرأة في قيادة السيارة- وبغض النظر عن من يقف وراء هذه المظاهرة وهل توقيتها كان ملائما ام لا – فان خروجها امر لا بد منه فجن جنون رجال الدين وانصارهم واصيبوا بالذهول والاندهاش فخرجوا في سلوكهم ومنطقهم عن كل ما هو مألوف من ذوق وأدب فبعد ان لعنوهن في مجالسهم وعلى منابر الجمعة واصدروا المناشير التشهيرية ضدهن مستخدمين احط الاساليب الطعن الشخصي، ضلع اعوج يخرج في الشارع متظاهرا" ضلع اعوج يتجاوز "الحكمة الوهابية وتخترق جدار الصمت والسكون"..؟

وربما احد يتساءل: لماذا خرجن بسيارهن ولم يخرجن سيرا على الاقدام أهذا تكبر ام تبرجز ام ماذا؟

لا هذا ولا ذلك، فهن خرجن بسياراهن ليبرهن لرجال الدين وانصارهم على مقدرهن لقيادة السيارة وان ازواجهن او آبائهن على علم بذلك اولا وهن بالمقابل ضحايا الشعار الوهابي- الآنفة الذكر- ولو خرجن – انذاك- سائرات على اقدامهن وكاشفات وجههن واجسامهن ورافعات لافتات يطالبن ببعض حقوقهن ويتحدثن مع

المواطنين بكل حرية عن عدالة قضيتهن ومطالبهن والبعض منهن يتسمن للمارة، لفسر الوهابيون وتيارهم هذا المنظر الطبيعي والمألوف في كل العواصم العربية والاسلامية، بانه احد العلامات الحقيقية لقيام الساعة وان "المسيح الدجال" المذكور في كتبهم، قد ظهر في مدينة الرياض بهيئة امرأة، ومع ذلك سجلن اول سابقة في تاريخ الوهابية.

ان غياب مشاركة المرأة في الجزيرة العربية في حركة الشارع ليس ضعفا ولا تهربا من المسؤولية بعد ان نالت مستوى جيدا من التعليم والمعرفة العلمية والعملية، بل عائد هذا الى قوة التقاليد الاجتماعية ولقوة ثقل "الفاتيكان الوهابي" داخل المجتمع الوهابي ولضعف التقاليد النضالية "النسائية" في الجزيرة العربية. ومع ذلك ستبرهن الايام القريبة القادمة عن استعداد وقوة حضور المرأة في حلبة الصراع الاجتماعي – السياسي وان لديها من المخزون النضالي والصدق والحرص على حاضر ومستقبل الجزيرة العربية كما لدى الرجل واكثر.

وبهذا الصدد لا معنى هنا لتكرار "الصمت حكمة" الا اذا كان المقصود فردا- ذكر ام انثى- لا يحسن فن الكلام وموقعه ولا يملك القدرة على المحاججة او المناظرة فسكوتة او صمته – في هذه الحالة- افضل واسلم. وهذه مسألة اخرى. اما اذاكان المراد تعميم "الصمت حكمة" على افراد المجتمع فهذه جريمة لا تغتفر، لانها تخمد وتخرس الاصوات الخيرة وتعطل من الحركة الجدلية داخل المجتمع وتطول من عمر المستبدين. ولنستمع الى احد الصحفيين السعوديين، واحد ضحايا تلك "الحكمة الوهابية" قائلا" الصمت حكمة: ماذا يعنيك بمن يأتي او يذهب ما دمت متمددا في فراشك متمتعا بلقمة عيشك مطمئنا على حرماتك؟ ماذا يهمك في كل ما يحدث ما دام الله قد رزقك الستر والايمان؟ كن حكيما تسمع كثيراً وتتكلم قليلا جدا واستفد من خبرة اجدادك الطيبين "من تزوج امنا قلنا له يا عمنا[1] هذا الصحفي حول المواطن لا هم له في هذه الدنيا الا "بطنه وذكره" فالاميركان واعوانهم اغتصبوا امنا – الارض- فهل ندعوهم بـــ يا عمنا؟

[1] جاسر الجاسر، مجلة اليمامة. العدد 1158 بتاريخ 5-6-1991م.

7- مجتمع التفكك

القول بأن البنية الإجتماعية داخل المجتمع الوهابي- السعودي، قوية ومتماسكة بين أطرافها وان "الوحدة الوطنية" راسخة في بلد"القرآن والعقيدة" قول غير علمي وغير منطقي ويتنافى مع الحقيقة المرة، اذ كيف يمكن ان نتصور"وحدة وطنية" ولسان الوهابي لم ينطق بعد بكلمة "مواطن" او "مواطنة" ناهيك عن الاعتراف بها؟ ومن يتمعن القاموس السياسي الوهابي، يجد هذا مندرجاً تحت "مصطلح بدعة". كيف يمكن التوفيق بين الادعاء "بتلاحم وطني" بين افراد المجتمع والمواطن "الشيعي ليس محرماً من مارسة طقوسه الدينية فسحب/ بل ان شهادته امام "القضاء الوهابي" مطعونا بها؟ وعلى هذا الاساس لا يمكننا القبول -إطلاقا- بذلك الادعاء وفي نفس الوقت توجد - أيضاً - فواصل اقليمية وطائفية وقبلية عمقت من تفكيك اوصال المجتمع وخلقت امامه عشرات الألغام الآيلة للإنفجار آجلا او عاجلا، فلا الوهابيون ولا الحكام السعوديون يعترفون بوجودها ولا هم يتركون لغيرهم الاسهام الفعلي في تفكيكها.

ونظرة سريعة على الواقع الاجتماعي - السياسي في الجزيرةالعربية، كافية ليدرك الباحث مدى هشاشة "البنية الاجتماعية والوحدة السياسية " وعمق المآساة التي ستعم البلد يوما ما وان اية تحديات داخلية او خارجية للنظام، لن يصمد امامها قطعا لا بفعل سياسة العسف والقمع التي يمارسها فحسب، بل بفعل سياسة التمييز الطائفي والاقليمي التي انتهجها "العرش والفاتيكان الوهابي، على السواء وبالتالي اية قوة اجتماعية - سياسية انفصالية ستظهر في هذه المنطقة، او تلك سببها الرئيسي سياسة النظام الخاطئة والمدمرة لمسار ومستقبل "وحدة البلاد وسلامتها" اذ نجد تشجيع مستمر لبذور التفككك والتي ستستغلها تلك القوى الانفصالية السوداء والتي ستظهر يوما ما كتحصيل حاصل لممارسةالعرش والمؤسسة الدينية.

صحيح ان الوهابيين قاموا بتوحيد البلد وهذا عمل ايجابي رائع، لاينكر ولكنهم للاسف الشديد لم يعطوا مشروعهم السياسي التوحيدي. هذا اي بعد حضاري. فقد راوحوا في مكانهم - مكابرين- ثم حلقوا فوق الشعب "كالسوبرمان" فدمروا بعملهم

هذا "وحدة المجتمع ومستقبله". فعلى الرغم من مرور اكثر من سبعين عاما على توحيد البلد عسكريا وسياسيا واداريا وهي فترة طويلة كافية لصهر مقومات "الوحدة السياسية والاجتماعية، او ازالة الفوارق القبلية والاقليمية والطائفية، الا انهم لم يبذلوا اية "جهود"حقيقية في هذا المجال الحيوي، بل على العكس، ساروا في طريق الاسهل والاخطر لضرب "الوحدة الاجتماعية وعن دراية مسبقة من خلال تشجيع "الفاتيكان الوهابي والعرش السعودي" للنعرات الطائفية والاقليمية وابعاد أبناء المنطقة الشرقية والجنوبية والغربية، عن مراكز القرار السياسي في ادارة السلطة والمجتمع.

إن الإنفراد بالسلطة ليس امرا غريبا في تاريخنا السياسي، بل الغرابة تكمن في أن السلطة نفسها تحارب بقوة، كل المفاهيم والقيم التي ترتكز عليها "الوحدة السياسية والاجتماعية، مما اضعف روح الارتباط بين المواطن وعائه الجغرافي التاريخي. ولو سالنا احد الوهابيين: ما مفهومه للوعاء التاريخي الجغرافي؟ لاجابك بكل برود وثقة: ان الدعاء لله وحده وعدم الشرك به.فتهز راسك إلماً وتتمتم: ينصح الناس يوميا وهو – في نفس الوقت- لا يفرق بين الوعاء التاريخي والدعاء التوحيدي 1. ولو تفحص احدنا الوعاء التاريخي الجغرافي، لكل من الشعب المصري، العراقي، السوري،المغربي، الجزائري... الخ. فهل يجرؤ احد على القول بأنه "وعاء هش، سهل الانكسار والانفلاش والتبعثر، كما هو الحال بالوعاء الجغرافي التاريخي الوهابي؟ ولنفرض –مثلا- ان امريكا، فكرت يوما ما بتقسيم البلد- وهذه الفكرة ليست بعيدة عن اذهان مهندسي سياسية البيت الابيض، لخلق متاعب ما للنظام السعودي – الوهابي، بعد ان استهلك تاريخيا، فما اسهل عليها ذلك، فكل عوامل التقسيم متوفرة ومنذ زمن، فمن الذي سيقف ويقاتل بجانب الوهابيين؟ ابناء المنطقة الشرقية ام الغربية ام الجنوبية، المبعدون عن الاسهام الفعلي في ادارة المجتمع والخاضعون منذ زمن طويل لجحيم الممارسة الطائفية والإقليمية؟ وهكذا سيجد الوهابيون انفسهم اسوأ حالا من مأساة (1814م – 1818م) حينما اقتحمت قوات والي ومصر – انذاك- محمد علي باشا لم يقف احد الى جانب الوهابيين بل البعض وقف وساعد القوات المصرية -كما هو معروف تاريخيا- ليتخلص من عسف "النظام السعودي–الوهابي- الطائفي. ودونكم اهم العوامل المشجعة لحالات التفكيك الاجتماعي وتعزيز الكراهية والحقد في نفوس الاتباع.

إقليمية النظام: صفة ملازمة ومتأصلة في ممارسات ومواقف النظام بشقيه "السعودي والوهابي، بل يفتخر الوهابيون والسعوديون بذلك علنا فالدعوة الوهابية، انطلقت من منطقة نجد وان جميع قادة وقاعدة "الفاتيكان الوهابي"، هم من تلك المنطقة وان الاسرة السعودية المالكة، هي –أيضاً– تنتمي الى منطقة نجد، ورافقت الدعوة الوهابية منذ بدايتها. واقليمية النظام ليست بنت اليوم، بل هي متجذرة في الدعوة الوهابية.وقد عبر عنها بوضوح المؤرخ النجدي "ابن بشر"[1] بقوله: هذا الدين الذي من الله به في اخر هذا الزمن على أهل نجد[2] هذه المقولة نفخت في اذهان وعقول الوهابيين، فشعروا بالزهو والغرور وانهم قدر الامة الاسلامية، لكونهم هم الفرقة الدينية "الناجية"، وعندما تضعف تلك المقولة ولا تصمد امام الواقع، سرعان مايصرخ الوهابي- السعودي، نحن اخذناكم بالسيف وعلى الجميع الطاعة "نحن ابناء العارض حماة الدعوةوالدين". فهل يمكن ان تبنى الوحدة الوطنية او المجتمعات الحديثة بهذا المنطق السلطوي الفوقي؟ ناهيك ان كل سيف آلن للسقوط ومع ذلك لم يتغير بعد موقف النظام من هذه المسألة الجوهرية، حيث نجد كل المناصب الحساسة والرئيسية في الدولة داخل الاجهزة القضائية والتربوية والتعليمية، بيد عناصر تنتمي الى منطقة واحدة الا وهي منطقة نجد. كما نرى بالمقابل جذور البعد الاقليمي متأصل في نفوس التيار الوهابي المتشدد والمعارض في نفس الوقت لسياسة العرش والمؤسسة الدينية الرسمية، كأصحاب مذكرة النصيحية: وهابي متشدد ثائر ضد وهابي متفسخ على نفس الشروط الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجيةّ.

ثانيا: طائفية النظام: لم يبق على الكرة الارضية نظام سياسي، يمارس الطائفية بكل ابعادها البشعة وعلى كافة المستويات، غير النظام السعودي–الوهابي، واذا تفحصنا ممارسة كل رجال الدين من كل الطوائف في البلاد العربية وغيرها، نجد ابعاد الطائفية ضمن وسطهم ولكنها "طائفية محدودة ومنغلقة ومسالمة وغير علنية، اما رجل الدين الوهابي، فهو يختلف في ممارسته الطائفية عن بقية الفرق الدينية، اسلامية او غير اسلامية فهو يجاهر علنا بطائفيته ويفتخر بها ويمارسها بكل ابعادها اللاانسانية مصحوبة بروح عدائية للاخر. وعلى الرغم من مرور قرنين ونصف القرن من الزمن على انطلاقة "الدعوة الوهابية–

---

[1] يقصد"ابن بشر" بــ "هذا الدين"– الدعوة الوهابية وكلمة " من الله" اي اخص به أهل نجدِ دون سواهم!!

[2] ابن بشر ، تاريخ نجد، الجزء الثاني ص

السلفية" فان قادها الدينيين والسياسيين لم يراقبوا مواقفهم وممارساقمم "الطائفية" تجاه الفرق والاديان الاخرى، بل لم يتم حتى تخفيف اللهجة، بل ازدادت حدة في وقتنا الحاضر. فمن الفتوى الشهيرة السيئة الذكر والتي صدرت عام 1927 والتي تكفر الشيعةوتطالبهم بدخول الأسلام بالمفهوم الوهابي- او الهجرة من بلد الاسلام، فهاجر عدد كبير- كما هو معروف- من أبناء هذه الطائفية الى :البحرين، الكويت، العراق، سوريا، الى فتوى الشيخ ابن جبرين عام 1990 الذي (حرم فيها آكل ذبيحة الشيعي وكذلك نكاح نسائهم و لم يكن هذا الموقف موقفا فرديا، بل هو امتداد للموقف الرسمي "للفاتيكان الوهابي"فمن اين تأتي الوحدة الوطنية الراسخة داخل مجتمع تفوح فيه مثل هذه السموم القاتلة. ودونكم بعض تلك "السموم او الفتاوى".

سؤال: فتوى رقم 5741: هل يجوز المبيت عند مشرك من اهل القباب والذبح لغير الله "الشيعة"؟

الجواب: لا يجوز له ان يبيت عند مشرك من أهل القباب والذبح لغير الله قد يؤثر عليه ويدعونه الى إشراكه الا اذا اضطر الى ذلك.

اللجنة الدائمة: الشيخ ابن باز رئيسا، عبد الرزاق عفيفي نائب الرئيس. الشيخ عبد الله بن منيع عضو والشيخ عبد الله بن غديان عضو.

فتوى رقم 3008

سؤال: انا من قبيلة تسكن في الحدود الشمالية ومختلطين نحن وقبائل من العراق ومذهبهم شيعة وثنية يعبدون قبباً ويسموها الحسن والحسين وعلي واذا قام احدهم قال: يا علي يا حسين وقد خالطهم البعض من قبائلنا في النكاح وفي كل الاموال وقد وعظتهم و لم يسمعوا.

الجواب: اذا كان الواقع كما ذكرت من دعائهم عليا والحسن والحسين ونحوهم فهم مشركون شركاً اكبر يخرجهم من ملة الاسلام فلا يحل ان نزوجهم المسلمات ولا يحل لنا ان نتزوج من نسائهم ولا يحل لنا ان نأكل من ذبائحهم.

اللجنة الدائمة

فتوى رقم 5930 هل يمكن ان نعتبر المسيحيين اخواننا مثل المسلمين تماما دون تفرقة؟

الجواب: يحرم اتخاذ المسيحيين اخوانا.
اللجنة الدائمة

وهناك عشرات الفتاوى من هذا النوع لحقن قاعدتهم وانصارهم بتلك المواقف الطائفية المتشددة لان قادة المؤسسة الدينية الوهابية يدركون تماما ان اية تخفيف من الغلو في مواقفهم وممارساتهم الطائفية، قد يؤدي الى ذوبان، قاعدتهم الاجتماعية وتتقلص مصالحهم الضخمة داخل السلطة والمجتمع، وهذا الامر لا يمكن ان يقره او يوافق عليه كبار العلماء الوهابيين. ولهذا يبقى وهابي اليوم بالضرورة طائفياً موتورا. وما المشهد الدرامي الاخير، المضحك والمخزي في آن واحد الذي حصل اثناء زيارة الرئيس الايراني الاسبق "هاشم رفسنجاني: الى السعودية خير دليل على ان مصلحة الوهابيين مرهونة دوما بممارسة الطائفية بابشع صورها والا هل يعقل ان يتصرف الخطيب الوهابي هذا التصرف الخارج على كل نطاق الادب والقيم العربية الاسلامية فلا فكر لا في مصلحة البلد ولا في حسن الجوار؟ بالرغم من ان رفسنجاني دخل المسجد ووقف مستعداً ليصلي وراء امام وهابي، وهذا يدل على انه ذو عقلية متفتحة وغير متعصبة ولكن الخطيب الوهابي فاجأ جميع المصلين بالهجوم الكاسح على الشيعة والمذهب الشيعي. وقد قصد ذلك الخطيب رمي عصفورين في حجر واحد: تحذير الحليف العرش، بعدم التساهل والانفتاح على الشيعة اكثر مما هو متفق عليه سواء مع النظام الاسلامي في ايران او مع أبناء الطائفة الشيعية داخل "المملكة الوهابية" وان هناك خطوط حمراء يجب عدم تجاوزها.

ثانيا: اشعار الجمهور الوهابي، بان العلماء الوهابيين لا يهادنون ولا يساومون في امور دينهم ومعتقداتهم من جهة ولشد ذلك الجمهور الى المواقع الطائفية التي ينطلق منها (الفاتيكان الوهابي" من جهة ثانية.

ثالثا: غياب مفهوم المواطنة: هل من الممكن الحديث عن التوازن او السلم الاجتماعي وعن التلاحم العضوي البناء بين افراد المجتمع الواحد في ظل غياب تام لمفهوم المواطنة؟ كيف يمكن التوفيق بين مطالبة المواطن بالدفاع والتضحية في سبيل "الوطن" وهو في نفس الوقت محروم ليس من حقوقه السياسية والاقتصادية فحسب بل من حقوقه كمواطن، كأنسان متساوٍ مع حقوق الوهابي ناهيك عن الامراء؟

كيف تتصور قوة الصراع الداخلي لمواطنه عاقلة تود ان تخدم بلدها وهي في الوقت نفسه مهانة حتى العظم. ضلع اعوج، عوره، مجرمة اذا سارت لوحدها في الشارع وتشجع على الجريمة؟.

تقاس سمة تحضر وتقدم اي مجتمع في عالمنا المعاصر، بما حققه هذا المجتمع من ترجمة عملية لحقوق الانسان: مساواة في الحقوق بين المواطنين. حرية التعبير حرية الاعتقاد، مساواة بين المرأة والرجل، مساواة امام القانون...الخ. واذا كان رجل الدين الوهابي الى اليوم لا يحبذ النطق بكلمة مواطنه فما بالك والعياذ بالله، الاعتراف بحقوق الانسان؟ ان حقوق الانسان وحقوق الوهابي، مسألتان لا يلتقيان على ارض المملكة السعودية، فالاولى، تطالب "الثانية" الاعتراف بمفهوم المواطنة وما يترتب عليها من انشاء مؤسسات حقوقية وديمقراطية داخل المجتمع والثاني لا يقدر ان يحافظ ويترجم "سلطته العصبوية" وعسفها على ارض الواقع الاجتماعي الا بغياب مفهوم "المواطنة" والتضحية بها لصالح، حقوق المسلم، كما يفهمها رجال الدين الوهابيين. لهذا شن قادة المؤسسة الدينية حملت اعلامية مركزة —عبر وسائلهم الاعلامية الضخمة— على اصحاب الشذوذ الفكري الذين ينادون بحقون الانسان والديمقراطية. واذا طرحنا سؤالا بسيطا على"قادة الفاتيكان الوهابي. هل الشيعي مسلم ام لا؟ واذا كان الجواب معروفا مسبقا لدى الجميع بالنفي قلنا لهم هل هو مواطن ام لا؟ فاذا كان الجواب بـــ "نعم- مواطن واحد رعايانا قلنا لهم هل للمواطن حقوق ام لا؟ واين تقع حقوق المواطن الشيعي، الزيدي، الاسماعيلي في سلم حقوق المسلم الوهابي السعودي؟ وهنا يبتلع قادة النظام بشقيه "الديني والملكي: الموس الحاد ويسيرون مطاطئ الرؤوس كعادتهم امام حقائق الاشياء. هذه المقدمة القصيرة ضرورية لنسف كل وهم مبني على القول "الوحدة الوطنية في السعودية" مبنية على ارض راسخة، بل وتعري كثيراً من التحليلات السياسية المتسرعة او المتزلفة للنظام و(الفاتيكان الوهابي) والتي تشير وتؤكد على ان "رسوخ الوحدة الوطنية والتلاحم الوطني من اهداف النظام المبكرة وها هو احد اقلام النظام الدكتور عثمان الرواف يتحفنا باستنتاجه الخاص قائلا: ان القيادة الوطنية العربية المسلمة في المملكة ممثلة في الملك عبد العزيز وصحبه لم تواجه مشكلة التخلص من الاستعمار لعدم وجود استعمار خارجي. وانما واجهت مشكلة وضع أسس التلاحم الوطني الذي لا يمكن لأي دولة حديثة ان تقوم بدونه"1" هذا الوصف لم يكن واردا أساساً لا في ذهن الملك عبد العزيز — الذي كان يسعى لاحياء

ملك ابائه واجداده حسب تعبيره- ولا صحبة من الوهابيين الذين كانوا يسعون بدروهم الى احياء الدعوة السلفية بالمفهوم الوهابي – الموحدي، وقد نجحوا في سمعاهم هذا كما هو معروف ومسطر في التاريخ وعلى الواقع الاجتماعي والسياسي حاليا، وبالتالي هناك تعارض صارخ بين مفهومين، مفهوم، التلاحم الوطني، الذي نحن نفهمه والبعيد عن الواقع المادي المحسوس وبين مفهوم "التلاحم الوهابي–النجدي" المجسد على الواقع العملي وطوال مسيرة سبعون عاما ونيف لم يقترب بعد النظام ورجال الدين من أسس التلاحم الوطني، فالمجتمع السعودي – الوهابي مجتمع طائفي – اقليمي بالدرجة الاولى يتعارض بل ويحارب بشدة اي نزوع الى مثل هذه الافكار التي تصهر افراد المجتمع الواحد ضمن بوتقة واحدة، اي صهر الوهابيين مع غيرهم من المواطنين وهذا "مسلم" لم يحد بعد، فكيف يتساوى الوهابي والامير السعودي مع الدهماء "الشعب" هذا من جانب ومن جانب اخر، سعي النظام المستميت الى سعودة المواطن والوعاء التاريخي، يتعارض كليا مع مفهوم الدكتور الرواف "لتلاحم الوطني- راجع فقدان الهوية التاريخية[1].

[1] الدكتور عثمان الرواف، مجلة اليمامة، العدد 1525 بتاريخ 3 اكتوبر 1999م.

8– مجتمع الانسان المسيّر

مهدت النظرة الاتكالية المطلقة الى تعزيز وتكريس فلسفة الانسان مُسير لا مُخير، ولولا الاولى، لم تأخذ الثانية ابعادها اعتقادا وممارسة داخل المجتمع الوهابي وفلسفة الانسان مسير لا مخير فلسفة قديمة جدا لتبرير "حكم الطغاة" المستبدين الذين عرفهم التاريخ البشري لكون هذه النظرية تستمد جذورها من نظرية التفويض الالهي؟ فقد ظهرت وانتعشت أيضاً في الاسلام في نهاية القرن الاول الهجري تحت اسم "المذهب الجبري" وكان الامويون اول من روج لهذا المذهب في صراعهم السياسي مع اعدائهم لتثبيت الحكم في "البيت الاموي". ويذكر "الجاحظ" ان "زياد بن ابيه" والي العراق، بانه المسؤول عن نشر هذا المذهب في العراق ولكن المذهب الجبري اخذ ملامحه وبروزه وابعاده في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ثم ابنه الوليد بن عبد الملك حيث جسدا كل ابعاد نظرية التفويض الالهي التي تنطلق من: ان الله وحده هو القادر على حسابه وان الملك لا يقدم حسابا على افعاله الا لمن اعطاه السلطة[1].

وقد ذكر الخليفة عبد الملك بن مروان في خطبة له في "المدينة المنورة محذرا الجمهور من نقد اعماله او افعاله قائلا لهم: الا واني لا ادري امر هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم والله لا يأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا وضربت عنقه[2] وقد وقف كبار الشعراء في العصر الاموي مدافعين عن "الحق الآلهي" للبيت الاموي في الخلافة وها هو احد كبار الشعراء لذلك العصر جرير الجربوعي واصفا خلافة الامويين كأنه قدر لا مفر عنه ومادحا الخليفة عبد الملك بن مروان قائلا:

نال الخلافة إذ كانت له قدر كما اتى ربه موسى على قدر

---

[1] الدكتور ماهر عبد الهادي السياسية في نظرية الدولة القاهرة. دار غريب طبعة 1980 ص 70.
[2] هادي العلوي. في السياسة الاسلامية، بيروت، دار الطليعة. طبعة 1974. ص 197.

وفي قصيدة اخرى يقول جرير:

انت الخليفة للرحمن يعرفه اهل الزبور وفي التوراة مكتوب

وقتئذ بدأت الدولة الاموية تشجع على نشر هذا المذهب مثلما شجعت على نشر المذهب القدري يقول الثعالبي: ان الوليد بن عبد الملك اول خليفة تجبر في نفسه وسار في الناس بالجبرية[1]، وفي "الوليد بن عبد الملك يقول الشاعر "الأحوص":

تخـــيره رب العبـــاد لخلقـــه وليا وكان الله بالناس أعلما

وقد وقع كثير من "المسلمين ضحايا هذا "المذهب الجبري الرسمي" وها هو احد شعراء "الجبرية" ثابت قطنه، يقول:

وما قضى الله من امر فلـــيس لـــه رد وما يقضي من شيء يكن رشدا

كل الخوارجي مخـــط في مقـــالته ولو تعبـــد فيما قال وأجـــتهـــدا[2]

وبالمقابل ظهرت "الجبرية الشعبية" بجانب الجبرية الرسمية، وهي في الحقيقة: جبرية شجاعة، وقفت في وجه ظلم بني امية، دفع قادها حياهم ثمنا لمواقفهم هذه: الزاهد جعد بن درهم، يذبح حيا وغيلان الدمشقي وصاحبه "الشيخ صالح "يصلبا في دمشق...الخ. وهو امر ملفت للنظر حقا.

كيف يتم التوفيق بين النظرية الجبرية – التي تدعو الى الخنوع والاستسلام وعدم التصادم مع "ولاة الامر" او من ولاهم الله امور مقاليد الرعية وبين مواقف جريئة تدعو الى فضح سلوك اولئك الخلفاء، ربما في الامر غموض او تشويه مقصود لاولئك الاشخاص.

وتحل الدولة العباسية محل الدولة الاموية لتجد في المذهب الجبري خير ملاذ لهاولنا في خطبة الخليفة ابو جعفر المنصور – المؤسس الحقيقي للدولة العباسية خير دليل على

---

[1] هادي العلوي في السياسة الاسلامية، بيروت. دار الطليعة طبعة 1974 ص 197.
[2] محمد الطحان الاستبداد وبدائله منشورات اتحاد الكتاب العرب. عام 1992. ص 36. دون ذكر المكان.

ذلك: ايها الناس انا سلطان الله في ارضه اسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنة على ماله واقسمه بارادته واعطيه باذنه وقد جعلني عليه قفلا فان شاء ان يفتحني لاعطائكم وقسم ارزاقكم فتحني وان شاء يغفلني عليه قفلني[1]. والوهابيون والسعوديون، بنظرهم الضيقة للتاريخ وبسلفيتهم المتخلفة جدا يبحثون دوما عن اكثر النقاط سلبية في تاريخ الحضارة العربية-الاسلامية ليتمسكوا بها لجعلها بمثابة "الدليل النظري" لهم في قيادهم للمجتمع والانسان، فوجدو ضالتهم في المذهب الجبري

وجعله المذهب السياسي الرسمي غير المعلن، ممزوجا بسلفية دينية خاصة بهم ومهما قيل عن"الجبرية الاموية او العباسية" فانها تبقى جبرية سياسية محدودة الاثر والتأثير، لان الهم الاول للامويين والعباسيين هو حصر " سلطة الملك" ضمن الوسط العائلي للاسرة المالكة وعلى الرعية التسليم بهذا القدر. اما الجبرية الوهابية – السعودية، فهي ابعد مدى واخطر بكثير من غيرها لانها جبرية – عقائدية- شمولية، سياسية وروحية وتعليمية وتربوية. تدار وتكرس لا من قادة البيت الحاكم "السعودي" بل من مركز ديني قوي ومنظم اخطبوطه ممتد في كل القرى والمدن والصحاري الا وهو "الفاتيكان الوهابي" ذلك "الفاتيكان" الذي لم يكن له اي اثر او وجود في الحقب التاريخية، الاموية او العباسية، ناهيك عن الدولة العثمانية. هذا "الفاتيكان" او السلطة الكهنوتية هدفها النهائي ترويض المواطن ايديولوجيا – دينيا، لجعله اداة سهلة القيادة والتوجيه- وكأن الامر طبيعيا- ولا يتم لهم هذا الا بعمق الترجمة الفعلية لفلسفة الانسان مسير لا مخير، كما شاءت الاوامر الآلهية، بعد نبشها من مقابر التاريخ القديم وطلائها بسلفية وهابية. والمواطن في الجزيرة العربية – السعودية، يحس بقوة بانه انسان مسير لا مخير، من خلال حركة "المطوع" واوامره في الشارع، الاسواق، ومن خلال الخطاب الرسمي لعلية القوم من ملوك وكبار العلماء، الموجه للشعب. ودونكم بعض الامثلة الحية عن ابعاد فلسفة الانسان مسير لا مخير في هذا البلد.

وراثية الحكم: حصر "الملك" في وسط عائلة استقراطية ما تشكل القاعدة العامة التي تنطلق منها وتعتمد عليها كل الانظمة الملكية الوراثية والناطقة باسم "التفويض الالهي"

---

[1] السيوطي: تاريخ السيوطي. ص 210.

فالاقدار شاءت واختارت، هذا الرجل الذي ينحدر من هذه العائلة الارستقراطية ان يحكم هذا الشعب تنفيذا للمشيئة الالهية:

فقد ظهر من الحكام من يدعي انه ليس مفوضا من الله بل من الشعب ولكن العناية الالهية هي التي قامت باختياره اي يستند هؤلاء الحكام الى فكر ان الانسان مسير لا مخير وبالتالي حينما يقوم الشعب باختيار حكامه فهو انما يقوم بتنفيذ رغبة الاله[1] ولهذا لا نجد وهابيين رسميين يختلفان على ان "البيت السعودي" هو البيت الذي قدر الله له قيادة هذه الامة، او هذا الشعب. وقد طبق – ولا زال ملوك آل سعود كل ابعاد هذه المقولة على ارض الواقع العملي بالتعاون مع "جهابذة المؤسسة الدينية" وقد لاحظ بعض اساتذة العلوم السياسية هذا في جوهر الخطاب الوهابي الرسمي الموجه للشعب، يعلق احدهم قائلا:

من يلقي نظرة على تصريحات الملك سعود بن عبد العزيز والملك فيصل لوجد، في طيات هذه التصريحات ما يشير الى ان ارادة الله قد شاءت بأن يكونوا ملوكا يحكمون المملكة العربية السعودية[2].

والملك الوهابي، لا يسأل عما يفعل ولا يقدم حسابه امام اية مؤسسة، لانعدام أساساً – المؤسسات الديمقراطية في البلد، بل محاطا بمجموعة من كبار علماء الدين الوهابيين المنسجمين مع هذه الفلسفة والمشجعين على غرسها في ذهن المواطن والمواطنين في عموم المملكة السعودية مجبرون على اعلان "البيعة" لهذا الملك السعودي او ذاك ولا يجرؤ احد على ان ينتقد اعمال وافعال الملك- الامام الوهابي- النابعة من ارادة الله، التي لا مرد لها فلا داعيا لحسابه ما دام غير معطل للفرائض الخمسة يقول احد كبار العلماء الوهابيين "صالح ال الشيخ ": ان الجهاد ليس مع فئات او جماعات، الجهاد مع ولي الامر مع الامام، اذا دعا اليه فليس لاحد من الناس ان يفتِ على ولي الامر فيما اعطاه الله له[3] بهذه الفتوى جرد الشيخ "صالح ال الشيخ" حق الجماهير في النضال ضد الظلم والفساد في داخل البلد واخرس بعض الاصوات لشخصيات دينية تطالب بالجهاد ضد المصالح الاميركية، الا بإشارة من "اصبع الملك فهد بن عبد العزيز". وبالتالي تطفل الجمهور على

---

[1] الدكتور ماهر عبد الهادي "السلطة السياسية في نظرية الدولة" القاهرة، دار غريب 980، ص 143.
[2] الدكتور ماهر عبد الهادي المصدر السابق ص 143.
[3] مجلة اليمامة. العدد 1678 بتاريخ 20 اكتوبر 2001م.

محاسبه الملك الوهابي على افعاله، هو نوع من الزندقة والهرطقه الجديدة والخروج عن الجماعة. وبهذا المنطق لا يخضع الملك السعودي للاستجواب لا من قبل مجلس الوزراء ولا من قبل مجلس الشورى الصوري الذي انشأ مؤخرا كديكور لان الملك نفسه هو الذي اختار جميع اعضائه بدقة ويحق له وحده شطب او طرد اي عضو في ذلك المجلس متى شاء مع ابتهال جميع اعضاءه لهذه البادرة الملكية السامية.

العلماء ورثة الانبياء: كل شيء في هذا البلد ينطلق من "ثنائية": ثنائية السلطة المحصورة بين العرش والفاتيكان الوهابي، ثنائية القرار السياسي، ثم "الثنائية القدسية.

فما دام ملوك آل سعود ينطلقون في الحكم من "نظرية التفويض" او الحق الالهي بمباركة وتأييد كبار رجال الدين. فان الاخيرين هم أيضاً لا يقلوا ذكاءا ومكراً عن آل سعود حيث ربطوا انفسهم بخيط النبوة وانهم ورثة الانبياء في الارض لمتابعة "المسيرة الالهية" — فبقدر ما يُسير العرش المواطن حسب مصالحه ومشيئته، بقدر ما السلطة الكهنوتية متحكمة بشكل اقوى بتوجيه الانسان الى مرابض "الفاتيكان الوهابي" فإن المواطن هنا ليس مسير فحسب، بل وواقع ومحاصر بين مخلب الحق الالهي السعودي وبين مخلب "حق كبار العلماء الوهابيين" ورثة الأنبياء، فما ان يعلن وفاة "الملك السعودي" وتتفق العائلة المالكة على شخصية الملك الجديد، سرعان ما يرفعون هذا الى المركزية الوهابية المتمثلة بكوكبة من كبار علماء الوهابية ليصدروا الفتوى الشرعية لاثبات شرعية الملك او الامام الجديد ويطالبون الرعية الجمهور اشهار البيعة فيهرول المواطن المغيب والمسير على المذهب الجبري، اعلان بيعته بعد تقبيل يد وانف الملك فهذه الطريقة هي ارقى سمات الديمقراطية وانقاها على الارض واكثر حرصا على سلامة ومصلحة المواطن والبلد فقد حددت العناية الالهية واختارت ممثلها في الارض.

ورجال الدين في "السعودية" بقدر ما هم حساسون جدا من اي نقد او همس بحق "ولي الامر" بقدر ما هم أيضاً لا يسمحون لاحد بنقد سياسة "المؤسسة الدينية الوهابية" الداخلية والخارجية او يتعرض لنقد احد كبار علمائهم فهم يصفون انفسهم بانهم خلفاء

الرسل وورثتهم ولا يخفي مرتبة الرسل وانهم هم القادة وهم الهداة للامة وهم اسباب سعادتها ونجاحها، فالعلماء حلّو محلهم[1].

اي الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والفوزان وعبد العزيز آل الشيخ ...الخ. حلوا محل النبي محمد ﷺ -في الطاعة- ولم يقفوا عند هذا الحد بل اخذوا يحذرون الجمهور من نقد رجال الدين بقولهم "إن الطعن في العلماء والقدح فيهم والتشهير بهم ونشر عيوبهم غير جائز، بل هو محرم اشد التحريم لان لحوم العلماء مسمومة وسنة الله في هتك استار منتقصيهم معلومه"[2].

وهكذا حصر المواطن المسكين بين الرهبة الشديدة بعدم نقد "ولي الامر – الملك" وبين لحوم العلماء الوهابيين "المسمومة" فسار في الطريق مطاطأ الرأس أسير ايديولوجيتهما، لا هدف له في الحياة الا نيل رضى ولي الامر والتمجيد باسمه. والابتعاد عن نقد او اكل لحوم العلماء – الوهابيين "المسمومة" لذا نشأ جيل وهابي مدجن ومسير على ايقاع المذهب الجبري والبعض لا يخجل في التعبير عن هذه العبودية في الصحف المحلية وفي اواخر القرن العشرين، ودونكم مقتطفات من تلك المقالات يقول الصحفي "السعودي" محمد عبد الله الحميد. (ولنستمر في العطاء والقيام بدورنا في القيادة والريادة والرعاية فذلك قدرنا تلك رسالتنا تكليف من بارئ الوجود الذي جعلنا خير امة للناس وسدنة بيته واختار صفوة خلقه من بيننا وستظل كذلك الى ان يبعث الله الارض ومن عليها الا فلتخرس ألسنة السوء[3].

اولا: ماذا يقصد الصحفي "الحميد" من كلمة العطاء؟ هل يقصد العطاء المعرفي والحضاري؟ فهذا لا يقر به عاقل فالوهابيون قيادة وقاعدة ابعد القوى الاجتماعية على الارض عن الاسهام في هذا المجال لان المعرفة العلمية و"العملية" هي (رجس من الشيطان حسب اعتقادهم اما اذا كان يقصد بالعطاء الريال والدولار فهذا صحيح تماما.

---

[1] الشيخ عبد العزيز بن باز، مجموعة فتاوى ومقالات ، الجزء السادس ص 73.

[2] مجلة الدعوة العدد 1603، بتاريخ 7 اغسطس 1997م.

[3] مجلة اليمامة. العدد 1258. 19 ذي الحجة 1413 هـ. 9 حزيران 1993م.

ثانيا: اختار الله صفوة خلقه من بيننا وهي كلمة تعكس كل ابعاد فلسفة الانسان بانه "مسير لا مخير" فقد اختار رب العزة والجلال آل سعود من صفوة خلقه ليحكموا هذا البلد باسمه الى ان يبعث الله الارض ومن عليها.

ثالثا: (لنستمر في العطاء والقيام بدورنا في القيادة والريادة فذلك قدرنا تلك رسالتنا تكليف من بارئ الوجود) اي ان الله سبحانه وتعالى كلف الملك فهد والشيخ ابن باز وجماعته والحرس الوطني والصحفي "الحميد" باداء الرسالة السماوية على الارض، اي تبجح واي نفخ للذات واي استخفاف بعقل المواطن؟ نعم هناك رسالة او بالاصح وظيفة يقوم بها "النظام والفاتيكان الوهابي" هي تبذير الثروة الوطنية وتصدير الثورة المضادة عالميا. لخلق مشاكل امام حركة المجتمعات النامية التي تحاول ان تنتج بنفسها من المخلب الاميركي الخانق ولتبني مجتمعاتها الانسانية خارجة عن ارادة او نصيحة "البيت الابيض" فيأتي دوركم المخرب والمعطل لمسيرة تلك الشعوب باسم "الاسلام البترولي" فكل قطرة دم تراق او تسفح في أفغانستان، المسؤول الاول امام "الله والعالم" الريال السعودي والدولار الاميركي فقد خلقتم من هذا الشعب الامي المسكين، شعب مرتزق ومخرق الاوصال عبر اموالكم الشخصية والمسمومة التي ترسلونها اليه منذ عام 1980م كل شهر عشرات من ملايين الريالات ثم مئات الملايين يحملهاالى هناك عشرات الدعاة الوهابيين المدجنين ناهيك عن مئات الشباب المتوهب والمتحمس للقتال ضد "الوجود السوفياتي" آنذاك. والنتيجة بعد خمسة عشرة عاما من تدفق الاموال والدعاة، قيام نظام الطالبان في افغانستان وهو نظام " وهابي صرف" قائم على المبادئ الاولى للدعوة الوهابية ويقتدي الاثر بأئمة الحركة الوهابية: منع المرأة من العمل منع الموسيقى، والسينما، منع التلفزيون خلق جهاز هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، جلد شارب الخمر، قطع يد السارق، رجم الزاني...الخ. وما تحطيم التماثيل التاريخية مؤخرا في افغانستان الا دليلا ماديا على بعد "السوسة الوهابية" في ذهن ونفسية الافغاني. فالوهابيون هم اول فرقة اسلامية حاربت وحطمت كل الاثار التاريخية الموجودة في الجزيرة العربية كما هو معروف للجميع ومنع التنقيبات الاركولوجية، ناهيك عن دراستها في الجامعة حتى عام 1971م.

وبالمقابل كل قطرة دم تهدر في يوغوسلافيا مسؤول عنها السعوديون والوهابيون قبل اتهام وادانة اميركا. فمنذ عام 1974م دخلت السوسة الوهابية اللعينة في المجتمع اليوغسلافي واخذت تنخر في داخله بهدوء وصمت. وذلك عن طريق رجال الدين

الازهريين الذين استعان بهم الوهابيون لادارة كلية الشريعة الاسلامية التي اشادها الملك فيصل بن عبد العزيز، في بلغراد- انذاك- وهنا يتساءل المرء ما الهدف من انشاء كلية الشريعة الاسلامية هناك في حين ان النظام السعودي ليس له علاقات دبلوماسية ولا ودية مع يوغوسلافيا او اي بلد شيوعي آخر؟ وبما ان الاستراتيجية الاميركية لا تنكشف بعض ملامحها الا بعد مرور عشر او عشرين سنة، عكس الدور المبكر والمخرب "للوهابيين" وبعض رجال الدين المصريين في تدمير وتمزيق هذا الشعب. المسالم عبر تاريخه الطويل"باسم الاسلام الجديد" كما ظهرت وبانت الاهداف الاميركية المبطنة للقضاء على المجتمع اليوغسلافي المتماسك والمتعدد الطوائف ورمز للامن الاجتماعي ويأتي بالدرجة الثانية، في انتاج الحنطه على الصعيد الاوروبي، بعد فرنسا. وها هو اليوم ممزق الاوصال وروائح الجيف تفوح في كل زاوية باسم الدين "مسيحي—مسلم" واخذ يستورد الحنطة واللحوم مثل بقية الدول الاخرى من بلاد العم سام تحت ابتهالات انطلقت من "سبعمائة"-700- مسجد تم بنائها من اموال سعودية[1].

وما ينطبق على دور السعودية الريادي في افغانستان ويوغسلافيا ينطبق على كل بلد سمع النصيحة الوهابية، واخذ المساعدات المالية من : الصومال ذات الثروة الحيوانية الهائلة اكثر من ثلاثة ملايين رأس غنم "دفعوا بالشعب الى حرب اهلية شرسة لم تتوقف بعد واليوم يستورد الصومال المكدونال الاميركي[2] اما السودان البلد النموذجي للثروة الحيوانية — كان الاول بين الاقطار العربية سابقا وارضه صالحة لزراعة الحبوب، فمنذ فتحت فخذيها لدعاة الوهابيين واخذت نصيحتهم ومساعداتهم، دخلت السودان - ولازالت- في دوامة الصراعات السياسية الدموية تارة انقلابات عسكرية سعودية وتارة انقلابات عسكرية دينية أيضاً سعودية مرورا باندونيسيا صاحبة عشرة الاف داعية وهابي معشعش في جسدها فمصوا دم الانسان والارض حتى حولوا البلد الى "خربة" انهيار اقتصادي، فقر، جفاف، صراعات سياسية، دموية، فبعد ان دعموا نظام "سوهارتو"

---

[1] مجلة الدعوة، العدد 1580 بتاريخ 20 نوفمبر 1997م.

[2] في هذه المناسبة اروي طرفة او بالاصح قصة حقيقية: قبل ثلاثين عاما كنت مع صديق من "حوطة بني تميم" نرتاد مطعم صومالي في عدن فيقدم لنا لحم كثير مع الرز بمبلغ "ثلاثة شلن — ريال ونصف الريال" وذات مرة قال لي صاحبي: هذا الصومالي يعطينا لحم كثير بمبلغ زهيد، اترى هو لحم حقيقي ام ماذا؟ فقمت وسالت صاحب المطعم فقالي لي: الصومال بلد غني بالثروة الحيوانية. وسعر الخروف هناك لا يتجاوز السبع دولارات.

ثلاثون عام القوا به هم والاميركيون في المزبلة ولكن دون تحسن الوضع السياسي والاقتصادي، فكل ريال سعودي، سبحان الله، يتحول الى سوسة ينخر سقف السلم الاجتماعي والبنية الاقتصادية لتلك المجتمعات. كما هو واضح للعيان في المساعدات السعودية الى : مصر، سوريا، الجزائر، لبنان، اليمن...الخ فاي رسالة هذه التي يتبجح بها الحميدي وامثاله وروائح الوهابيين وفضائح السعوديين تخطت حدود "الايسكيمو".

ثم يترل فارس آخر نصف متوهب ونصف متسعود الا وهو الدكتور احمد السناني. يدل بدلوه شارحا نظرية التفويض الالهي قائلا:

وصاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن عبد العزيز مثل اعلى ينبغي علينا جميعا الاقتداء به وإن قصرت قدراتنا على مجاراته والوصول الى ذراه -هكذا- الا ان علينا المحاولة الجادة ولكل مجتهد نصيب ونحمد الله ان فيض لنا من بين ظهرانينا قيادة واعية معطاءة حنونة دائما وابدا تضع مصلحة الدين ثم الوطن والمواطن فوق كل اعتبار قيادة لا تعرف التثاؤب ثم يتذكر الدكتور السناني ان الملك فهد بن عبد العزيز لم يمت بعد – طريح الفراش- فيسرع لترقيع مقالته الاسبوعية قائلا: مرة اخرى القيادة العليا لبلاد الحرمين الشريفين تتمثل ما تمثل بكامل تصرفاتها الظاهرة والباطنة تعاليم وقيم الاسلام العليا وعلينا كمواطنين ومسؤولين الاقتداء ثم الاقتداء ثم الاقتداء[1]".

[1] مجلة اليمامة. العدد 1578 بتاريخ 23 اكتوبر 1999م.



9- مجتمع الطاعة

جوهر الفلسفة الوهابية في التربية والتوجيه السياسي والديني انشاء مجتمع الطاعة بكل ابعاده فهو الهدف الاسمى والارقى الذي ينشده قادة حكم الثنائية – العرش والفاتيكان الوهابي حتى اصبحت الطاعة الشرط المسبق لميلاد اي كائن انساني داخل اسوار هذه المملكة وقد نجح الوهابيون -- لغاية الان- على تحقيق ما عجزت عنه انظمة الطغيان بكل الوانها الاستبدادية في القديم والحديث. فهم لم يتوقفوا عند حدود "الطاعة السياسية"اسوة بكل النظم السياسية- الإستبدادية، بل دفعوا بمفهوم الطاعة الى اقصى حدوده لسلخ الانسان من انسانيته وهو واقفا مبتسما بل البعض فخورا بتبعيته المطلقة للقصر الملكي و"الفاتيكان الوهابي". ولم تتحقق هذه الطاعة بابعادها الحيوانية، إلا عبر غسل دماغ المواطنين البسطاء بايدولوجية دينية سلفية جعلت في النهاية هذا المواطن او ذاك اداة رخوة سهلة القيادة والتوجيه لما يطمح اليه العرش والعلماء ونحن هنا لا نتحدث عن "الطاعة السياسية" التي عرفها التاريخ قديما او حديثا. ولهذا لا نود الوقوف عندها، بل الذي يهمنا ويجب شرحه هنا هو مفهوم الطاعة عند الوهابيين والسعوديين وبماذا تتميز وما هي العوامل المغذية لمثل هذا النوع من الطاعة العمياء؟ وما شكل ونوع الطاعة المكرسة حاليا داخل المجتمع؟

الطاعة بالمفهوم الوهابي-السعودي هي الخضوع الكلي الارادي لولي الامر او الغصب على ذلك بقوة الاكراه، اي العقاب الفوري. وقد تفنن رسل الوهابية السعودية في أساليب القمع والاكراه في امور جزئية حياتيه لا يقف او يهبط الى مستواها اي نظام طغياني او دكتاتوري عرفه التاريخ وكلما اتسعت مصالح الفاتيكان الوهابي داخل المجتمع كلما احتاج اكثر الى فرض الطاعة الدينية والسياسية بكل ابعادها وبالمقابل كلما اتسعت مصالح العائلة المالكة وتكاثر نسلها وازداد تبذيرها وفاحت روائحها العفنة في الداخل والخارج، كلما كانت الطاعة بالمفهوم الشمولي هي خير ضمان لتبرير سلوكها وهيمنتها على المجتمع والانسان. ففي داخل المملكة اليوم توجد أربعة انواع من الطاعة.

1- **طاعة ولي الامر:** طرح قادة المؤسسة الدينية، مقولات واحاديث دينية، ملقاة بنمط وهابي خاص، لتؤكد دوما وجوب "طاعة ولي الامر". ورجال الدين الوهابيين عن وعي او دون وعي لا يميزون بين وصية الخليفة ابو بكر الصديق عندما ارسل عدة جيوش في آن واحد على عدة جبهات داخلية وخارجية على التأكيد على وجوب "طاعة الامير قائد الجيش الاسلامي " دون تفريق كلمة الجيش لبعد المسافات الجغرافية بين مواقع تلك الجيوش والمركز القيادي "المدينة المنورة" وبين امير سعودي مترهل وفاسد وقابع في قصور الملذات ليلا – نهارا منذ سبعين عاما. ومن فن طاعة الامير الى فن تحطيم روح اي تمرد او احتجاج او "ثورة" ضد "ولي الامر" اطع اميرك ولو جلدك واخذ مالك مستندين في تربيتهم المركزة هذه على مقولة اوردها الشيخ ابن تيميه- المرجع النظري للوهابيين- (ستون سنة مع إمام جائر اصلح من ليلة بلا سلطان- امام)[1]، وقد كرس الشيخ ابن باز المفتي الوهابي الاكبر- كثير من وقته ومحاضراته وحواره مع الجمهور الوهابي ،على وجوب طاعة "ولي الامر" قائلا: لا نرى السيف على احد من امة محمد الا من وجب عليه السيف ولا نرى الخروج على ائمتنا وولاة امورنا وان جاروا ولا ندعوا عليهم ولا نترع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية[2].

"المهم الشيء الاساس عند الشيخ ابن باز وانصاره، ما دامت الفرائض غير معطلة وجب طاعة ولي الامر وان جار وظلم .....الخ ولكن الشيخ ابن باز وغيره من العلماء الوهابيين، لم يناقشوا هل يحق اتباع امام له علاقات حميمة ومتحالفة مع قوى استعمارية خارجية ام لا ؟ وامام هذه المسألة يصمت كبار علماء الوهابية، كصمت " ابو الهول" ويكفي الرعية سعادة ان الفرائض غير معطلة ولم يأمرهم "ولي الامر" بعد بترك الصلاة أو الصيام، الحج...الخ. عندما دخل الأنجليز لأول مرة مدينة البصرة في جنوب العراق عام 1914م سمع احد الضباط صوت آت من مكان مرتفع، ثم شاهد مجموعة من الرجال يتجهون صوب ذلك الصوت ويدخلون المكان –المسجد- فشك الضابط الانجليزي في الامر وتساءل عن معنى هذا ؟ فقيل له : هذا صوت المؤذن يدعو الناس لاداء الصلاة. فتمتم الضابط قائلا. ما دام تجمعهم لا يهدد مصالح بريطانيا دعهم يصلون فما بالك بـــ " ولي

---

[1] ابن تيمية "في السياسة الشرعية"، دار الكتب العربية- بيروت دون تاريخ

[2] الشيخ عبد العزيز بن باز "مجموع فتاوى " الجزئ السابع من " الناشر رئاسة ادارة البحوث والافتاء بالرياض 14150هـــ.

امر المسلمين " فلماذا يفكر ولو لحظة من الزمن " بتعطيل الفرائض " ومنع الناس من اداء شعائرهم الدينية، وهو يعلم اكثر من غيره دور رجال الدين في اعطاء الفتاوى والحجج والبراهين عن سكوت الرعية عن ظلمه او جوره ؟!. والادلة على ذلك كثيرة، ابرزها مثلا: تمرد جهيمان العتيبي في مكة عام 1979 م وفشله فسارع 35 عالما وهابيا باصدار بيانا مطولاً ادانوا العتيبي لخروجه على "ولي الامر" بل ونعتوه باقبح النعوت والصفات وهم يعلمون جيدا بان "جهيمان العتيبي" وهابيا مخلصا لسلفيته ولو نجح لاعطوه صفات اخرى. وفي محاضرة للشيخ ابن باز ذكر فيها : "لا يجوز الخروج على الائمة وان عصوا يجب السمع والطاعة في المعروف مع المناصحة ولاً تترعن يدا من طاعة لقول النبي ﷺ على المرء السمع والطاعة في المنشط والمكره وفيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله فان امر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة"[1] ويواصل قائلا: ولا يجوز الخروج على ولاة الامور وشق العصا الا اذا وجد منهم كفر بواح عند الخارجين عليه من الله برهان ويستطيعون بخروجهم ان ينفعوا المسلمين وان يزيلوا الظلم وان يقيموا دولة صالحة. اما اذا كانوا لا يستطيعون فليس لهم الخروج

ولو رأوا كفراً بواحاً لان خروجهم يضر الناس ويفسد الامة ويوجب الفتنة"[2]
سؤال : كيف نتعامل مع هذا الوالي ؟

الجواب : نطيعه في المعروف وليس في المعصية حتى يأتي الله بالبديل"[3].

هذا النص واضح وصريح ليس من مفهوم الثورة عند الوهابيين فحسب، بل من مفهومهم عن الديمقراطية ان الشيخ ابن باز وغيره من كبار العلماء الوهابيين لا يميزون بين شروط الثورة وبين المطالب الديمقراطية اما الثورة الناجحة مائة بالمائة لعزل الامام دون إراقة الدماء او السكوت عن ظلمه وجوره حتى الفرج إن غياب شروط الثورة مثلا، لا يمنع المسلمين،(الرعية، الشعب) من شعارات ومطالب مرحلية ضرورية يترعوها تدريجيا. وهذه المطالب الديمقراطية تزعج الوهابيين اكثر من العرش. لذا هم يركزون دوما على طاعة ولي الامر اي " طاعتهم " كما سنرى.

---

[1] الشيخ عبد العزيز بن باز " مجموع فتاوي " الجزء السابع. نشر رئاسة ادارة البحوث والافتاء الرياض 14150 ه ص 118.
[2] ابن باز، المصدر السابق، ص 118.
[3] لمصدر السابق ص 120.

2- طاعة العلماء: العلماء هم العقل المفكر والمؤدلج والموجه للشعب "الرعية" وطاعتهم بالمفهوم الوهابي واجب ونقدهم مذموم بل ومحرم ! لانهم هم القوة الاجتماعية المستوعبة "النص" ! والواقفة كالسد المنيع بين الشعب وبين النص. لكونها الجهة الوحيدة المفسرة والمطبقة للاحكام الشرعية. وطاعة العلماء الوهابيين تعني طاعة سياسة "الفاتيكان الوهابي" بكل ابعادها المتخلفة والمظلمة داخل المجتمع. فهم يصورون انفسهم "ورثة الانبياء"!! لذا لا يجوز نقدهم او طعنهم : من اطلق لسانه على العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب لذلك لا يجوز ابدا الطعن بالعلماء. ان لحوم العلماء مسمومه "اي لحوم الشيخ ابن عثيمين وابن باز واللحيدان وابن جيرين والفوزان والسدلان... الخ. لا يحق للمواطن نقدهم فحسب بل عليه طاعة اوامرهم وفتاويهم والالتزام بها.

ودونكم بعض أقوال أو "فتاويهم":

سؤال: ماذا يلحقني في كلب اسود اللون كان عطشان وجوعان يريد اكلا وماء وضربته بالعصا حتى مات .... ؟

الجواب من الشيخ ابن جبرين: مسألة الكلب اذا كان اسود كله ليس فيه ما يخالط السواد فقتله مباح لانه شيطان فان فيه لونا غير السواد كالبياض والحمره فلا يجوز قتله"[1]

هذا الجواب، لا يعبر عن روح عنصرية متأصلة في نفوس بعض العلماء الوهابيين ضد السود او الأفارقة فحسب، بل استخفافا بعقول المواطنين البسطاء الواقعين تحت تاثيرهم الروحي. كلب اسود يتحول الى شيطان. واذا وقف بعض العقلاء منتقدين هذا العالم الديني وغيره. فان الارض ستهتز من تحت اقدامهم. لا يحق لك نقدهم لان لحومهم – والعياذ بالله – مسمومة!![2].

وقادة " الفاتكان الوهابي" بقدر ما هم حريصون على " طاعة ولي الامر بقدر ما هم يجلون من كبار علمائهم وجعلهم بمصاف طاعة ولي الامر حفاظا على استمرار حكم" الثنائية السائد في المملكة.

---

[1] مجله الدعوه. العدد 1603 بتاريخ 7 اغسطس 1997.
[2] مجله الدعوه. العدد 1616 بتاريخ 1997.

سؤال : ما المراد بطاعة ولاة الامر في الاية. هل هم العلماء ام الحكام ؟ ولو كانو ظالمين لانفسهم ولشعوهم[1]؟

الجواب من شيخ ابن باز: يقول الله عز وجل : يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم. واولو الامر هم العلماء والامراء وامراء المسلمين فالعلماء والامراء يطاعون في المعروف لان بهذا تستقيم الاحوال ويحصل الامن وتنفذ الاوامر وينصف المظلوم ويردع الظالم. العالم يبين حكم الله والامير ينفذ حكم الله هذا هو الصواب في اولي الامر هم العلماء بالله وبشرعه وهم أمراء المسلمين، عليهم ان ينفذوا امر الله وعلى الرعية ان تسمع لعلمائها في الحق وان تسمع لامرائها في المعروف.

سؤال : نبدأ سماحة الشيخ بسؤالكم عن مكانه العلماء في المجتمع والدور المناط بهم؟

الجواب: لا شك ان دور العلماء دور عظيم في المجتمع لانهم خلفاء الرسل وهم الذين يصلحون ما افسد الناس ويجتهدون في توجيه الناس الى الخير وقد اخبر النبي ان العلماء هم ورثة الانبياء".

يلاحظ ان الشيخ ابن باز قدم العلماء على الامراء، اكثر من مرة، ليس سهوا، بل تاكيدا على مقام العلماء في هذه المملكة فهم " صمام الامة" كما يصفوهم. وهم بهذا الوصف للمكانة الدينية والاجتماعية والسياسية لعلمائهم، فمن يستطيع ان ينقدهم؟ فهم ورثة الانبياء تارة ولحومهم مسمومه تارة اخرى. لذا يظهر طاعة العلماء الوهابيين هنا غصبا مثلها مثل طاعة ولي الامر .

3- **طاعة المطوع**: الضريبة اليومية -اللاإنسانية التي يدفعها المواطن والاجنبي- المقيم من كبريائهما وكرامتهما ارضاءا لمزاج عناصر دينية مريضة ومعقدة وذات عقول خاوية مغلقة يطلق عليها اسم " المطاوعة" وطاعه المطوع طاعة مباشرة وفورية والزامية لكونها طاعة "خارجية" بمعنى ما ان يكون هذا الرجل او تلك المرأة خارجه من بيتها فان الجميع يكون تحت رقابة المجهر الوهابي الراصد لسلوكهم اليومي. هل هو متلائم مع الارشادات والتوجيهات الدينية-الوهابية ام لا؟ هل هو منسجم المفهوم الاخلاقي المطبوع

[1] الشيخ ابن باز: المصدر السابق، ص 119.

في ذهن هذا المطوع او ذاك ام لا ؟ ولا ترفع الرقابة عن الرجل او المرأة حتى يعودا الى بيتهما. وفي كثير من الاحيان يتسلقون " المطاوعه" حيطان البيت – المشبوه بالسلالم بحثا عن " منكر – خمر – او جلسه اصدقاء مشتركة بين " شباب وشابات – ولو كانوا مع ازواجهم- وتدفعهم مهماتهم " الاخلاقية والدينية" ان يتمركزون في الاماكن الاكثر حساسية والتي تعج بالرجال والنساء كالاسواق، والحدائق العامة، المطاعم، الازقة، والشوارع ....الخ. يضايقون ويجبرون الجمهور على طاعة اوامرهم وتوجيهاتهم. وبما ان عملهم يومي لا يتوقف ويتقاضون الرواتب العالية- بجانب المخصصات والتسهيلات – فان طاعة اوامرهم واجبة. والمطاوعه هم الكائنات الوحيدة على وجه الارض، القادرة وبكل بساطه وسهولة على ايقاف حركة الانتاج في المصانع والمزارع بجانب الحركة الاجتماعية داخل المجتمع سواء لدقائق او لساعة وهذا المشهد يتكرر عدة مرات في اليوم. دون ان يتساهل احد او يشير الى حجم الخسائر المادية التي لحقت بدورة الانتاج، المهم الطاعه قبل كل شيء. وبما ان لكل مطوع سلطه قمعية على المواطنين: يزجر، ينهي، يجلد، يسجن ثلاثة ايام، فان الجمهور والحال هذه يبتعد عن مواقع، الشر، مواقع الصدام مع المطاوعه وعدم اظهار المعارضة المباشرة لسلوكهم الخشن هذا لكونهم عناصر دينية مريضة، يشعرون "بدونيه" امام الامراء والاميرات وعدم قدرتهم على " مخاطبة" او " مراقبه عليه القوم، فيصبون غضبهم وعقدهم النفسية على الشعب ! لذا تظهر طاعه المطوع اغرب واسوا وابشع طاعة خارجه عن العقل والمنطق السياسي وما دام "الفاتكان الوهابي، مهيمن على الحياة الاجتماعية، فان سلطة المطاوعه وطاعتهم مستمرة داخل " المملكة" وهم في عملهم اليومي – والمزعج هذا- يغذون عن وعي او دون وعي على تمركز " هوية السعوده" وذلك لانحياز قسم كبير من المواطنين الى " جانب" العرش – المتسامح في الامور الشخصية ضد رجال القرون الوسطى

4- طاعه الوالدين: للاب الشرقي سلطة قوية على أبنائه، يتحكم بمصيرهم حسب ارادتة بفعل قوة الاعراف والتقاليد وشروط الحياة الاجتماعية والاقتصادية – انذاك- التي تغذي مثل هذه السلطة. واذا خفت سلطة الاب الشرقي المطلقة في كثير من البلدان العربية والاسلامية، بفعل التطور والتحضر....... الخ. فان سلطه الاب داخل المجتمع الوهابي – السعودي لا زالت قوية بكل ابعادها المعروفة في الماضي السحيق. لان الوهابيين يهمهم احياء سلطة الاب لكي يتحكم بمصير اولاده وبناته لسببين اساسيين : السبب

الاول كي لا تظهر شمولية الطاعة، الوهابية – السعودية نشازا داخل المجتمع السبب الثاني: يتحمل الآباء المحافظين جزء هام من مهمات التربية الدينية بالمنظار الوهابي خاصة فيما يتعلق بتقيد المرأة وجعلها دوما تحت امرهم. وهكذا ضمن " الفاتكان الوهابي استمرار نصف المجتمع في " جيبه" ! وتصل السلطة الاب المحافظ الى قتل الابن العاق او البنت الضاله، تحت تهاني ومباركة المؤسسة الدينية. اما اذا كان الاب يشرب الخمر او " الدخان، فليس له سلطة على ابنه الذي "توهب" وعلى الاخير ان لا يطيع اوامر الاب الضال ويبقى الابن تحت حماية المؤسسة الدينية!



10- مجتمع الاتكالية المطلقة

الاتكال على " قدرة الخالق" مسالة لا تخص دين دون الاخر فكل الاديان دعت – ولا زالت – تدعو الى الايمان بهذه المقوله والتمسك بها. ولكن هذا الاعتقاد او الاتكال على " الله" لا يلغي دور العقل الانساني الخلاق في تطوير المعارف العلمية بما يخدم تطور الانسان والمجتمع واختيار النظم والقوانين التي تتناسب مع المستوى المعرفي والحس الانساني الذي وصل اليه هذا المجتمع او ذاك من تطور اقتصادي واجتماعي وثقافي وتكنولوجي ناهيك عن انسجامه مع الشروط والظروف التاريخية. ولهذا ربطت الشعوب القديمة مقولة الاتكال على الله بالعمل " ولم تعط المفهوم الاتكالي على الله ابعاده المطلقة كشان الوهابيين – كما سنرى- نتج عن ذلك بروز حضارات قديمة لا زالت اثارها باقية الى يومنا هذا كشاهد تاريخي على دور عبقرية الانسان – الجمهور – في صنع وقيام تلك الحضارات والحضارة الاسلامية لم تخرج او تشذ عن هذا الطريق، فقد ربط المسلمون ظاهرة الاتكال على الله بالعمل ولم يحتقروا، المعرفة الانسانية كالوهابيين اليوم. فجاءت حضارة غنية متنوعة هذه الحقيقة التاريخية لا يود الوهابيين سماعها او الاعتراف بها فهم من انصار الاتكال على الله فقط الاتكال على" المعرفة الدينية" وحدها وابعاد دور المعرفة العملية داخل المجتمع. فركزوا على غرس المفهوم الاتكالي بكل ابعاده الغيبية قولا وعملا بين صفوف قاعدهم الاجتماعية الواسعة وشددوا على هذا الجانب واستمراره في تربيتهم وتوجيهاهم للجمهور من 1902م – 1990م. فانشؤ اجيال عديدة متعصبة دينيا ومنغلقة على نفسها لا تؤمن بدور " العقل العظيم" الى يومنا هذا اجيال لا تميل الى العمل المهني وان افضل الوظائف واشرفها لدى الوهابيين وانصارهم هي: داعيه، قاضي، مدرس في كلية دينية، مطوع، خطيب امام جامع، مؤذن، جندي في الحرس الوطني او وزارة الدفاع، موظف في الدوائر الحكومية او الشبه حكومية تعاطي التجارة اسوة بالرسول وبعض الصحابه والتابعين. اما عن العلوم التطبيقية، فاهم ينفرون منها مثل نفورهم من الفلسفة. فبعد ان "حكموا بالموت" على التراث اليوناني العقلاني – المتطفل على المعرفة الدينية وعلى الشرائع السماوية اخذوا يغربلون التراث الاسلامي، فادانوا التيار الفلسفي وممثليه" الكندي والفارابي وابو بكر زكريا الرازي وابن سينا والغزالي وابن رشد وكذلك التيار

المعتزلي وتراثه الضخم وابتعدوا عن دراسه علم الكلام: الاشعري، الباقلاني وابن عربي وكفّروا التيار الشيعي والخوارج والاسماعيليين وادانوا بشده التيار الالحادي: ابن الراوندي وابو عيسى الوراق وعبدان الكاتب ناهيك عن التراث القرمطي، ثم كفّروا "البوصيري" واخوان الصفا وابو العلاء المعري والسهروردي.

ماذا بقي من التراث الاسلامي؟ وما هي المساحة المعرفية المسموح بها للوهابي بشكل خاص والمواطن بشكل عام؟ وما فعلوه بحق القدماء، فعلوه في عصرنا الراهن ضد قادة الفكر الانساني فلاسفة، علماء، ادباء، كبار شطباً ولعنا ومن يقرأ كتاب " الحداثة في ميزان الاسلام" "للشيخ عوض القرني" والكراريس الدينية التي اصدرها- ولا يزال — كبار"مشايخ الوهابية" مصحوبة بعشرات الفتاوى الدينية ثم المقالات الاخيرة التي نشرها الوهابي المتشدد ضد العلم والتطور الحضاري (عبد العزيز المقحم)[1] في مجلة الدعوه عام 1997م. يخرج مرعوبا ومصابا بالذهول والدوار من هذه الاراء المعادية بل والحاقدة على مسار التطور الانساني وتدفع القارىء على التساؤل: احقا توجد نماذج بشرية مثل هذا النوع وتتحكم بمسار المجتمع والانسان في الجزيرة العربية السعوديه..؟. هذه المواقف العدائية الشمولية لمنجزات الفكر الانساني المجسدة في مواقف قادة "الفاتكان الوهابي والعرش السعودي" الهدف منها تمهيد الطريق لترسيخ مفهوم "الاتكالية المطلقة" دون صعوبات على الواقع الاجتماعي وجوهرها بالطبع هو "اتكالية سياسية". اي الاتكال على "ولي الامر"، الملك، او رجل دين وما بينهما او خلفهما ما هو الا ضلال في ضلال وهلاك مبين. وقد نجح الوهابيون في دفع هذه المقولة الدينية الى اقصاها. وظل المواطن المتوهب، يجتر المعرفة الدينيه- السلفيه ويقف عندها، بل ويتطلع اليها بانها مفتاح النجاة ولا معرفة تعلو فوق المعرفة الدينية. فهربوا بالمجتمع والانزواء به بين وادي الرمة ووادي

---

[1] التقيت باحدى مكتبات باريس بالشيخ الدكتور " حسين الريس " احد خطباء مسجد باريس الكبير ، وبعد نقاش سالني : لماذا لم تاتي الى المسجد ؟ فقلت له : انني لا امن بالموجه الدينية السياسيه البتروليه ولا ابحث عن " حور العين " فضحك.
ثم سألني : ما هي اخبار بني وهاب- يقصد السعوديه- فذكرت له نبذه من المقالات التي كتبها الوهابي " عبد العزيز المقحم " والذي يسخر فيها من القائلين بكروية الارض وبوصول الامريكان للقمر ونظريات نيوتن انشتاين ، غاليلو........ فتطلع الي بدهشة قائلا:هذه هي الحلقة المفقودة بين القرد والانسان والذي يبحث عنها منذ زمن علماء الاركولوجي والانتربولوجيا وها هو يعيش الان في بلدكم" وقد أعجبني وصفه ونباهته.
عبد العزيز المقحم "مجلة الدعوة"، العدد 1598 بتاريخ 28 صفر 1418 هـ/ 3 يوليو 1997.

اليمامة عشرات السنين بحثا عن الطهارة وبعيدا عن الالتماس بـــ" نور الحضاره الانسانية. فالوهابيون يحبذون الظل والهدوء والمراوحة. حتى اجبرتهم احتياجات " انبوب البترول" واحتياجات شركة ارامكو ومصالح العرش فسمحوا "بثقوب" خرقت جدارهم السميك والنتيجة العملية هي :

1- غياب النظرة العقلية: محاربة الفكر الانساني وملاحقة اصحابه أحياء او أموات من اولى المهمات الاساسية للوهابين داخل مجتمعهم حيث يرون في "دور العقل العظيم" عدوهم الاول فشددوا الخناق والحصار عليه لجعل مساحة حركته ما بين مشلولة وضيقة جداً، لا تسمح في النهاية للمواطنين على استغلال مواهبهم وطاقاتهم الخلاقة في الابداع والابتكار والتي تصطدم بالضرورة مع اطروحات قادة الفاتكان الوهابي، والنظام السعودي تلك الاطروحات الدينية التي تهدف بالاساس الى خلق كائن وهابي، طائع، مسبح لاولياء الامر، مغيب ومعاد للفكر الانساني ومبذر ومغرور في علاقاته الاجتماعية وهي صفات سلبية قاتلة تقف دوما امام حرية صياغة قدره او الاسهام الفعلي في إرساء مشروع حضاري –ثقافي جديد على ارض الجزيرة العربية فالتزمت الديني والرقابة الدينية الشمولية والعقاب الصارم والفوري. كلها عوامل ساهمت بشكل فعال في ازاحت "دور العقل الخلاق" من الساحة الاجتماعية منذ قرنين من الزمن ونيف فالتشدد الديني بالمفهوم الوهابي والنظرة العقلانية للواقع ومحاكمة الاشياء، شيئان متناقضان، لا يلتقيان في ارض المملكة. فاذا كانت قصة الصراع الديني مع العلم قصه حزينة واليمة وطويلة في تاريخ الانسانية، خاصة في القرون الوسطى الا انها تبقى قصة اكثر مرارة وأكثر ماساوية في أرض "القدسية الوهابية- السعودية" لكونها تحدث مسلسلاتها اليومية في اواخر القرن العشرين. فكل موقف نقدي – عقلاني لمحاكمة الامور داخل " الفاتكان والمجتمع الوهابي" هو "رجس من الشيطان ونوع من الزندقة بمفهوم رجال الدين الوهابيين، الهدف منها التشكيك بالدعوة السلفية واهدافها وبحكمة قادة البلد، الى التشويه للقيم والاخلاق العربية – الاسلامية وعادات وتقاليد هذا البلد باسم التحضر والتمدن. ونسى الوهابيون – وما اكثر نسيانهم وبالاصح جحودهم – بان كل ما يتمتعون به اليوم من أسباب الراحة والدعة في منازلهم ومساجدهم واسواقهم وجامعاتهم هي بفضل التكنولوجيا اليابانية والغربية والمجتمع الياباني – كما هو معروف –بقدر ما هو متطور علميا وحضاريا بقدر ما هو أيضاً معتزا – بطريقته الخاصة- بعاداته وتقاليده العريقة، فقد جمع الاثنين

وسارا في طريق بناء نهضته او مشروعه الحضاري منذ عام 1860 في عهد الملك "ماجي" اما رجال الدين والامراء "السعودية" فقد احكموا الاغلاق على مجتمعهم دهرا ثم انفتحوا على العالم المتحضر قهرا لا رضى ولا قناعة – خاصة على عالم الاستهلاك بفضل البترول واحتياجات شركة ارامكو – آنذاك – وفي مرحلة فيضان البترول ما بين عام 1975م – 1983م شهد المجتمع قفزة كبيرة في الانفتاح الاستهلاكي – الحضاري على العالم الخارجي، فأخذت مئات الالاف من الايدي العاملة الاجنبية ثم الملايين، خمسة مليون ذكر – تتدفق على البلد للاسهام الفعلي في نهضته العمرانية والتعليمية والصناعية، وعسكرته- لاول مره – في بيوت الوهابيين وميسوري الحال " مليون امرأة " ليقمن بتربية الاطفال والخدمات المترلية. هذا الانفتاح الواسع والمفاجىء يتطلب بالضرورة الانفتاح الذهني والاعتراف بدور العقل الانساني الذي خطا بالمسيرة الانسانية هذه الخطوات الحضارية العملاقة الا ان الوهابيين ظلوا على موقفهم السابق والثابت تجاه دور الفكر الانساني في بناء وتطوير الانسان والمجتمع، بل ازدادوا استخفافا وازدراءا لذلك " الفكر"، وهم لا يخفون موقفهم هذا بحجة حماية القوانين الشرعية وصفائها من "شر الفكر الوضعي " وقد عبر عن هذا اكثر من وهابي حين قال: يجب رمي الفكر الانساني في "المزبلة " هذا التعبير التحقيري يكمن ورائه حقيقة موقف الوهابيين من " دور العقل البشري". ليس كاداة تشكيك فحسب، بل اداة محاكمة وادانة لكل الممارسات اليومية لرجال الدين الوهابيين داخل المجتمع. باسم الدين وبالتالي ليس هناك وسيلة تضليل لاستمرار مصالح "الفاتكان الوهابي والعرش السعودي " وهيمنتهما المطلقة على الانسان والمجتمع الا باستبعاد " دور العقل النقدي "، دور المعرفة الانسانية العملية واحلال المعرفة الدينية بالمفهوم الوهابي – السعودي التي تكرس الانصياع الحيواني والخوف من النهوض الحضاري، وقد عبر عن هذا وهابي آخر قائلا : ان هذه الحضارة تنسينا الاخرة[1] والنتيجة العملية لهذه المواقف العدائية من العقل ودوره الخلاق خلال قرن من الزمن المتواصل للحكم الوهابي – السعودي.

غياب تام للخطط والدراسات العلمية الملائمة لخصائص ومميزات هذا الواقع الاجتماعي ومع قدراته الاقتصادية وتنميتها منذ عام 1925 م–1983م. لا يستطع المواطن او القارىء العربي – ايجاد دراسة علمية جاده في مجال الاقتصاد، علم الاجتماع،

---

[1] عبد العزيز المقحم " مجلة الدعوة" العدد 1598 28 صفر 1418 هـ بتاريخ 3 يوليو 1997.

الانتربولوجيا والتاريخ .... الخ. كتبها وهابي او غير وهابي لغياب النظرة المنهجية في التحليل في المدارس والمعاهد والكليات الحكومية! — آنذاك - ولما حصلت الطفرة البترولية- الاميريكية، شعرت السلطة السياسية بالموقف المحرج جدا، كيف يمكن اظهار وجه البلد بمظهر حضاري دون الاعتراف بقيمة ودور المعرفة العلمية؟! وهكذا اندفعت السلطة بقوة تستورد السيارات والمكائن والادوات الكهربائية والعطور وعلماء الاجتماع والانتربولوجيا والاقتصاد من الغرب في آن واحد وتأمل منهم وضع الأسس الملائمة للنهوض بهذا المجتمع ! وهي عملية لم تحدث في تاريخ أي مجتمع بالعالم، فبقدر ما هي مضحكة بقدر ما هي مؤلمة جدا ومستترفة لموال، بقدر ما تكشف عن حرمان الشعب من الحرية ومن المعرفة العملية! لسنا ضد الاستعانة بالخبراء الاجانب والعرب في هذا الميدان او ذلك فهذه المسائل متعارف عليها بين الشعوب والحكومات. ولكننا ضد عملية تسليم مفاتيح المجتمع ككل، بيد فريق من الخبراء الاجانب. فازداد التشوه والتغرب أكثر داخل المجتمع وتكشف عملية "استيراد خبراء وعلماء اجتماع وانتربولوجيا" على الطريقة الوهابية—السعودية العديد من السلبيات بث روح الغرور والاستعلاء لدى بعض الاساتذة الاجانب وتوهم بعضهم انهم " رسل انقاذ لهذا المجتمع " المغلق والعاجز حتى على فهم وتحديد مشاكله وأمراضه!

تدفق عشرات الخبراء وعلماء الاجتماع من: فرنسا انكلترا امريكا، كندا... ادانة مباشرة لممارسة النظام وتعرية كاملة للاءات الوهابية " تحريم منع احتقار للعلوم ثم اندفاع شديد للبحث عن "خبراء اجانب" ليقيموا المشاكل والظواهر المرضية التي اجتاحت —ولا زالت— المجتمع "الوهابي السعودي".. وهو اندفاع لا يعبر عن الاعتراف باهمية دور المعرفة العملية الانسانية، بل هو كفاية شر اي اظهار المؤسسة الدينية والعرش السعودي بمظهر المتسامح مع بعض المكاسب الحضارية لهذا العصر. والنتيجة العملية للدراسات والبحوث التي قدمها اولئك الخبراء الاجانب والذين ظل بعضهم لسنوات يتنقلون بين المدن والقرى واقاموا باتصالات مباشرة مع المواطنين والمواطنات وكتبوا الاف الصفحات كلها انتهت

او وضعت على " الرف الوهابي" واسدل عليها الستار او بالاصح القيت مثل غيرها من البحوث في " بئر مظلم رطب " ك " بئر الجاندريه"[1].

2- **مقولة "الله اعلم"** : من البديهي ان يسمع المرء – احيانا – كلمة " الله اعلم " من هذا المؤمن او ذلك، معبراً عن عدم توفر الجواب المقنع في هذه المسألة او تلك في هذه اللحظة بالذات او لجهله طرائق البحث العلمي وابتعاده عن مذهب" الشك" فيسند الامر الى "عالم الغيب" اما في السعودية، فالامر يختلف تماما فكلمة"الله اعلم" على طرف كل لسان في هذه "المملكة" تسمعها الاف المرات يوميا على السنة المواطنين والمسؤولين في الدولة والمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية، فهي مقولة حاضرة دوما في كل حديث ثنائي او جمعي، فهي لا تعبر عن البعد الايماني في ذهنية ونفسية المواطن فحسب بل تعبر عن عمق التربية الاتكالية التي زرعها رجال الدين في قاع المجتمع من جهه وعن مدى الانخفاض من المستوى المعرفي من جهه ثانية. فما ان تستفسرعن شيء مألوف وطبيعي وبعيدا عن "اسرار الدولة واسرار الفاتيكان الوهابي"سرعان ما يتحفك الوهابي وتيارهم بكلمة "الله اعلم" .

كم كيلو متر بين مدينة جدة ومكة او بين مدينة الرياض والخرج ؟ اجابك بكلمة "الله اعلم"

وبعد عشرين عاما تطرح نفس السؤال وقد اصبح الوهابي وانصاره، يملكون سيارة فاخرة، ويتردد على الطريق شبه يومي، يجيبك أيضاً بكلمة " الله اعلم"

كم تصرف في الشهر ؟ الله اعلم

كم مدرسة في منطقتك؟ الله اعلم

لماذا لا تعمل المرأة في المجال الزراعي ؟ الله اعلم

---

[1] اخبرني احد الاساتذة المشاركين، بان الفريق الفرنسي لوحده كتب اكثر من " سبعه الاف صفحه " واعترف لي بالصعوبات والمشاكل التي واجهه عملهم من قبل التيار الديني المتشدد- واخذ يتسال عن سبب عدم نشر بعض تلك الدراسات والابحاث ؟

قلت له : هل اكتشفتم وجود " فاتيكان وهابي " وعن ثقله ودوره داخل المجتمع؟

اجاب: لا

قلت لهذا السبب لم ولن تنشر دراساتكم او بحوث غيركم ممن يشاركون في كل سنه بمهرجان " الجاندريه " فالمعرفة العلميه والعمليه لا زال " الفيتو الوهابي " يقف دوما ضدها !

كم عدد اعضاء هيئة كبار العلماء ؟ الله اعلم

كم مليون برميل انتاج البلد من البترول ؟ الله اعلم

كم عدد المربيات التايلنديات والفليبينيات في البلد ؟ حوالي مليون امرأة

كم عدد الامريكان في البلد ؟ الله اعلم.

لماذا عرفت عدد النساء الفلبينيات والتايلنديات و لم تعرف عدد الامريكان ؟ الله اعلم !

كم راتب الامير او الاميرة السعودية ؟ الله اعلم

هل ستسافر الى الخارج في هذا الصيف ؟ الله اعلم. وبعد اسبوع اصبح خارج البلد.

ان اعطاء الجواب السريع والجاهز "الله اعلم " بهذه الطريقة يعكس قوة التضليل الوهابي في التربية من جهة وتشكل خير زاد وخير ملاذ لهم لفرارهم امام ابسط الاشياء. ان شمولية مقولة " الله اعلم " في الشارع السعودي – الوهابي، سلاح خطير ذو حدين، تُغيب المواطن اولا وعدم المساس بالحقوق المعرفية " لاهل الحل والعقد " ثانيا. ولهذا اخذت مقولة " الله اعلم "منحى سياسيا لا دينيا. فما ان يسمع رجل الدين الوهابي الجواب بـــ "الله اعلم" سرعان ما يطرب له "داخليا" ليتمتم بينه وبين نفسه ان الرعية في خير، نائمة وبعيدة عن لغة الارقام والبحث العلمي والجدل، المنهي عنه شرعا.

صلاة الاستسقاء: كل سنة- تقريبا – تقام صلاة الاستسقاء، في عموم أرجاء المملكة، يتضرع فيها المواطنون الى "الله عز وجل". ان يمن عليهم بالمطر المديد وان يبعد عن بلد المسلمين شبح الجفاف ويصونها من القحط والآفات. وبما ان البلد كان ولا يزال – يتعرض لحالات جفاف مستمرة بسبب ندرة الامطار، فان صلاة الوهابيين لا تنقطع وقد لاحظ ذلك "المستشرق محمد اسد"[1] شدة تضرع الوهابيين وخوفهم الشديد من استمرار الجفاف، فطرح على الملك عبد العزيز آل السعود عام 1928م فكرة قيام مشروع زراعي حيوي، يحفظ "مياه الأمطار" لاستثمارها فيما بعد في زراعة الحبوب وغيرها.

---

[1] محمد اسد : يهودي نمساوي ، اشهر اسلامه ، وقام برحلاته الى الشرق ومنها " الجزيرة العربية".

وافضل مكان مناسب هو استغلال "وادي بيشه" فقال له الملك : كم يقتضي من الوقت ؟ اجاب محمد اسد: ما بين خمس او عشر سنوات.

فهتف الملك: ان عشر سنوات مدة طويلة ونحن البدو لا نعرف الا شيئا واحدا ما نحصل عليه بايدينا نضعه في افواهنا ونأكله"[1] ومضت عشر سنوات ثم خمسون عاما و لم تقم دراسات او مشاريع علمية جادة في مجال الري لاستغلال وديان الجزيرة العربية وما اكثرها. وواصل الوهابيون على "صلاة الاستسقاء" وقد لاحظ ذلك فيما بعد، بعض الخبراء اليابانيون العاملون في "المملكة" هذه الطوابير الطويلة من البشر وهم رافعون ايديهم الى السماء الى "رب العزة والجلالة" ان يفتحها عليهم مدرارا. فاثار فيهم الحماس العلمي او الشفقة ! فاسرعوا في طرح مشروعهم العلمي الضخم على الحكومة السعودية وذلك بانشاء سلسلة من الجبال البلاستيكية في منطقة نجد، بارتفاع خمسمائة متر وبطول مائة كيلو متر، تصد الرياح الممطرة والذاهبة الى الهند ولتحاصر الغيوم في هذه المنطقة فتسقط الامطار بشكل منتظم، بكلفة تتراوح ما بين " الاربع او خمسة مليار من الدولارات " رفض الوهابيون المشروع جملة وتفصيلا دون نقد علمي — ووصفوه بالمشروع الالحادي لانه " تدخل في شؤون الخالق ". وما يجري الان من تحويل المياه المالحة في البحر الى مياه عذبة الا يعتبر هذا تدخلا في شؤون الله ؟ - ان ما يثير الدهشة والتساؤل هو ان الدخل السنوي من " الثروة البترولية " يصل الى عشرات المليارات من الدولارات وبجزء بسيط من هذه الميزانية، يمكن استثماره بشكل خلاق " مياه الامطار " وتطويرها وحفظها عبر مشاريع علمية، بجانب حفظ مصادر الطاقة المائية الجوفية وعدم تبذيرها — كما هو سائد الان. لابعاد وبشكل علمي شبح الجفاف والقحط. ولكن مثل هذه المشاريع لا تسعد قلوب الوهابيين ولا همهم والذي يهمهم اولا واخيرا هو "الطاعة" وها هي " صلاة الاستقساء " تجعل الجميع يهرول ليقف وراء الامام الوهابي من : الامير، الموظف، العسكري، رجل الاعمال، .... الخ

غياب الاسئلة الاستفسارية : طرح الاسئلة الاستفسارية " بصيغة " لماذا كذا ؟ على رجال الدين الوهابيين وحليفهم " العرش السعودي " مكروه حيناً وشبه محرم حيناً

---

[1] محمد اسد " الطريق الى مكة " ص 122.

آخر، حتى ولو جاء طرحه في حالات عابرة وضمن دائرة ضيقة جدا لأن. السؤال الاستفساري المباشر لا يتحمله " العقل الوهابي " ولا يود ان يسمعه، لانه يؤدي — والعياذ بالله — الى زعزعة اركان الايمان بالعقيدة السلفية. كما يثير الشك باخلاص وصدق نية "علية القوم" اصحاب الحل والعقد فمن الافضل ابتعاد الشعب "الرعية" عن هذا المتزلق ونعتقد بان الشعب الوحيد في العالم — اليوم — لم يتعود لسانه بعد على طرح الاسئلة الاستفسارية بشكل طبيعي خارجة عن نطاق الامور الدينية والفقهية، هو الشعب في الجزيرة العربية "السعودية" حيث لا يمكنك بسهولة ان تسمع بطرح اسئلة علمية استفسارية في هذا المجال او ذاك لا في الشارع ولا في الجامعات ولا في خطب الجمعة، اللهم !الا ضمن وسط قلة من العقلاء المطوقين من قبل الجمهور الوهابي. بينما يسمع المواطن في كل لحظة كلمة "الله اعلم" اهذه صدفة ام مخطط تربوي — سياسي ينتهجها القادة الروحانيون والسياسيون ؟ من البديهي القول بان طرح الاسئلة الاستفسارية المحرجة، خاصة في الامور المتعلقة بالشؤون السياسية والايديولوجية والامنية في ارض الاستبداد في اي مكان هي بشكل عام، مثيرة للخوف والقلق معا. لذا يراع مواطني هذا البلد المستبد او ذلك، الحذر واليقظة في طرح مثل تلك الاسئلة السياسية التشكيلية... الخ.

ومع ذلك فسؤال لماذا؟ لم يختفي عن ألسنة الجمهور ولم يُهزم امام اعتى الانظمة الاستبدادية التي عرفها التاريخ القديم او الحديث، قد يتراجع — مثلا وبشكل مؤقتا السؤال "الاستفساري "لماذا؟" في المجالين السياسي والعقائدي، ولكنه يبقى شامخا ابدا في الحقول والميادين الاخرى فاتحا سبل جديدة امام تقدم وتطور المعرفة الانسانية.

اما في السعودية، فلا تجد لا تقاليد ولا اثر لطرح "الاسئلة الاستفساريه" لا في مجال السياسي والديني ولا في الحقول العلمية فـــ " مجتمع اللاءات والتحريمات لم يترك تربة صالحة لتطوير اي نوع من انواع المعرفة العلمية بشكل سليم وطبيعي من هذه الزاوية، نجد الاداة الاستفسارية لماذا؟ مغيبة ومطوقه لكونها تثير ازعاجا لا حدود له لرجال الدين الوهابيين وحليفهم "العرش" ومن اراد فحص ذهنية واخلاق اي رجل دين وهابي، أو أمير سَعودي يبادر في طرح الاسئلة الاستفساريه المنطقية التي تمس حياة المواطن، مصير الثروة البتروليه، حاضر ومستقبل هذا البلد ....الخ سيجد امامه رجل قد خرج من طوره واخذ يكيل التهم له من كل نوع : زنديق، علماني، ملحد، غربي ...

لماذا يتمتع المطوع بسلطة " مطلقة " في الشارع ؟

ما قيمة حركة المطوع في دائرة الانتاج " وإلى متى تستمر هذه الحركة العبثية ؟

لماذا تُحجب رواتب ومخصصات الأمراء والاميرات عن اعين الشعب وكأنها "ارض محرمة على الجميع؟

لماذا هذا الضخ الهائل واليومي لمخزون "الثروة البترولية".

لماذا هذا الصمت المميت عن سياسة "الفاتيكان الوهابي" داخل المجتمع؟

لماذا تنتشر ظاهرة " الجن" داخل المجتمع الوهابي – السعودي ولا نسمع شيء عنها في سوريا أولبنان مثلاً؟

لماذا يحرم على الطفل رسم صورة: انسان، حيوان، ولا يحرم على الصحفي السعودي "حمل الكاميرا لالتقاط صور حية من الشارع العام سواء في الرياض او جدة او الظهران؟

هناك آلاف الاسئلة الاستفسارية التي تدور في اذهان المواطنين والمواطنات، منذ زمن بعيد وخارجة أساساً عن الامور "الدينية والفقهيه" لتشمل مجمل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمس عصب وجوهر حياة المواطن ومستقبله، الا انها اسيرة الارهاب والقمع المزدوج الديني والسياسي والتي – بلا شك – قد تنفجر يوما ما في وجه قادة الحكم الثنائي، عرش وعلماء ولهذا ادرك رجال الدين "خطورة" تعود المواطنين والمواطنات على طرح سؤال، لماذا ؟ الذي سيضعهم فورا في "قفص الاتهام" مع حليفهم "العرش السعودي" وهذا ما يخشى منه "قادة الفاتيكان الوهابي" فاسرعوا عبر كل الطرق الممكنة في وضع خطه جهنمية، هدفها الاساسي، سحب سؤال لماذا؟ كأداة استفساريه – تشريحيه او مصادرة "الاسئلة الاستفسارية" من ألسن الجمهور اذا امكن. كأنها " غنائم " وجعل تلك الاسئلة محصورة بهم بل وملكا لهم. وذلك عبر ثلاثة محاور:

المحور الاول: تعميم مقولة " الله اعلم " – كما اشرنا سابقا – كجواب او قمع مهذب وردع سريع من قبل رجال الدين وانصارهم على كل سؤال استفساري يشمون منه رائحة تجاوز الخطوط الحمراء.

المحور الثاني: حصر الاسئلة الاستفسارية فقط في الامور الدينية والفقهية والاخلاقية ورد العلماء عليها عبر كل الوسائل الاعلامية المتوفرة لديهم، ليرفعوا من "مقامهم العلمي"

في اعين الشعب اولا ولأنهم القوة الاجتماعية – الثقافية الوحيدة القادرة والمخول لها الاجابة على تلك الاسئلة ثانيا.

المحور الثالث: وهو الاهم، الحاق "مفهوم ومعنى" لماذا ؟ كاداة استفسارية " بالفاتكان الوهابي" وجعلها احدى ممتلكاته. اي بمعنى يحق لرجال الدين – دون غيرهم من العالمين – طرحها بكل بساطة وثقة على الشعب، وعلى المواطن او المواطنة، الاجابة الفورية، ولا يجوز للجمهور – الرعاع – التطاول في طرح الاسئلة الاستفسارية على "علية القوم او اولياء الامر". وقد نجح الوهابيون لغاية الآن في " مصادرة " وتأميم سؤال لماذا؟ وربطه مباشرة بالمؤسسة الدينية وجعله ماركة وهابية مسجلة. وهكذا هبطت "الأداة الاستفسارية العلمية " لماذا؟ من سمائها المعرفي ضمن التراث الانساني، الى المستنقع الوهابي–السعودي واطلت على الشعب في الجزيرة العربية والعالم اجمع " لماذا ؟ بالمفهوم الوهابي–الحشري كاداة استفسارية، سلبية، مقيتة، تضغط على عصب ودم الانسان والبعيدة كل البعد عن تلمس الحياة اليومية وما يعانيه المواطن من هموم كثيرة على كافة المستويات فاصبحت، الاسئلة الاستفسارية، مرتبطه بحركة " المطوع " في الشارع، الاسواق والحدائق ....الخ. يمطر بها المارة من: النساء والرجال والاطفال. من موقع قوي ومتقدم عليهم دوما! من موقع ابوي – سلطوي "استاذوي" يلاحقهم بها ليلا نهارا وعلى الجميع الامتثال والاستجابة السريعة الرد على اسئلة المطوع الغريبه، بل المتطفلة والتي أحالت المواطن – ولا زالت – الى مواقع " الاتهام " وعليه الاستعداد النفسي والمعنوي للدفاع عن نفسه. ليثبت براءته امام "لماذا الوهابية؟ - والامثلة لا تحصى.

لماذا انت واقف هنا تغازل النساء ؟

لماذا تدعو " النصارى والعلمانيين الى بيتك ؟

لماذا تزور مدينة القطيف – الشيعة – وانت من عائلة محترمة؟ سألني ذات مرة وهابي أحمق!

لماذا الخادمة او السائق– الذي يعمل عندكم – لم يشهر اسلامه بعد ؟

لماذا لا تأتي الى الدروس والحلقات الدينية التي تعقد بالمسجد ؟ .... الخ

لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ تحولت من اداة استفسارية علمية، منشطة لحركة الفكر الانساني وكاشفة لبعض جوهر الحقائق امام اعين " الجمهور "المتعطش للمعرفة، الى اداة

قمع وهابية، تضيق الخناق علىٍ حركة " المواطنين والاجانب " وتشل من تطلعاهم الفكرية والفلسفية، ولا تعرف -أيضاً- التوقف فهي في حالات هجومية سلبية، اي قمعية، والحال هذه ليس هناك خيرات امام الناس البسطاء، في هذه اللحظة – الا الصمت والانسحاب بهدوء امام وجه المطوع العابس مع احساس عميق بالم داخلي متمما: ابشر يا مطوع. وهذا ما قمدف اليه سياسة. لماذا الوهابية ؟ التي مهدت الطريق امام تحقيق شموليه الطاعة.

تفسيرهم للزلازل والافات: يظهر البعد الاتكالي بكل وضوح وجلاء في تفسير الوهابيين " الاعتقادي، والوحيد للظواهر والآفات والزلازل والكوارث....الخ. التي تحصل سواء في داخل "المملكة " او خارجها. فهم مستقرون وثابتون على مواقف الرعيل الاول، من الاخوان الوهابيين. والتي لم يحصل فيها اي تطور في نظرقم هذه. منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى يومنا هذا. فقد اعتاد العلماء الوهابيون وتيارهم على تفسير "الآفات والزلازل" هي قدر مقدر من الله جل وعلا " لا مفر منه لامتحان عباده الصادقين، ولذا يجب الاذعان والتسليم لادارة الله العليا والاكثار من الصلوات والابتهالات لرب العباد " لوقف هذا البلاء او ذاك والدفع به عن " بلاد الاسلام ". وهم بهذا الطرح "الغيبي" يستبعدون أي دور للعلم في هذا المجال، فالمعرفة العملية، مستعيرة بل ومدانة امام المعرفة "الدينية " المطلقة. وانطلاقا من هذا المفهوم المثالي، فسر الوهابيون " الزلزال " الذي اصاب اليمن عام 1982م والمخاوف التي ظهرت بين صفوف المواطنين في "السعوديه" من حدوث مماثل في داخل المملكة:

ان الله يحمي بلد الاسلام وما حصل في اليمن هو امتحان من الله لاهل اليمن الذين كثرت ذنوبهم " من يجرؤ على القول بان – ذنوب اهل اليمن هي اكثر من ذنوب الوهابيين؟!

ومع استمرار المفهوم الاتكالي في اذهان الوهابيين قيادة وقاعده، يطل علينا أحدهم عام 1996م مفسرا وقوع الافات بالشكل الاتي:

الافة هي النازلة السماوية
الافة هي امتحان من الله
الافة هي تطهير الانسان[1]

---

[1] مجلة الدعوه. العدد 1572 – 9 شعبان 14170هـ 19 ديسمبر 1996 م .

11- مجتمع الرقابة الشمولية

ينفرد المجتمع الوهابي – السعودي عن بقية المجتمعات المتحضرة بانه يخضع مواطنيه الى رقابة ذات رأسين : ديني ومدني. فكل مجتمع عرف – ولا زال – الرقابة المركزية ذات الرأس الواحد، الموجه لكل الفروع والاجهزة الامنية سواء كان النظام ملكيا ام جمهوريا، مدنيا ام عسكريا، فجميع تلك الاجهزة في خدمة قضايا محددة: امنية سياسية عسكرية، لا تتدخل في الامور الشخصية ولا الامور الدينية، فهذه من حرية وحقوق المواطنين انفسهم لذا مهما بلغت الرقابة ذات الراس الواحد من يأس وهيمنة وسطوة على المجتمع، لا يمكن بحالٍ من الاحوال مقارنتها بالرقابة الوهابية – السعودية "ذات الرأسين" كما سنرى. فكلما كًان المجتمع تسوده تقاليد "ديمقراطية". كلما خف او اختفى الوجه الكالح للاستبداد ونال المواطن في ذلك المكان جزء هام من حريته في الحركة والتعبير عن رأيه دون خوف او عقاب وبالمقابل كلما ابتعد هذا المجتمع او ذلك عن مواقع الديمقراطية، كلما كان البطش والاذلال من نصيب المواطنين ومهما قيل عن القبضه الحديديه لهذا النظام او ذاك ومهما ارتقت دكتاتوريته الى اقصى درجاتها في العسف والقمع السياسي والفكري، لا يمكن مقارنتها بالرقابة لا من حيث الاسباب والنتائج بمجتمع خاضع لرأسين كالسعودية. لان جميع الدكتاتوريين– عسكريين أو مدنيين – يتركون مساحة معينة عن قناعة او تكتيك، لا ليتقربوا الوصول اليها الا وهي مواقع "الحريات الشخصية والدينية والجنسية "لانها مواقع حساسه جدا ولا تشكل خطرا مباشرا او غير مباشرا على مصالح النظام وامنه، فتترك كمتنفس طبيعي للمواطنين خوفا من الانفجار العام، ناهيك بان غالبية الدكتاتوريين في الشرق او الغرب بعيدين عن التعصيب الديني او الانغلاق، ويبررون جوهر فلسفتهم للعنف والقبضة الحديدية بان مشروعهم الحضاري للنهوض بالامة ودفع المجتمع نحو خطى سريعة يتطلب في هذه المرحلة التاريخية " نظام مركزي قوي، لينجز " الوثبة الحضاريه" المطلوبه هذا شانهم، تلك فلسفتهم ! اما الوهابيين او السعوديين فهم لا يملكون مشروع حضاري ولا يؤمنون بالوثبة الحضارية، بل هم يخافون جدا من رياح التقدم – وقد شرحنا اللاءات الوهابية ومدلولها – ففي داخل مجتمعهم نوعين من الرقابة، رأسين يتناوبان على رقابة الانسان والمجتمع: الرأس الاول: العرش يهمه بالدرجة الاولى

امن قصوره الضخمة واستقرار سلطته السياسية وهو في رقابته اليومية للمواطنين اخف وطاة من رقابه بعض الدول العربية المجاورة. ولا يفهم من هذه الاشارة، ان النظام السعودي يؤمن بجزء من الديمقراطية او حقوق الانسان..... الخ او ان هناك بعض الحريات النسبية، بل يعود بالاساس لضعف قوة المعارضة السياسية داخل البلد وان قوة الصراع الاجتماعي لم يتطور ليصل بعد عند الخطوط الحمراء، هذا من جانب ومن جانب اخر يعلم العرش بان هناك رقابة اخرى يديرها رأس اخر " راس الفاتكان الوهابي "اكثر صرامة واكثر بشاعة واكثر انحطاطا وازعاجا للانسان والمجتمع يهتم ويركز على أتفه التفاصيل الا وهي الرقابة الوهابية المقدسة، لماذا مقدسة ؟ لانها رقابة، ترجع كل شيء الى النص الديني لا تهاون ولا تهادن وان كل نقد لهذه الرقابه هو نوع من الزندقة والهرطقه الحديثة. وهي الرقابة التي نود الوقوف عندها لكشف بعض صورها المخزية والمحزنة والتي لا تصدق. فالقمع السياسي للنظام: سجن، تعذيب، اغتيالات ....الخ اساليب تقليدية معروفة منذ اقدم الازمان. اما الرقابة الدينية الوهابية، فهي تشكل ظاهرة غريبة في نوعها في التاريخ العام للحضارة العربية – الاسلامية. ناهيك ان الرجل العاقل لا يمكن ان يتخيل وجودها – ولو للحظة من الزمن – في نهايه القرن العشرين. فما بالك بوجودها فعلا وتمارس بشكل طبيعي – يومي ويعاني منها مجتمع كامل الا وهو المجتمع في "الجزيرة العربية السعوديه". فما هو جوهر واشكال الرقابة الوهابية الشمولية؟ وبماذا تنفرد عن مجمل الرقابة التي تعرضت لها المجتمعات الانسانية ؟

الرقابة الدينية بالمفهوم الوهابي، رقابة شاملة وساحقة ومحتقرة للاخر فكرا ومعتقدا! الرقابة تمارس يوميا دون توقف وعبر عدة اجهزة دينية معروفة – لدى الشعب – بصرامتها. فما دام هذا المجتمع تحلى بعدة صفات شمولية: شمولية قدسية الارض، شمولية الفتوى، شمولية الاجبار والاكراه....الخ اذا شمولية الرقابة الدينية، التي تتغذى بدورها من " الحق المقدس" لتنسجم حركة الامور داخل هذا المجتمع حسب مشيئة ورؤية رجال الدين: دعاة، مطاوعة، قضاة، طلبة علوم دينية، مرشدين...الخ. لمراقبة المارة وخاصة المرأة. فالوهابي والرقابة شيئان متحركان لا ينفصلان، انهما مثل معشوقين في أعلى مراحل انسجامهما! ومتى توقف الوهابي لحظة من الزمن عن "معشوقته او سار دون رقابة في الشارع، دون ازعاج الاخرين، ما عاد وهابيا، بل ما عاد انسانا عاقلا له وزنه!!. اذ كيف يستطع ان يملك توازنه ويحس بقيمته كانسان في هذا المجتمع، في هذا الكون، دون

ممارسة الرقابه على المواطنين والأجانب – من بلدان فقيرة عصف بها الدهر لتعمل في "المملكة الوهابية" ولذا تظهر الرقابة الوهابية – في افضل احوالها – رقابة مزعجة جدا تصل الى درجة الحشرية، مما يذوب او يتبخر كل ما تبقى من مفهوم "حقوق الانسان"، ومما يزيد الازعاج اكثر ويلحق امتهانا مباشرا لكرامة الانسان وتدفعه في كثير من الاحيان للخروج عن طوره، انها رقابة لا تعرف الحدود ولا ينجو منها: الطفل، المرأة، الشاب، الرجل الكهل ......الخ والجمهور، لا يعرف من ايه زاوية سيهجم عليهم المطوع: من زاوية الدين، الاخلاق، العادات، التقاليد، بدعة حديثه...الخ ولا الزمان او المكان، فالزمن الوهابي ليلا – نهارا والمكان. الازقة، البيت، المطعم، المزرعه، المخيم، الاسواق، الحدائق.....الخ. لتضع الجمهور في موضع المتهم دوما وعليه الحذر الدائم في حركته للدفاع عن نفسه، خاصة اذا عرفنا بان هذا المجتمع الصغير خاضع الى 22 نوع من الرقابة الوهابية اليومية وعلى القارىء ان يتخيل كيف يعاني مواطني هذا البلد من الكبت الوهابي مثل الكبت السياسي وأكثر!!

ودونكم بعض نماذج تلك الرقابة والتي لا يجد االقارىء لها مثيل لا في التاريخ القديم ولا الحديث

1- **رقابة الشم:** حالة خاصة ينفرد بها رجل الدين الوهابي – السعودي. حيث يتحول من انسان الى "حيوان"يشم رائحة الناس في حركتهم الطبيعية اليومية، للتأكد بعدم وجود رائحة منكر "خمر". اما في شهر رمضان – كما هو معروف – فان المطاوعة يكونون في عز نشاطهم فتختلط الرقابة الدينية مع الحقد الشخصي على هذا المواطن او ذاك، يتجولون صباحا في اروقة الدوائر الحكومية يشمون رائحة الدخان – فيقف بعضهم فترة من الزمن قرب "المراحيض – التواليت – فما ان يشم رائحة سكاير وما ان يخرج المسكين حتى يكون الوهابي له بالمرصاد. اما ظهرا ما بين الثانية عشر والثانية ظهرا فانهم يتجولون بين احياء العزاب يرصدون رائحة الطبخ من وراء الابواب، فما ان يتأكدوا بان هناك رائحة طعام سرعان ما يتم اقتحام هذا المترل او ذلك ويساق الجميع الى السجن والجلد وبعض الحالات يضعون القدر على رأس الفاطر ويمشي معهم حتى مركز الشرطة. هذا الاسلوب متبع منذ عشرات السنين – ولا زال – ولكن في الاونة الاخيرة، اي منذ بداية عام 1992 م. اخذ بعض المطاوعة الوهابيون، يتبعون اسلوبا جديدا او خبيثا في منتهى الخباثة والخساسة، فما ان يشاهدوا اسطولا من السيارات الفاخرة امام بيت

برجوازي كبير سواء كان الوقت ظهرا ام ليلا، ولا يسمعون احاديث نبوية ولا وعظة دينية، سرعان ما يشكوا في الامر، وان هذا الجمع، لم يكن الا من اهل منكر "شرب الخمر" فيتقدم شاب او شابين من اهل الثياب القصيرة واللحى الكثيفة بطرق الباب، وما ان يخرج صاحب البيت، حتى يبادره احدهما قائلا له بعد التحية: لا تنسى ان اخواننا في افغانستان وفلسطين والهرسك بحاجة ماسة لمساعداتكم، وصاحب البيت – والحال هذه – سرعان ما يتجاوب في تقديم المساعدة، لكي يتخلص منهما ويستمر الحديث المطوع بين وصاحب البيت عدة دقائق، وقصد الوهابي هدف خبيث ليس التبرع، بل شم رائحة فم صاحب البيت من خلال حديثه معه : فما ان يتاكد من وجود رائحة "خمر – منكر" حتى يعطي الاشارة الى جماعته "المطاوعة" المعسكرين او المختبيئين عن قرب، بالهجوم على البيت وسوق من كان فيه من الجمع الى السجن[1].

2- **رقابة الاسماء**: رقابة صارمه جدا ينفرد بها " الوهابيون " أيضاً دون غيرهم من العالمين! لكونها رقابة مستحدثه وشاذة تقحم نفسها في صلب امور ورغبات شخصية بحته تخص الرجال والنساء، لتقضي تماما على ما تبقى من ادعاء بالحريات الشخصية، فالاباء والامهات، يحتارون، ماذا سيختارون من اسماء مناسبة لاولادهم وبناتهم ليرضى عليها "الفاتكان الوهابي" لذا هم يقفون مطولا قبل اطلاق الاسم وكذلك التجار واصحاب المحلات التجارية، يفكرون كثيراً قبل ان يضع اسم المحل التجاري على واجهة الدكان، المقهى، الفندق، المطعم..... الخ لأن رجال الحسبة "المطاوعة" من مهماتهم اليومية – أيضاً– مراقبة اسماء المحلات والمقاهي واسماء الشوارع والازقة والشركات، ناهيك عن عيون المؤسسة الدينية داخل مؤسسات الدولة الجيش والحرس الوطني، يراقبون اسماء الرجال، هل هي منسجمة مع الاشارات والوصايا الدينية الوهابية ام لا ؟. والوهابيون، يحرمون استخدام خمسة انواع من الاسماء. فمن عارضهم وعاند في موقفه وتمسك بالاسم غير المرغوب به يفصل من العمل ولا يمنح جواز سفر. اما الاجانب فيطلب منهم تغيير اسمه او التسفير من بلد المسلمين.

---

[1] رجل قابع في بيته دون ازعاج الاخرين ، يحاول مع بعض اصدقائه ان يسرقوا لحظات من الزمن الوهابي اللعين، ليدخلوا البهجة الى نفوسهم وليبتعدوا عن " العالم الوهابي " دون المساس لا بمشاعر المواطنين ولا اعتداء ولا خيانة. ومع ذلك يقعون في قبضة رجال " الفاتكان الوهابي " الذين لا يعرفون الرحمة ولا معنى لديهم للبهجة او المسرة.

أ - **اسماء لها دلاله شرك** : وهي الاسماء التي يشم منها الوهابيين رائحة شرك مثل: عبد الحسين، عبد النبي، عبد علي، عبد الزهرة، وهي اسماء معروفة ومنتشرة بشكل واسع في العراق، ايران وبعض دول الخليج العربي، فيستحسن ان يسمى "عبد رب الحسين، عبد رب النبي[1] .... الخ .

ب - **اسماء لها رائحة جنسية**: كما ورد في حادثة " الفتاة نهد" سابقا. كما يحرم نطق اسم الاكله الشعبية المشهورة في الجزائر، تونس، المغرب. والمعروفة باسم "كسكسي"!

ت - **اسماء ذات دلالة كفر**: مثل اسم، رباني، الهي، ملائكي، اياتي، جنتي، روح الله، اية الله .....الخ وهذه الاسماء منتشرة في ايران، وافغانستان، وهي اسماء يحرم الوهابيون النطق بها، فما بالك باستخدامها كاسماء؟

ث - **اسماء وصفات الله الحسنى**: لا يليق بالعبد - حسب تعبيرهم - اطلاق اسم او صفات هي وفقا على الخالق جل جلاله مثل: كريم، الرزاق، الجبار، الخالق، الشارع، الجلاله... ويستحسن اطلاق: عبد الكريم، عبد الرازق، عبد الجبار كما الغى الوهابيون لقب الجلاله عن الملك فهد بن عبد العزيز واصبح الاسم الرسمي هو الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين .

لا يحق لاصحاب المقاهي والفنادق والمطاعم اطلاق اسم "الفردوس او الجنة او الخلد او حور العين" على واجهات محلاتهم التجارية لأن رجال الدين الوهابيون يقولون: ان الفردوس او الجنة لا يدخلها الكفار والمشركون. والمقهى او الفندق يرتاده المسلم والكافر والمبدع !.

3 - **رقابة المصانع**: تشكل اغرب اشكال المراقبة، لكونها تثير اعصاب واستفزاز العمال وارباب العمل. رقابة لم يسمع بها التاريخ الصناعي للمجتمعات الحديثة، رقابة لم تات من قبل هيئات نقابية غيوره على اوضاع العمال لمعرفة احوالهم، شروط عملهم. هل هي صحية وقانونية ام لا؟ ولا هي رقابة تنطلق من مصلحة ارباب العمل، لمعرفة سير تطور انتاج هذا المصنع او ذلك، جودة البضاعة احاسيس ومشاعر العمال ..... الخ. بل

[1] لي اصدقاء في " القطيف والاحساء " اجبروا على تغيير اسمائهم لكي ينالوا وثيقة سفر.

هي رقابة دينية وهابية، متطفلة على الانتاج وتعيق سير عمله بحجة "الصلاة" هل يتوقف العمال عن العمل اثناء فترة الصلاة ام لا؟ سواء صلاة: الظهر، العصر، المغرب، العشاء، الفجر. وهل يصلون جماعيا ام لا ومن هو امامهم في الصلاة ؟ ! وهل هناك مسجد صغير ملحق بالمصنع ام لا؟. واذا وجدوا نوعا من التساهل والاهمال، انذروا العمال وهددوا مدير العمل بالطرد من البلد اذا لم يتقيد بالارشادات والوصايه الوهابية.

4 — **الرقابة النجدية:** اكثر انواع الرقابة ازعاجا وتخلفا حضاريا وثقافيا، لا يعرف المرء من اين تبدا او من اين تنتهي، لكونها رقابة مفتوحة لا تخضع لقوانين او لوائح مكتوبة او مقاييس معينة معترف بها، بل هي تخضع اولا واخيرا لمزاج وعقلية هذا الرجل الدين النجدي او ذلك. وعندما نؤكد — هنا — على "نجدية رجل الدين " لنميز بينه وبين رجال الدين الاخرين. بمعنى ليس كل رجل دين يمارسها، فكثير من رجال الدين في الحجاز. والمنطقة الشرقية والجنوبية يترفعون عن اقحام انفسهم في امور حياتية مرتبطة بالحريات الشخصية البحتة. اما رجل الدين النجدي فهو يمارسها بكل تلذذ وراحه بال، لذا تكون الرقابة النجدية والحريات الشخصية. شيئان لا يلتقيان في مكان. مثل الماء والنار وان وجد احدهما ينفي بالضرورة الاخر. فالرقابة النجدية تحصر في ضرب المشاعر والاحاسيس عند المواطنين، خاصة تجاه المرأة وحركتها داخل المجتمع. والمقصود من مفهوم الرقابة النجدية، هي تلك الرقابة التي تنطلق من "منطقة نجد" المعروفة في تخلفها الثقافي والحضاري وخشونة وحشرية رجال الدين هناك. فكل شيء جديد او غير معروف او مالوف في منطقة نجد، سرعان ما يحرم هذا على نفسه وعلى الشعب ويجبر الاخرين على طاعة اوامره:

ممنوع بيع الالعاب الالكترونية — اليابانية — المتحركة الالكترونية؟

ممنوع بيع هذه الالات الموسيقية الشيطانية ؟

ممنوع وضع صور المرأة على البضائع ؟

ممنوع مشاهدة القناة الخارجية والاكتفاء بالقناة رقم واحد او اثنين السعودية ؟

ممنوع وضع العباءة على الكتف ؟

ممنوع احياء ذكرى فلان؟[1]

وبفعل هذه الرقابة النجدية الصارمة، تظهر الحركة الاجتماعية في الشارع، الاسواق اما مشلولة او مشوهة للمظهر الانساني .

[1] عندما توفي السفير الشيخ محمد الشبيلي – ابو سليمان – وهو من المع الشخصيات الاجتماعية والدبلوماسية التي انجبتها " منطقة نجد " لما تحلّى به من خلق وشهامه وعقليه منفتحة اراد محبيه في مدينة " عنيزه – في القصيم – احياء ذكرى موته واطلاق اسمه على احد الشوارع ، وقف رجال الدين وعلى راسهم الشيخ " ابن عثيمين " معارضا لهذه البدعه !!



الفصل الثاني

مجتمع الظواهر



اعتاد قادة "الفاتيكان الوهابي" و"العرش السعودي، تذكير الشعب دوما بــ "النعم" العديدة التي انعم الله بها على "عباده الصالحين" في هذا البلد" نعمة الاسلام، نعمة الامن، نعمة الاستقرار السياسي، نعمة الرفاء، نعمة الصحة والعافية، نعمة الصحوة...الخ. ويطالبونه بالمقابل ان يرفع الايدي والاعين للسماء فقط، لا لما يجري من تفسخ داخل المجتمع، للشكر على تلك النعم الوفيرة وإظهار التقوى والسكينة والطاعة لعلية القوم، فالبلد في مأمن، المجتمع مثال يحتذى به، فدع القلق ونم وانت مطمئن البال" فهم بهذا الموقف السلبي القاتل، لا يخدعون انفسهم فحسب، بل يخدعون الشعب خاصة جمهورهم، المتوهب ويشجعون على استمرار مظاهر الانحلال والتفسخ السائدين داخل المجتمع وعلى كافة المستويات. وطبيعية والحال هذه أن تنمو وتنتشر الامراض والظواهر الغريبة مع تنوع مصادرها فالتقت بل وتعانقت على ارض "المملكة جملة من الامراض الغريبة والظواهر الخطيرة، والتي لم يعرف بمثلها اي مجتمع من قبل، لا في الشرق ولا في الغرب، سواء من حيث كثرة عددها وغرابتها ناهيك عن خطورتها واستمراريتها داخل المجتمع، حيث تفجرت في آن واحد اسوأ الامراض القديمة التي عرفها المجتمع العربي الاسلامي: تعصب قبلي، تعصب ديني، تعصب اقليمي، غرور وتكبر، احتقار للعلوم، ممزوجة في الوقت نفسه بأسوأ الامراض التي افرزها المجتمع الاوروبي او "الغربي" مع الفارق المذهل بين المجتمعين، انتشار المخدرات على نطاق واسع، انتشار الادمان على الكحول، انتشار الجريمة الفردية والمنظمة وظاهرة الانتحار، ظاهرة الخوف في بلد البداوة!!... الخ واذا كنا قد تعرضنا قبل اكثر من عشر سنوات في كتابنا البترول والاخلاق في الجزيرة العربية لاسباب هذا الانحلال في القيم الروحية والاخلاقية دون بديل متقدم وعن الامراض الغريبة التي اجتاحت المجتمع الوهابي السعودي، أنذاك، ولا زالت فاننا اليوم نجد انفسنا امام امراض وظواهر غريبة وخطيرة، لم نتعرض لها من قبل مضيفة هموم ومتاعب جديدة على ما يعانيه المواطنون والمواطنات من هموم وهابية مزمنة كما وان بروز هذه الظواهر واستمرارها تدل على ان المجتمع الوهابي السعودي هش وهزيل ومشجع لكل انواع الطحالب المعيقة لنهوض الانسان والمجتمع.

ليس في الامر غرابة، عندما تجتاح ظاهرة او "ظاهرتان غريبتان" في هذا المجتمع او ذاك ربما الغرابة تكمن في عدم ظهور بعض الظواهر او الامراض الاجتماعية لان افراد المجتمع ليسوا متساويين كأسنان المشط، فالتفاوت في التفكير والمصالح والسلوك، مثل

التفاوت في الاعمار، ناهيك ان المجتمعات، مكونة من طبقات وفئات اجتماعية متباينة ومتصارعة الكل يبحث عن مصالحه المادية وعن تطلعاته الفكرية والثقافية فالصراع بين القديم والجديد صراع إبدي من سنن التطور، فلا غرابة، اذا، عندما تحتاج بعض الظواهر والأمراض العابرة التي سرعان ما تختفي لصالح الافضل. اما ما يسود المجتمع الوهابي السعودي المحافظ شيء مختلف وملفت للنظر حيث نجد سلسلة من الظواهر والامراض الخطيرة تجتاحه دفعة واحدة، وهو واقف، في الوقت نفسه، يترنم بالقيم الروحية وبالدفاع عن الاخلاق العربية الاسلامية، هذا التناقض الواضح بين الادعاء وبين ما يجري في الواقع العملي الاجتماعي، هو الذي يغذي استمرارية تلك الامراض واستفحالها دون ان نلمس بان هناك جدية في التصدي لها ولمعرفة اسبابها، بل العكس صحيح، بأن تلك الامراض والظواهر الغريبة اصبحت جزء من التراث النفسي والثقافي للمؤسسة الدينية، لا يمكن للعرش الاستغناء عنهما.

ودونكم بعض تلك الظواهر:

1– "ظاهرة الجن"

يرفض الوهابيون، بل يحرمون ويعاقبون بشدة، مخالطة المرأة للرجل على كافة الاصعدة والانشطة الاجتماعية، فالفصل التعسفي بين الجنسين لا يقبل الجدل سواء في مراحل التعليم، العمل، الحدائق العامة، البنوك، حيث توجد بنوك خاصة"بعالم النساء". وفي نفس الوقت لا يمانعون من مخالطة المرأة الوهابية او غير الوهابية بعالم "الجن" او الرجل الوهابي يحاور حسناء مسلمة من "اهل الجن" بل يسعدهم ويطربهم سماع مثل هذه الحكايات والاخبار عن عالم الجن المجهول، بل كثير من قادة وكبار علمائهم اخذهم الزهو والغرور لاعتقادهم بانهم "الفرقة الوحيدة في الاسلام التي لها صلات مستمرة بهذه "الكائنات غير المرئية، الجن" فكلما ارتفع ضخ البترول، كلما ارتفع معه الضغط والكبت الوهابيين على الشعب وكلما ارتفعت حركة "ظاهرة الجن" في هذا البلد لتصبح ظاهرة عامة يتداولها الجمهور الوهابي وانصاره في المجالس والمدارس والندوات العامة وان الكثير منهم ذهبت فيه تخيلاته الى اقصاها حيث بنى علاقات مباشرة وصحيحة مع "عالم الجن المسلم" وقد صرح بهذا علنا اكثر من عالم دين وهابي: بانه حاور "جني بوذي فاسلم" والاخر طرد اكثر من "جني بوذي" من جسد امرأة ...الخ. ولما ارتفعت بعض الاصوات المتنورة والشجاعة في هذا البلد على هذا "الهذيان اللامعقول واللامنطقي وانتشاره بين صفوف المواطنين، رد عليهم الناطق الوهابي الاكبر الشيخ ابن باز قائلا: من انكر تلبس الجن بالانس فهو جاهل لا يعول على قوله[1]. بهذه الفتوى اخرس الناطق الوهابي الرسمي، حركة العقول النيرة، بل اتهمها بالجهل وشجع بالمقابل "حركة هذه الكائنات الخفية داخل المجتمع.

ذكر مصدر رسمي عام 1987 قائلا: لقد سمع سماحة شيخنا ابن باز الجني في بدن إمرأة بل خاطبه ودعاه للاسلام وكان بوذيا فاسلم[2].

---

[1] مجلة الدعوة. العدد 1572 9 شعبان 1417هـ الموافق 19 ديسمبر 1996م.

[2] مجلة الدعوة. العدد 1587 3 ذي الحجة 1417هـ الموافق 10 أبريل 1997م.

وما ان سمع رجال الدين وقادة "الفاتيكان الوهابي" تصريح وحوار "البابا الوهابي مع الجن" حتى انطلق الجميع نحو عالم الجن ليؤدوا رسالتهم التبشيرية بعد ان ادوا رسالتهم في اندونيسيا وافغانستان، بنغلادش الخ، وارسلوا مؤخرا رسلهم الى "اليابان" واميركا اللاتينية، لم يبق امام الفاتيكان الوهابي مكان للغزو غير عالم الجن وقد تجاوب بسرعة مع هذا النداء احد اكبر علماء المدينة المنورة الشيخ ابو بكر الجزائري، مؤكدا ومتجاوبا مع ما قاله سماحة الشيخ ابن باز قائلا: بان جنياً مس اخته، فحاوره على الطريقة البازية، ونطق الجني على لسان اخته مصرحا بانه يفعل بها هذا لانها اذته يوم كذا في مكان كذا

الى ان قال هذه الحادثة عشتها وبعيني رأيتها ومن رأى لا كمن سمع[1] بهذه التصريحات والتأكيدات، اخذت "حركة الجن" مشروعية حركتها داخل المجتمع الوهابي وفتح عشرات رجال الدين وغيرهم بيوتهم لاستقبال "المرضى" او الذين يتشكون من مضايقات وازعاجات "الجن" من النساء والرجال فاتسعت بذلك حركة الهرطقة والنفعية حتى ان مجلة اليمامة اوردت في الكثير من اعدادها (مقالات عن حركة المشعوذين وانتشار دكاكينهم في مدينة الرياض وان بعض المشايخ يستقبل اكثر من 200 شخصا في اليوم غالبيتهم العظمى من النساء ويعتقدون بانهن واقعين تحت تأثير كائنات غير "مرئية" الجن.

1- فتاة اسمها "مها" ظهر في جسمها مرض جلدي، ذهبت الام بابنتها الى احد المشايخ فقال فيها جني مسلم وضرره اقل من غيره[2].

2- فتاة عادية: اصبحت فيما بعد انطوائية حزينة تصدر اصوات غير طبيعية ذهبت امها بها الى احد المشايخ الذي قال: انها بها جني مقيم ولن يخرجه الا القرآن والضرب وهكذا كل ساعة غروب ترجع هند وقد تلون جلدها بين الخضره والزرقة والحمره من الالم[3].

سؤال: أؤكد لكم أن التلاميذ يلقون علي أسئلة محرجة ولا اجد جوابا مقنعا فمن ذلك سؤال يقول : هل الجن يموتون كالانس ويدفنون؟ وهل يشملهم قول الرسول ﷺ اعمار امتي بين الستين والسبعين؟

---

[1] مجلة الدعوة. العدد السابق.

[2] مجلة اليمامة. العدد 1461 بتاريخ 23 صفر 1418هـ.

[3] المصدر السابق.

الجواب: الجن يموتون كالانس لعموم قوله تعالى: كل نفس ذائقة الموت"، واما تقدير اعمارهم فالظاهر انه يعمهم الحديث المذكور لانهم من جملة الامة في عموم رسالة محمد ﷺ

اللجنة الدائمة.

عبد العزيز بن باز	رئيسا
عبد الرزاق عفيفي	نائب الرئيس
عبد لله بن غديان	عضو
عبد الله بن منيع	عضو

سؤال: اخاف جدا من الجن، اذا سمعت اي ذكر لهم فانني اظل تلك الليلة اتخيل وجودهم وربما تخيلت وجود مس في، لا اطيق دخول الخلاء، لا اطيق الجلوس في الظلام اشياء كثيرة اخاف منها وان كنت لا اخاف منها. لذاتها ولكن من ان ضربني الجن، كيف اتحرر من عقدة الخوف هذه التي ازعجتني[1] الجواب من الشيخ محمد بن المسند: ان تصحيحي عقيدتك وتقوية ايمانك بالله، له وان الضرر والنفع بيد الله، وان تحافظي على الاذكار في جميع احوالك لا سيما اذكار الصباح والمساء والنوم فان هذه الاذكار بمثابة الحصن الحصين والسلاح الذي يحميك من شر الشياطين الانس والجن.

ولم يقف الامر عند "جني مسلم وجني بوذي وجني كافر، بل اخذ بعض كبار العلماء يتحدث عن "جني بدعي"؟

سؤال: ما حكم استخدام الجن من المسلمين في العلاج اذا لزم الامر؟

الجواب من الشيخ ابن باز: لا ينبغي للمرضى استخدام الجن في العلاج ولا يسألهم بل يسأل الاطباء المعروفين اما اللجوء الى الجن فلا، لانه وسيلة الى عبادتهم وتصديقهم لان في الجن من هو كافر ومن هو مسلم ومن هو مبتدع ولا نعرف احوالهم فلا ينبغي الاعتماد عليهم ولا يسألون[2].

---

[1] مجلة الدعوة، العدد 1616 بتاريخ 7 نوفمبر 1997م.
[2] مجلة الدعوة العدد 1616 7 نوفمبر 1997م.

بجانب عالم الجن أيضاً كثر الحديث عن السحر والشياطين وعلاقتهم بالجن وها هو الدكتور عبد الله امين محمد بن ابراهيم وزير العدل في السعودية يدلو بدلوه، ويزيد من حركة الشياطين والجن في داخل المجتمع قائلا: ولعظم خطر السحر وشفاعة جرمه واشتماله على الكفر والشرك في تعبد الساحر للشياطين. سحر يستخدم فيه الجن والشياطين وهذا لا يكون الا بكفر صاحبه بالله واعتقاده بعقيدة الشرك لخضوع الساحر وتعبده لمردة الجن والشياطين وهو السحر حقيقة، سحر من قبيل الإذابة بانواع من الادوية والاعشاب ونحوها ويسمى سحرا مجازا[1].

اما الدكتور"غيثان بن علي بن جريس بجامعة الملك خالد "بأبها"، يتحدث بدوره عن المشغوذين فيقول: القسم الاول: هم السحرة والدجالون، الذين يعتمدون في علاجهم على الخزعبلات والاساطير والخرافات والحيل وقوة شخصيتهم.. ويلجأ بعض هؤلاء للاستعانة بالجن والشياطين لتحقيق اهدافهم الخبيثة[2] جاء ليكحل العين فاعماها، حسب المثل المشهور، المطلوب منه الاستمرار في نقد حركة المشعوذين وكشف الاسباب الحقيقية والخفية لمثل هذه الظاهرة، تراه يربطهم بعالم الجن والشياطين؟".

لماذا ظهر الجن في "السعودية" وفي هذا الوقت بالذات؟

كل ظاهرة مرضية او غير مرضية، هي بنت مسبباتها ودوافعها الاساسية الداخلية المتشابكة المغذية، لمثل هذه الظاهرة او تلك: الوضع العائلي والوضع الاجتماعي والسياسي، الوضع النفسي والجنسي، وشكل الثقافة السائدة ونوعية التربية...الخ. وظاهرة "الجن" في السعودية في هذه الفترة بالذات، بقدر ما هي ظاهرة مضحكة بجانب توفر الوسائل الحضارية المتقدمة للوهابي بقدر ما تكشف عن الوضع الاجتماعي الأليم والمخزي خاصة للحالتين "الجنسية والثقافية" ناهيك عن الوضعية النفسية المحطمة، المقهورة، ضمن تلك الشروط. ونقف هنا عن وضع الحالة "الجنسية.

الوضع الجنسي: يشكل الحرمان الجنسي الطويل الذي يعيشه الشاب بشكل عام والفتاة بشكل خاص، اهم العوامل المغذية لظاهرة "الجن" في المحيط الوهابي في هذه الفترة

---

[1] مجلة العدد 1618 تاريخ 20 نوفمبر مم1997م
[2] جريدة عكاظ العدد 11859 بتاريخ 14 فبراير 1999م.

بالذات هناك العديد من الادلة او الاسئلة المنطقية التي نطرحها هنا والاجابة عليها تشكل دون لبس صحة هذا الافتراض.

لماذا ظهر، ولا زال، الجن ضمن وسط الشابات اللواتي تتراوح اعمارهن ما بين 14 عاما و30 عاما؟

لماذا لم نسمع بظاهرة الجن ضمن وسط الاميرات السعوديات وما اكثر عددهن؟

لماذا "التصورات" عن الجن منتشرة ضمن وسط الفتيات النجديات اللواتي يعشن تحت رقابة صارمة؟

ما هو السبب في عدم انتشار "ظاهرة الجن" بين صفوف البنات الحجازيات او بنات المنطقة الشرقية او المنطقة الجنوبية؟

لماذا لم نسمع عن "علاقات الجن بالعجائز" بالرغم من الهن يعتقدن بوجود الجن؟

هذه الاسئلة والاجابة عليها بشكل علمي تكشف للقارئ بشكل واضح وملموس عن البعد التاريخي للعطش الجنسي وخطورة استمراره في سلوك ونفسية هذه الفتاة وتلك والتي يضعها امام خيارين: اما ان تندفع بمخيلاهًا بذكاء وراء عالم خاص بها يخترق الجدار الوهابي السميك المفروض عليها مع الحفاظ على التقاليد الاجتماعية وسمعة العائلة، خاصة وان الثقافة الدينية والاجتماعية السائدة في المجتمع، تشجعها على القول والادعاء علنا بوجود "الجن" وان بعضهم "يزعجها" او تدمير حياهًا فتعيش منطوية تتآكل داخليا باسم الانضباط الاخلاقي الوهابي، فتنهشها الامراض والعقد النفسية والجنسية وما اكثرهن، يا للحسرة، فالاختيار الاول والتصريح برؤية "جني" او ان "جني" داخل جسمها فيه جزء هام من حل المشكلة بطريقتها الخاصة ولو بشكل غير طبيعي ولكنه طريق هادئ بعيدا عن "الفضيحة" العائلية او الاجتماعية. المهم تجد الفتاة المحاصرة بقوة التقاليد الوهابية التي لا ترحم، عذرا لتنفس، فخروجها مع "امها" الى الشيخ هو بحد ذاته "تنفس" وانتصار مؤقت لها وحينما تقف امام الشيخ فالها على الاقل تقف امام رجل وهابي، يعتقد بوجود تلك الكائنات من جهة ولربما لاول مرة بحياهًا تقف امام انسان خارج اطار "العائلة" تشم رائحته وتروي له بعض صور مخيلاهًا او قصتها مع "الجن" من جهة ثانية والشيخ الوهابي بكل وقارة يسأل بدوره: هل هو، جني بوذي، مسلم، هل هو مؤذي او غير مؤذي؟ وها هي الفتاة المراهقة "هند" تروي لنا قصتها مع الجني ومع الشيخ الوهابي الذي يجلدها يوميا

عدة جلدات، صائحا "اخرج يا جني" وعندما تشبع من الجلد، تصيح امام الشيخ وامام امها: بس خلاص خرج الجني. ثم تنهض بشكل طبيعي عائدة الى بيتها وطبيعيا يقف الشيخ المشعوذ منتصرا بخروج الجني، دون ان يتساءل احد، لماذا، هند هي التي تحدد خروج الجني؟ فبعد ان فرغت "هند" بعض شحناتها الجنسية المكبوتة ولو بطريقة شاذة، فالوهابيون لا يسمحون الا بالطرق الشاذة تصيح او تأمر الشيخ بوقف الضرب، فقد خرج الجني "مؤقتا" وبهذه الطريقة المازوشية ترضي هند رغبتها الجنسية.

وفتاة اخرى اكثر ذكاء وفهما للحالة الاليمة التي تعيش فيها، فتنطلق لتعبر عن حاجاتها الجنسية بطريقة لا تلفت النظر ولا تجلب العار لها او لاهلها. فتأخذ بالاعتكاف لفترة طويلة في غرفتها تحاور نفسها بصوت عال، اشارة منها الى اهلها بان وقت زيارة الجني لها، قد حان. وبما ان هذه الحادثة تتكرر مرات عديدة فان اهلها يتركونها لوحدها في غرفتها دون ازعاج، خوفا من انتقام هذا "الجني البوذي" او "البدعي" من ابنتهما والفتاة في هذه المرة وفي هذه اللحظة لا تحاور نفسها ولا هي نوبات جنونية، بل هي تنتظر بفارغ الصبر مجيء حبيبها "جارها القادم من السطح او اي منفذ اخر متفق عليه مسبقا. فتهنأ معه لحظات من الزمن سريعة وخاطفة ولكنها سعيدة عبر واسطة الجني. والدكتور حجازي، اشار بذكاء لكيفية استخدام هذه الكائنات الخفية لاغراض شخصية خاصة في مجتمعات تقليدية محافظة على سمعة "الشرف العائلي" قائلا: كما انها قد استخدمت وما زالت بكثرة لتبرير ما يود الانسان التستر عليه من فضيحة او عيب او تقصير بزعم الوقوع تحت تأثير الجن مما يساعده على الحفاظ على سمعته"[2] " هذا الوصف ينطبق تماما على الوضع المؤلم للمرأة المقهورة في الجزيرة العربية "السعودية".

لماذا لم يخرج "الجن" ضمن وسط الاميرات السعوديات؟ لان اوضاعهن تختلف عن الاوضاع العامة التي تعيش فيها المرأة في الجزيرة العربية "السعودية" فالاميرات لا يشعرن بالقهر والحرمان ولا بالكبت او التعطش الجنسي كما تعاني منها "الفتاة في المجتمع الوهابي بشكل عام والفتاة النجدية الوهابية بشكل خاص. فمساحة حركة الاميرات داخل المجتمع وخارجه واسعة جدا وسهلة جدا لسبب واضح، ان القائمة الطويلة من المحرمات الوهابية على الشعب لا تشمل الاميرات، سواء داخل قصورهن او في حركتهن داخل المجتمع، فهن يتمتعن بشيء من "الحرية الجنسية " لذا هن لا يشعرن بخوف او قلق من جانب "النظام او المؤسسة الدينية وبالتالي هن غير محتاجات الى كائنات خفية ليبررن سلوكهن في

التعبير عن علاقاتهن الغرامية. فعلى الرغم من ان عدد الاميرات السعوديات يفوق عددهن، عدد الجيش السعودي مع ذلك فانك لا تجد حالة واحدة بين صفوفهن تتشكى من مضايقة الجن وبالمقابل فللأميرات امراضهن الخاصة "النفسية"

مثل: "هجرة الامير لهن ليالٍ واشهر، عجرفته ومعاملته، التي تصل ايحانا الى الشذوذ "الضرب...الخ" وهذه مسائل او مشاكل لا علاقة لها بموضوعنا هذا. اذن الاميرات لا يعيشن ازمة جنسية حقيقية وبالتالي ظاهرة الجن لا معنى لها في عالمهم الخاص الواسع حيث السهرات والحفلات الراقصة مستمرة.ضمن وسطهن.

اما عن اوضاع النساء والفتيات اللواتي يعشن في منطقة الحجاز او المنطقة الجنوبية او الشرقية، سواء اللواتي ينحدرن من اصول طبقة برجوازية او فقيرة، فحركة "الجن" ضمن وسطهن تكاد تكون معدومة لا يعني هذا انهن لا يعتقدن بوجود هذه الكائنات بل انهن لسن بحاجة الى تبرير علاقتهن الشخصية واسنادها الى تلك "الكائنات الخفية" لعدة اسباب: وجود آباء يتمتعون بعقول نيرة ومنفتحة، ناهيك عن الخلفية التاريخية لكل واحدة من تلك المناطق الثلاث التي تختلف في مسارها التاريخي والاجتماعي وعاداتها واخلاقها عن "منطقة نجد" حيث نجد مثلا المرأة في المنطقة الجنوبية "عسير" كائن منفتح ومنتج في المجالين الزراعي والرعوي وانها تخرج سافرة الى الحقل وتحتك بالرجال وبشباب القرية دون عقد او خوف لان هذا من صلب عاداتهم وتقاليدهم، حتى منتصف السبعينيات، عندما وصلت "الهجرة الوهابية الدينية المكثفة" الى هذه المنطقة واجبروا الآباء قصرا على فرض الحجاب على نسائهم وبناتهم والزامهن البيوت وعدم الخروج الى الحقل.

2– ظاهرة الفتنة

كلمة "فتنة" و"بدعة" على اللسان الوهابي اينما سار، ولا يفرق بين الاثنين وينطق بهما في علاقته مع الجمهور، مثل ما ينطق كلمة "السلام عليكم" كما وان الوهابيين لا يميزون بين (الثورة وبين الفتنة) فلديهم دمج غريب لمفهوم الفتنة واقحامه في كل شيء، من الامور الشخصية الى الامور السياسية مرورا بالامور الاجتماعية فما ان يسمعوا بـــ "ثورة اجتماعية" في بلد ما قالوا هذه "فتنة" وما ان تخرج المرأة معطرة، بعطر باريسي او غيره، قالو "فتنة" وما ان تتحرك الجماهير سلميا ومعبرة عن بعض مطالبها المشروعة قالوا هذه، فتنة، وشارب الدخان في الحي او الشارع "فتنة" والفتنة اشد من القتل وهم بهذه العقلية المتزمتة، لا يفرقون في كلامهم بين كلمة "فتنة" تعني الجمال الروعة، وبين "الفتنة" التي يراد بها الحاق شرا او اذى او تعكير علاقة ما بين الجيران او اهل الحي، القبائل...الخ، وبين مشروعية نهوض شعب ما له مسبباته ودوافعه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويتوقف عليها حياة وحاضر ومستقبل هذا الشعب الثائر او ذاك فسرعان ما يختمها الوهابي بكلمة "فتنة" لان الوهابيين من دعاة الركود والعيش في وزوايا التاريخ المظلمة فما ان يحسوا بشيء جديد داخل مجتمعهم قالوا هذه "بدعة" وما ان تخرج مظاهره طلابيه، عمالية، قالوا "فتنة" ودونكم بعض الامثلة الحية على ذلك.

سؤال: لدي اخوات في سن الزواج، فاذا تقدم لهن رجل يدخن فهل يجوز ان ازوجه منهن؟ – خط التشديد من عندنا.

الجواب: من الشيخ صالح الفوزان يجب على ولي الامر ان يزوجها من الكفء الصالح الذي ترضاه لقول ﷺ اذا جاءكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير وشارب الدخان "الدخان، مجاهر بالمعصية فهو غير مستقيم في دينه ويخشى منه ان يؤثر على المرأة وعلى اولادها فيجب التماس غيره ابتعادا عن الفتنة[1].

---

[1] مجلة الدعوة ، العدد 1525 بتاريخ 11 يناير 1996م.

سؤال: انني اقيم مع زوجي في اميركا واريد الدراسة حيث ان لدي وقت فراغ فهل يجوز لي الدراسة في معهد "مختلط" علما بانني البس النقاب ويوجد بعض المسلمات الملتزمات واحرص دوما على عدم الاحتكاك بالرجال على الاطلاق.

الجواب: من الشيخ الفوزان لا يجوز للمرأة المسلمة ان تدرس في مكان مختلط بين الرجال والنساء، لما في ذلك من الفتنة وضياع الحشمة ومشاركة الكفار في عاداتهم وتقاليدهم والواجب على المسلمة الحجاب والاحتشام، والبعد من مخالطة الرجال ومواطن الفتنة.

سؤال: فتوى رقم 11776: هل يجوز لانسان ان يلعب اية لعبة مع انسان يرتدي سروالا قصيرا؟[1]

الجواب: لا يجوز لك اللعب مع من ذكرت وذلك لانكشاف العورة وخوف الفتنة والعورة للرجل ما بين السرة والركبة.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء.

سؤال: ما حكم تعطر المرأة وتزينها وخروجها من بيتها الى المدرسة مباشرة هل لها ان تفعل هذا الفعل؟

الجواب من الشيخ ابن باز[2]: خروج المرأة الى السوق محرم لما في ذلك من الفتنة اما اذا كانت المرأة ستركب السيارة ولا يظهر ريحها الا لمن يحل له ان تظهر الريح عنده وستنزل فورا بدون ان يكون هناك رجال حول المدرسة فهذا لا بأس به لانه ليس في هذا شيء فهي في سيارتها كأنها في بيتها. اما اذا كانت ستمر الى جانب الرجال فانه لا يحل لها ان تتطيب[3]. ويواصل الشيخ قائلا: على المرأة ان تجتنب استعمال الطيب عند خروجها للسوق او المسجد او محل العمل اذا كانت موظفة لان ذلك من اسباب الفتنة.

س: ما حكم مصافحة النساء؟

---

[1] مجلة الدعوة، العدد 1615 بتاريخ 30 اكتوبر 1997.
[2] الشيخ ابن باز مجموع فتاوي ومقالات متنوعة المجلد السادس ص72.
[3] مجلة الدعوة، العدد 1608 11 سبتمبر 1997م.

الجواب من الشيخ ابن باز[1]: فان كانت للنساء من المحارم المصافح كأمه وابنته واخته وعمته وخالته وزوجته فلا باس بها وان كانت لغير المحارم فلا تجوز ولا يجوز للرجل ان يصافح النساء من غير محارمه ولا ذلك لا تؤمن معه الفتنة.

[1] الشيخ ابن باز مجموع فتاوى ومقالات المجلد السادس ص 27.



3- ظاهرة الباه

هل اكتشف الوهابيون "الباه" توا ام ان "الباه" البترولي هو الذي اكتشف وكشف الوهابيين؟ ما سر هذا الاندفاع والحماس الشديدين نحو "الباه"؟

عن النبي محمد ﷺ انه قال: من منكم يستطع الباه فليفعل؟ فالتفت رجال الدين وتيارهم الواسع نحو انفسهم فوجدوا انهم قادرون فعلا على ترجمة ذلك الحديث النبوي والتبارك به على ارض الواقع الاجتماعي بكل يسر وسهولة بفضل القطرات البترولية التي نزلت عليهم فجأة فاندفع الجيش الوهابي ومن تأثر بطروحاتهم من مدنيين وعسكريين داخل المؤسسة الدينية وخارجها نحو الزواج بحماس لا مثيل له وبطرق غريبة جدا دون وعي لجوهر الحديث النبوي وخصوصيات "عصره" ﴿فاذا لم تعدلوا فواحدة﴾- الاية (العدل في السماء لا في الارض، علق احد المواطنين- ومع كثرة الحديث عن اهمية وضرورة تعدد الزوجات في المجالس الخاصة والعامة وفي خطب الجمعة وفي المحاضرات المكثفة التي يلقيها رجال الدين والدعاة وبعض اساتذة الجامعات والكليات الدينية اندفع الشباب والكهول من كافة الاعمار ومن كافة الشرائح الاجتماعية نحو "شهوة النكاح" البعض يستند على "الفتاوى" التي اطلقها كبار رجال الدين معتمدين على الحديث النبوي: من منكم يستطع الباه فليفعل؟ وغالبيتهم يمتلك الامكانيات المادية التي تجعل من الزواج مثنى وثلاث واربع امرا واقعيا والبعض يبرر عمله هذا بأن البلد، بحاجة الى كثرة النسل للقيام بالمهمات التنموية.

ومهما كانت الدوافع والتبريرات فان البلد عاش ولا زال من عام 1980م – 2001م موجة حماس وهابي للزواج والتنظير له، والتركيز على "حث الطالبات على الزواج المبكر "ابتعادا" عن العنوسة والاقتناع بالعيش المشترك مع زوجة ثانية او ثالثة...الخ كما كثر الحديث على صفحات الجرائد والمجلات وعلى شاشة التلفاز عن الوضع العام للعوانس والمطلقات والارامل ومخاطبتهن على الزواج السريع من رجل وان كان في ذمته زوجة اخرى او اكثر فهذا اشرف واسترهن ويقربهن الى مواقع "الجنة" حيث الفوز الاكبر وعلى اثر ذلك برزت في داخل المجتمع "بدع وهابية" اخذت تنتشر بسرعة فانعشت

الجسم الوهابي المترهل واطالت من عمر سلطة "الفاتكان الوهابي" على المجتمع وراح ضحيتها حاضر ومستقبل المرأة ودونكم اهم تلك "البدع".

1- **فتح مكاتب للخطابة:** لو برزت ظاهرة "دور الخطابة" على صفحات الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية في اي مجتمع عربي اسلامي لهان الامر بالنسبة لنا، لانها مجتمعات متقدمة ثقافيا واجتماعيا وفكريا وغير معقدة جنسيا، نقول لو كانت هذه الظاهرة موجودة في مجتمع عربي، لكانت محط انتقاد وسخط شديدين من قبل رجال الدين الوهابيين وانصارهم واعتبروها "بدعة في الاسلام" واختراق فاضح للتقاليد العربية والاسلامية، فضلا على انها تساعد بشكل فعال على نشر الدعارة والفساد باسم "الزواج الشرعي" ولكن ظاهرة ابراز "دور الخطابة العلني وعلى صفحات الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية ظاهرة ينفرد بها المجتمع الوهابي السعودي لحاجتهم الماسة لتلبية شهواتهم الجنسية التي تفجرت مع تفجر البترول وارتفاع اسعاره- على حساب حياة ومستقبل المرأة، بل ومستقبل المجتمع والانسان في هذا البلد، وذلك بابعادها كلية عن دائرة الانتاج الفعلية وعن مواقع الحساسة داخل المجتمع والدولة من جهة وجعلها اسيرة وتحت رحمة "الفاتكان الوهابي" من جهة ثانية، وانطلاقا من هذه الاهداف اندفع رجال الدين وتيارهم يشجعون على نشر "دور الخطابة" العلني في القرى والمدن على السواء مذكرين الجميع بعودة "بيوت بيع الرقيق" التي اختفت من مدينة جدة منذ عام 1961م وها هي "بيوت الخطابة" تقوم بالغرض نفسه وان اختلفت الصور والاساليب ولهذا لا غرابه ان نجد"اسمائهن" على صفحات الجرائد والمجلات المحلية، بجانب اكبر الماركات والمحلات التجارية : محلات الجفالي "المرسدس" محلات المطلق للاثاث، محلات الزاهد، محلات الجميح، الخطابة ام محمد، الخطابة ام عبد الرحمن، الخطابة فاتن...الخ وكل واحدة منهن تتحفك بعشرات الاسماء لفتيات في مقتبل العمر، وبعضهن اعلن انهن يملكن اكثر من "مائة اسم" إمرأة من جميع الاعمار والمواصفات وكل خطابة تعلن بان رسالتها انسانية اجتماعية لتسهيل عملية الزواج بين اثنين ابتغاء للثواب ومشاركة وجدانية لما تعانيه المرأة العانس او الفتاة من وحشة قاتلة " لنترك النيات الطيبة فهن لا يتحركن الا بدافع مادي. وهنا يكمن الفرق الجوهري، بين دور الام، الاخت الكبرى في الاختيار الزوجة المناسبة حسب الاعراف والتقاليد السائدة في هذا المجتمع التقليدي وبين دور الخطابة.

الاولى: الأم دافعها انساني ومصيري في بحثها عن "فتاة" ملائمة لابنها والثانية: دافعها الربح والغش، الربح حيث تتقاضى من 2000 ريال الى خمسة الاف ريال + هدية عن اتعابها كما تظهر عملية الغش للطرفين "المرأة والرجل" في كثير من الاحيان، دور الام خاصة ودور الخطابة رسمي وعام، والاخطر في دور الخطابة هو تحسين صورة الرجل من اي عيب كان في عين الفتاة المحاصرة باربع جدران وهابية على الموافقة فالرجل هو الذي يدفع اتعاب "الخطابة" وبفعل انتشار دور الخطابة في المنطقة الوسطى والغربية كثف الشباب والكهول اتصالاتهم المستمرة مع الخطابة عبر التلفون البعض وهم الاقلية يبحثون عن "زوجة رفيقة عمر" والاغلبية تبحث عن نزوة عابرة بغطاء شرعي لمدة اسبوع او شهر. فالمصاريف هنا لا تكلف نصف المصاريف لو ذهب الى الخارج لارواء عطشه الجنسي. وهكذا وقعت مئات الفتيات البريئات ضحايا دور الخطابة في براثن رجال لا يعرفون الرحمة او احترام للمرأة. فصدمن نفسيا واخلاقيا، وبدأ المواطنون يسمعون أنين نسائي حزين لا ينقطع قادم من آبار رطبة مظلمة، بقرب من "بئر الجاندريه" حيث لا قافلة تمر من هناك لتنقذهن فالجمال منذ زمن انقطعت ولا احد ناصرهن فاخذ بعضهن المبادرة بالاعتماد على انفسهن، وهذا شيء حسن، في الكتابه عن اوضاعهن وتجاربهن المريرة عبر الزواج عن طريق الخطابه، شارحين ذلك على صفحات المجلات المحلية ويحذرن اخواتهن من عدم الزواج عن طريق "الخطابه" وقد اوردت مجلة اليمامة شهادات حية لفتيات اعلن عن الملأ بعدم تكرار الزواج عن عبر "بيوت الخطابه" لسنا ضد وجود هذه المكاتب او "بيوت الخطابه" ومساعيهن لتسهيل الزواج او الدعارة المستترة وبغلاف ديني ففي كل مجتمع –مقبره- حسب المثل الشائع، بل نحن ضد هذه الظاهرة الوهابية التي صورها وفلسفها "دعاة المؤسسة الدينية" والنظام بانها الطريق الافضل والاسرع لانقاذ الفتاة من حياة العنوسة او السقوط في...الخ، لماذا هذا الاصرار في طرح الاساليب المختلة والملتوية والتي تزيد من خناق واحتقار المرأة؟ لماذا لا تعطى المرأة "حقها" في الحركة داخل المجتمع لاختيار الرجل المناسب؟ فاذا كان هذا "الهامش البسيط" من الحرية محروم على هذه الكائنات ندرك مقاصد رجال الدين من وراء تشجيع دور الخطابه للاسباب التالية:

تلعب الخطابة، دور العراب بين الوسط الاجتماعي وبين المؤسسة الدينية وقادتها، حيث تترجم بسرعة فتاوى واراء وافكار رجال الدين ضمن الوسط النسائي، عبر غسل

دماغ مئات من النساء المعزولات، ليقبلن العيش تحت كنف رجل عجوز ولديه اكثر من زوجة.

ظاهرة الخطابة وانتشار سمعتهن منسجمة مع طموحات رجال الدين وتيارهم، الجنسية والاخلاقية والسياسية فعن طريقها يتم توفر كافة متطلباقم ورغباقم الجنسية بسرعة عبر زواج فاشل ومؤقت حيث تعيش الفتاة في عالم الاموات وهي حية وان كانت حصلة على "دبلوم في الاقتصاد او الادب او التربية"...الخ. وسياسيا تبقى حركة الخطابه متفاعلة مع خطط واهداف "الفاتكان الوهابي" في التحكم بالمرأة وجعلها دوما تابعة لهم وان لا ترى "حقها الجنسي او رغبتها الجنسية وارووائها الا عبر نوافذ "الفاتكان الوهابي" وهم بهذه المواقف المتخلفة والصارمة، جعلوا من المرأة، مادة امتصاص واحتقار، امتصاص اللذة اذا تجاوبت مع رغباقم واحتقار اذا عزفت عن الزواج، والويل لها اذا شقت طريقا آخر.

واخيرا لدور الخطابه، دور تجسسي، سواء من حيث جمع المعلومات عن الفتاة عبر الجيران او عبر الزيارات الشخصية المباشرة او عبر صديقتها في المدرسة والجامعة ناهيك عن ملفات للأرامل والمطلقات ووضع تلك المعلومات في ملفات خاصة مما يجعل من عملها هذا مادة غنية ومغرية جدا لوزارة الداخلية التي تعاني من محدودية امتداداها داخل العالم النسائي هذا بفعل المحرمات الوهابية وقوى العادات والتقاليد الاجتماعية التي تفصل بين الجنسين. لذا تحرص تلك "الوزارة" على تمتين العلاقة والاتصالات مع "الخطابة" لمعرفة اوضاع "الجنس الآخر" ماذا يفكر اولا وتجنيد بعضهن خدمة للاسلام والمسلمين اسوة بما تفعله جميع الحكومات ثانيا.

2- إنشاء جمعيات لمساعدة الشباب على الزواج: ما الهدف الاساسي من وراء إنشاء مثل هذه الجمعيات هل هو إنساني ام سياسي- ديني؟

تذكر إحصائية غريبة من نوعها واهدافها في مجتمع الغرابة بان هناك مليون ونصف المليون إمرأة في مرحلة العنوسة من عمر (28 فما فوق) لم ينكحن بعد، فطار عقل وصواب رجال الدين والامراء وانصارهم، فاذا كان عصر الغزو ولّى ومضى فليكن الغزو في هذه المرحلة عن طريق "الطفرة البترولية" غزو ضد العنوسة لإرغام النساء على الزواج

لينال كل وهابي سعودي نصيبه او سهمه من آخر "غزوة وهابية" وراح الدعاة يستفسرون عن مواقع العنوسة هذه.

منطقة جدة	396248 عانس
منطقة الرياض	327427 عانس
المنطقة الشرقية	228093 عانس
المنطقة الشمالية	21534 عانس[1]

ويُطرح السؤال الكبير والهام: من المسؤول الاول عن عزوف هذا العدد الهائل من النساء عن الزواج ولماذا؟

ارتفعت اصوات داخل المؤسسة الدينية وخارجها، تطالب ميسوري الحال على التبرع السريع للجمعيات الخيرية لمساعدة الشباب على الزواج للتغلب على مشكلة العنوسة فجاءت التبرعات السخية تنهال على هذه الجمعيات من ميسوري الحال ولسان حالهم، يقول نساعدهم وننال نصيبنا من العنوسة، خاصة وان كبار رجال الدين اخذوا يحثون ميسوري الحال على الاقتران باكثر من زوجة وها هو الشيخ ابن باز المفتي الاكبر يعلن امام جمع غفير قائلا: تزوجوا اثنتين وتزوجوا ثلاثا فان هذا وقتها ولا داعي للتردد في هذا الامر فقد تكدست البنات في البيوت وبقيت العوانس[2].

لسنا ضد تقديم المساعدات الانسانية دون مقاصد في هذا المجال او ذلك فالجمعيات الخيرية منتشرة في كل مجتمعات البشرية ولكننا ضد الاساليب والمقاصد غير الانسانية لرجال الدين في هذا المجال، لانهم يضربون عصفورين في حجر واحد، والتحجيم الابدي للمرأة وربط الشباب بالخط الرسمي وذلك من خلال:

---

[1] مجلة اليمامة ، العددج 1631 بتاريخ 11 نوفمبر 2000م
لم تشر هذه الاحصائية الى المنطقة الجنوبية – عسير ربما انها لا تعاني من هذه الظاهرة.
[2] مجلة إقرأ. العدد 663.

أ — الزواج المبكر وعن طريق هذه الجمعيات وتحت اشراف رجال الدين، الهدف منه ابعاد الشباب والشابات عن الوقوع تحت تأثير العلمانيين والديمقراطيين كما وان الزواج المبكر يخفف من روح التمرد والانفجار عند الشباب ويبعدهم عن النشاط السياسي لانشغالهم بتحمل اعباء العائلة.

ب- الزواج المبكر يلبي الرغبات الجنسية المكبوتة عند الشباب والشابات ويبعدهم عن التفكير بالسفر للخارج وما يجري هناك من تطورات ناهيك انه يخفف من عمليات الاغتصاب داخل البلد.

ت — اخضاع المرأة لمنطق رجال الدين ومواقفهم وان عزوف المرأة عن الزواج وهو احتجاج صامت واع لما تعانيه من وضعية لا انسانية، وهذا ما يخيف رجال الدين وتيارهم فيسرعون في تطويقها من جديد عبر الزواج لترى الحياة من خلال زوجها - المؤقت - فقط.

عبر هذه الاهداف اخذت تنتشر الجمعيات الخيرية لمساعدة الشباب على الزواج في غالبية المناطق وخاصة المنطقة الغربية الحجاز والمنطقة الوسطى ففي مدينة جدة لوحدها تم مساعدة اكثر من (اثني عشر الف شاب على الزواج وصرف لهم اكثر من 76 مليون ريال خلال تسع سنوات 1987 — 1996[1] وتعتبر "الجمعية الخيرية لمساعدة الشباب على الزواج في مدينة جدة اكثر الجمعيات نشاطاً في هذا المجال وميزانيتها لعام (1997 — 1998م اكثر من 12 مليون ريال[2] وفي هذا الصدد خصص احد الامراء جائزة لافضل داعية في "حث الشباب على الزواج" وقد نال الشيخ فريح العقلا امين، عام المشروع الخيري لمساعدة الشباب على الزواج بمدينة جدة وامام وخطيب جامع الامير منصور بجائزة الامير محمد بن الملك فهد لافضل داعية قدم خدمات لمساعدة الشباب على الزواج لعام 2000م[3].

---

[1] مجلة الدعوة. العدد 1603 بتاريخ 7 اغسطس 1997م الموافق 4 ربيع الثاني من عام 418/هـ.

[2] مجلة الدعوة. العدد السابق.

[3] جريدة اليوم 5 فبراير 2001م.

4- ظاهرة التعصب الاعمى

التعصب العرقي والديني، ظاهرة موجودة في غالبية المجتمعات ولكن منذ منتصف القرن العشرين، اخذت تنحصر بسرعة مغذياتها الاساسية :

الايديولوجية والسياسية والاقتصادية والثقافية، لتبقى ظاهرة محدودة ومحصورة بين افراد قلائل او جماعات صغيرة منتشرة هنا وهناك بعيدة عن التاثير في القرار السياسي وفي ادارة المجتمع. ومهما ظهر بقايا هذا التعصب في هذا البلد او ذاك فانه لا يمكن ان يقارن او يصل الى درجة التعصب الاعمى ويعمم على المجتمع ككل كما هو الحال داخل المجتمع الوهابي – السعودي. فالوهابي والتعصب الاعمى " توأمان " لا يستغنى احدهما عن الآخر وعلى هذا الاساس لا نجد رجل دين وهابي – نجدي دون تعصب، حتى اصبحت هذه الصفة احدى الصفات الاساسية المكونة للشخصية الدينية الوهابية،فالتعصب هنا هو المحرك المغذي دوما لروح الاستعلاء والتكبر الفارغ. ولو خفت حدة التعصب، فالوهابي يصبح غيرقادر على السير بالشارع العام حيث يتهيأ له بأنه يسير عاريا !.

واذا كان التعصب الديني او العرقي قد أدى في فترات تاريخية معينة الى " قفزات حضارية " مؤقتا ولو كانت على حساب الشعوب الاخرى: "كالفاشية والنازية" وبعض التعصب الديني يؤدي الى " طاقة ديناميكية " في بداية نشأته – كمسألة الجهاد. ولكن سرعان ما تذوب وتتلاشى بحكم هشاشة البنية التحتية المحركة لمثل هذا النوع من التعصب، وهو أكثر أنواع التعصب ظاهراً في مسار التاريخ قديما وحديثا. اما التعصب الوهابي اليوم، فهو من طينة اخرى، متخلف جدا وفاقد لأية روح ديناميكية ولا يعرف "القفزات "التاريخية او الحضارية، ولا يقرها بل هو يقف ضدها قولا وممارسة، لأنه لا يعترف بدور المعرفة العلمية والعملية، لأنه يمجد المعرفة الدينية – ام المعارف – وتكون افرازات هذا التعصب وباءاً على المواطن والمجتمع. تعصب يحمل بين ثناياه عدة أنماط من التعصب متداخلة ومكونة للشخصية الوهابية، وطبيعيا ان يتعثر وينقطع المسار الطبيعي للمجتمع وتطوره، ويظل يعاني من حالات التشوه لسنين طويلة. ناهيك ان كثيراً من المواطنين هم ضحايا هذا التعصب الديني المتشدد جدا، فالسمة الاولى للفرد المتعصب

مثل" الوهابي "هو أنه لا يطيق النقاش او الحوار ولا يود ان يسمع رأي الاخر، لأنه يعتقد دوما ان رأيه هو الاصح. وبفعل هيمنة ايديولوجية "الوهابي – المنتصر فقد أبناء الجزيرة العربية، احدى خصالهم التاريخية المحبة وروح التسامح، تجاه الاخر. لان الجماعة الوهابية المتعصبة: (لا تغذي شعور التفوق عند افرادها الا لتزيد شعورهم بالاحتقار للاخرين من افراد الجماعات المماثلة، فالاستعلاء عند الجماعة المتعصبة مصحوب دوما باحتقار ضمني أو مكشوف للآخرين، "كل تعصب جماعي يحتاج إلى تغذية وتبرير الا ان هذه الحاجة أقوى في الجماعات التي يرتكز تعصبها على عقيدة ومذهب الفرد المتعصب لا يجهل الحوار فحسب وانما يجهل التطور، لذلك لا يطيق الفرد المتعصب اي تشكيك او اي مراقبة نقدية ولا يتفحص الاعتراضات الموجهة الى رأيه لكي ينقدها ويرد عليها الردود المناسبة"[1]. هذا الوصف الرائع للدكتور ناصيف نصار، ينطبق تماما على كل مواقف وممارسات الوهابيين اليومية اتجاه مواطنيهم والاجانب على السواء ودونكم بعض الأدلة أو الأمثلة الصارخة.

سؤال: هل يجوز قبول الهدايا من الكفار من غير مناسبة وهل يجوز إكرامهم وضيافتهم واستقبالهم؟

الجواب من الشيخ عبد العزيز الشيخ: اما الهدايا فيجوز واما الاستقبال واظهار المودة والمحبة فلا يجوز فهذا ينافي العداوة فانت لا تظلمهم ولكن لا تظهر الانبساط الذي يظهر فيه عدم الكره لما هم عليه من الضلالة[2]

سؤال: من خلال معرفة سماحتكم بتاريخ الرافضة، ما هو موقفكم من مبدأ التقريب بين أهل السنة وبينهم؟

الجواب من الشيخ عبد العزيز بن باز "المفتي العام": التقريب بين الرافضه "الشيعة" وبين اهل السنة غير ممكن لان العقيدة مختلفة فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد الله واخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وانه لا يدعي معه احد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ومن عقيدة اهل السنة، محبة الصحابة: ابو بكر، عمر، عثمان، علي، رضي الله عنهم جميعا

---

[1] الدكتور ناصيف نصار وآخرون "أضواء على التعصب" دار أمواج، بيروت 1993، ص 211.
[2] مجلة الدعوة: العدد 1604 بتاريخ 14 اغسطس 1997م.

والرافضة خلاف ذلك فلا يمكن الجمع بينهما كما انه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين واهل السنة فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة واهل السنة"[1]

كيف يتم الحديث عن "التلاحم الوطني" وعن حقوق المواطن، بجانب هذا الشرخ الطائفي الذي يشق المجتمع عموديا منذ اكثر من قرنين من الزمن –ولا زال ؟ راجع فتوى رقم (3008) وفتوى رقم (574)

3 – سؤال: اثبتت مجلة " المجاهد " بعدم اخراجها للصور الفوتوغرافية وغيرها من الانواع المحرمة. انه يمكن الاخراج المتميز بدون اللجوء الى هذه الانواع المحرمة؟

الجواب من الشيخ عبد العزيز بن باز: لا ريب ان اخراج المجلات والصحف اليومية وغيرها بدون تصوير هو الواجب لان الرسول ﷺ لعن المصورين واخبر انهم اشد الناس عذابا يوم القيامة وهذا يعم التصوير الشمسي والتصوير الذي له ظل واذا كان التصوير للنساء صار الامر اشد حرمة واسوأ عاقبة واكثر فسادا"[2]

4 – سؤال: بعض المحلات.. هداهم الله – يبيعون الثياب القصيرة للبنات اللاتي عمرهن تسع وعشر سنوات فهل هذا يكون تعاونا على الاثم والعدوان ؟ "

الجواب من الشيخ محمد بن عثيمين: بلى – نعم. بيع المحرم حرام لقول النبي ﷺ: ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه"[3]

5- سؤال: ما حكم اكل البيتزا التي قطعت بسكين قد قطع به بيتزا اخرى بها لحم خنزير اولا ثم قطعت التي بها اللحم المباح؟

الجواب من الشيخ محمد بن عثيمين: لا يجوز اكلها اذا تاكدت انه قد قطع بها لحم خنزير.

6- سؤال: اذا مررت بقوم ولا ادري ما يظهر من حالهم هل مسلمون او كفار كيف يكون السلام عليهم؟

---

[1] الشيخ عبد العزيز بن باز : مجموع فتاوي ومقالات "الجزء الخامس ص 164.

[2] الشيخ عبد العزيز بن باز: المصدر السابق، ص 165.

[3] مجلة اليمامه العدد 1334 بتاريخ 5 رجب 1415 هـ

الجواب من الشيخ محمد بن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء: اذا مررت بقوم لا تدري امسلمون هم ام كفار فانظر ما يترجح عندك سواء كان هيئة اللباس او في اشكالهم فان لم يوجد مرجح فانظر الى الاكثر في هذا البلد، إذا كان الاكثر في هذا البلد مسلمين فسلم عليهم وإذا كان الاكثر في هذا البلد غير مسلمين فلا تسلم"[1].

فهل هناك تعصب وتعالي على البشرية مثل هذا؟. وهل يعتقد الشيخ ابن عثيمين ان البشرية ستتعثر في طريقها ويصيبها الهم والغم من عدم القاء الوهابي تحيته على ابنائها؟!

7- سؤال: ارجو منكم بيان حكم بيع المصحف لغير المسلم علما بانه غير مسلم "نصراني"؟

الجواب من الشيخ صالح الفوزان عضو في هيئة كبار العلماء: "لا يجوز تمكين الكافر من المصحف ببيع ولا غيره ولكن اذا رجى اسلامه فانه يقرأ عليه القرآن"[2].

8- سؤال: لو سافرت مع زوج اختي الى خارج مدينة الرياض ومعه زوجته هل يعتبر اثم؟

الجواب من الشيخ ابن جبرين: لا يجوز ذلك. لكن اذا قربت المسافة و لم يكن هناك خلوة ودعت الحاجة الى السفر جاز بقدر الحاجة[3].

9- سؤال: ما حكم سماع الاغاني ،اذا كانت للتسلية ولا تصد عن العبادة وعن الصلاة؟

الجواب من الشيخ ابن باز "المفتي العام" : سماع الاغاني لا يجوز وهو من اسباب مرض القلوب وانحرافها عن الهدى وسماع الاغاني والاذاعات او من الاشرطة وغيرها منكر"[4].

سؤال: انني شاب ولله الحمد محافظ على الصلوات الخمس واحب تأديتها في المسجد ولكن مشكلتي انه يوجد لدي صديق هو محافظ على الصلاة، لكنه يسمع الاغاني

---

[1] مجلة الدعوة "العدد 1418ه بتاريخ 11 سبتمبر 1997 م .
[2] مجلة الدعوه بتاريخ 3 ابريل 1997 م العدد 15.
[3] مجلة الدعوه العدد 1418 بتاريخ
[4] مجلة الدعوه العدد 1418 بتاريخ 28 اغسطس 1997 م.

وثوبه اسفل من الكعبين وتوجد صور مكبرة ومعلقة في بيته وعندما قلت له: ان كل هذا حرام. قال: ان الله يغفر الا الاشراك به سبحانه وتعالى. فماذا علي ان اعمل معه؟

الجواب من الشيخ ابن باز رئيس هيئة كبار العلماء والمفتي العام: مثل هذا الرجل لا ينبغي مجالسته لاصراره على المعاصي واعلانه لها وليس له حجة في قوله تعالى: ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"[1].

هل الجواب هذا فيه شيء من "الحكمة" ام تسرع ام هو التعصب في عينه وتشجيع القاعدة الوهابية على الاقتداء بذلك. الاول "الشاب، يقول مشكلتي، وهي ليست مشكلته، بل مشكلة او بالاصح امر يخص رجل آخر، يعتبره الوهابي صديقا له. وفي الواقع ان الوهابي هذا لا يعرف حق الصداقة، بل كان يتجسس عليه في امور تافهة ومخجلة لصالح قادة الفاتكان الوهابي، ثوبه اسفل الكعبين، معلق صورة في بيته، يسمع الاغاني. وفي الوقت نفسه هذا الرجل محافظ على الصلاة ويتحلى باخلاق عالية، لم يجرؤ الوهابي المخبر، ان يتهمه بشيء في امور دينه او سلوكه العامة او باخلاقه. كيف يحق للشيخ ابن باز، ان يطلب من هذا المتوهب ان يهجر صديقه. واذا طبقنا هذا المقياس على الامة الاسلامية، يجب ان تهجر كلها او تكفر كلها على هذا الاساس. هذا لا يكشف عن مدى بعد التعصب الديني الاعمى لدى الوهابيين فحسب، بل يكشف الى اية متاهات يقودون القاعدة الاجتماعية- الدينية هذه وهل هناك شيء يسعد قلوب قادة البيت الابيض وقادة القصور الملكية وقادة الفاتكان الوهابي مثل هذا جمهور مغيب ومضلل وغارق في اتفه الاشياء الجزئية؟!

---

[1] الشيخ عبد العزيز بن باز: مجموع فتاوي ومقالات متنوعة "الجزء الخامس ص 432.

5- ظاهرة الصرع

اجتاح مرض "الصرع" المجتمع السعودي "المهلهل" مسجلا ظاهرة اخرى ملفتة للنظر لا بخطورتها فحسب، بل بانتشارها الواسع فجأة بين صفوف الجمهور المتوهب بشكل خاص، حيث تسجل المستشفيات اعداد كبيرة تقع سنويا ضحية هذا المرض الذي كان شبه معدوم حتى نهاية الستينات والمصابون به قليلون. وفجأة ارتفع انتشار هذا المرض، مع ارتفاع فيضان البترول والحمى الدينية الوهابية التي شهدها البلد ما بين 1980- 1992م مسجلا رقما مخيفا. اذا صح ما ذكره الدكتور صالح الديب: اربعمائة الف مصاب حتى عام 1996م[1].

ما سر انتشار هذا المرض داخل المجتمع الوهابي وما هي مغذياته؟

الصرع مرض تقليدي معروف منذ القدم، وهو مرض غير معد وحالات مظاهره متعددة وتختلف من شخص الى آخر، ففي حالات اشتداد نوبة الصرع، يقع المصروع على الارض فياخذ جسمه بالاهتزاز والتشنج وبعد فترة ينهض المصروع ويسير في طريقه هادئا، فهو ليس بمجنون ولا متخل عقليا ولا هو فاقد "ذاكرته" ولا يحمل روح عدائية في حالة وقوعه اسيرا لهذا المرض ويفسر الدكتور صالح الديب حالات الصرع قائلا: انه نتيجة زيادة التذبذبات الكهربائية في مخ الانسان. وهنا يطرح السؤال: لماذا ازدادت "التذبذبات الكهربائية في الدماغ"[2] الوهابي او غير الوهابي في هذه الفترة بالذات، لماذا لم تهتز التذبذبات الكهربائية في الدماغ الوهابي في الخمسينيات او الستينيات، حيث النظام هو نفسه والوهابي سيد الموقف في الشارع العام؟

اذا هناك جملة من الظروف والعوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية...الخ استجدت داخل المجتمع الوهابي- السعودي، شجعت على افراز هذه الظاهرة وتطورها.

---

[1] مجلة اليمامة العدد 1394 بتاريخ 24 شباط 1996 م.

[2] المصدر السابق.

القدوة بالنبي ﷺ: الوهابيون اكثر الفرق الاسلامية ادعاءا — واحيانا بالممارسه بانهم مقلدون وسائرون على نهج السلف الصالح في حياهم اليومية: اطالة اللحى الثياب القصيرة، الابتعاد عن بعض الوسائل الحضارية: الراديو، الكاميرا، التلفاز... عدم التصفيق "بدعة" والبعض الاخر يسير مقلدا او متخيلا تفاصيل الحياة اليومية للنبي محمدﷺ وكيفية المشي الى الصلاة... الخ. وبما ان الرسول محمد ﷺ قد أصابته حالة من الخوف والارتعاش أثناء "نزول الوحي" عليه، حسب ما روي عن "عائشة" التبس عليهم الحالة النبوية العظيمة فان المصروعين من الوهابيين وأنصارهم شعروا بالاعتزاز بان هناك شيء هام ومشترك يشدهم باحدى "صفات النبوة" ! وهم بهذا التفسير، يضللون انفسهم ويبعدون الجمهور عن عدم معرفة الاسباب الحقيقية لانتشار هذا المرض في هذه الفترة التاريخية من تاريخ الجزيرة العربية الحديث كما وأنهم بهذا التفسير "يرفعون" من القيمة المعنوية الاخلاقية والفكرية للمصروعين اتجاه أهلهم وأقاربهم وأصدقائهم، لانهم يتحلون بصفة محببة، من صفات النبوة. وبعض المصروعين من "الوهابيين والبتروليين" الواقعين تحت "غرور النسب القبلي او مرض الغرور ونفخ بالذات يفسرون حالات الصرع هذه بانها علامات "النبوة والذكاء والعبقرية"وان مغذيات هذه"النظرة" قوية داخل المجتمع الوهابي. دون أن يتساءل أحدهم بأن "عدد المصروعين أكثر من أربعمائة ألف شخص". لم نسمع بعد لا بمفكر ولا بفيلسوف أو عالم رياضي، فيزيائي......الخ أتحف الجمهور بانتاجه؟! ثم لماذا الصرع يصيب الرجال و لم نسمع عن حالات صرع في النساء ؟

لان المرأة عارفة واقعها المرير ونظرة رجال الدين العدمية لها، فهي لا تطمح بان تكون نيتشه او دستويفسكي، تطمح أن تكون كائن إنساني معترف له بحقوقه وهي مطاليب، تعمق روح التوازن لدى المرأة ولا تغذي فيها حركة "التذبذبات الكهربائية" التي صابت كثير من الرجال اما لضعف نفسي او عصبي أو بفعل صراع داخلي حاد لا يستطيع ان يعبر عنه، امام تحديات التي تحيط به، فيقع في أزمة نفسية حادة ومع تكرارها قد تؤدي إلى اهتزاز تذبذبات المخ الوهابي وغير الوهابي.

6- ظاهرة الخوف

مجتمع الكر والفر، مجتمع الغزوات الداخلية والخارجية والتي لم تتوقف منذ فجر التاريخ وحتى اوائل الثلاثينيات من هذا القرن، فاصبح بهذه الخصله بمثابة الشبح التاريخي المخوف دوما لسكان الحضارات القديمة المجاورة، ناهيك عن الكيانات الحديثة — هذا المجتمع اصبح ابنائه اليوم -وبعد فيضان البترول- يخافون وهم في عقر دارهم، بل ويتوهمون انواع من الخوف في ان واحد-كما سنرى- كيف يفسر هذا في بلد الرجولة والتقاليد الفروسية حتى الامس القريب؟

ما هي اشكال ومظاهر الخوف السائدة اليوم في المجتمع الوهابي-السعودي؟ وهل وصلت الى حالات مرضية ومن المسؤول او المشجع لهذه الظاهرة؟ ان رصد ومعرفة ظاهرة الخوف ومسبباته داخل هذا البلد، تدهش الباحث من اشكال ومنابع الخوف التي اخذت تنتشر فيه والتي تختلف كليه عن مظاهر او اسباب الخوف في هذا المجتمع العربي-الاسلامي او ذاك، ناهيك عن الاختلاف الجوهري لمظاهر الخوف في المجتمعات الغربية. فبقدر ما عرف عن هذا المجتمع الوهابي-السعودي من حالات تفرد وحالات شذوذ - اشرنا اليها في دراستنا هذه- واذا كنا قد ذكرنا قبل عشر سنوات عن بداية ظاهرة الخوف في كتابنا "البترول والاخلاق" وقد فسرنا ذلك "الخوف" عند بعض المواطنين، بانه نابع من احساسهم من الانحسار السريع في القيم والعادات والتقاليد التي شهدها المجتمع بعد "طوفان البترول" ما بين عام 1975 م- 1983 م دون بديل متقدم من جهة وان قلقهم الداخلي نابع أيضاً من "المستقبل" فليس هناك احد ضامن لمستقبله وان " القطرات البتروليه" التي ينعم بها الان قد تنقطع عنه فجاة خاصة وانه يدرك تماما، ان السلطة السياسية التي حرمتهم عقود من السنين من " ثروتهم الوطنية" هي نفسها السلطة القائمة والمتحكم بمصائرهم من جهة ثانية. اما مظاهر الخوف اليوم، فقد تطورت واخذت حالات مرضية خطيرة، اصابت "شخصية ابن الجزيرة العربية" من هنا منبع قلقنا لمعرفة اشكال ومغذيات ذلك الخوف. واذا ابتعدنا عن الخوض في مناقشة " الخوف السياسي" وقمنا بطرح سؤال واحد ومحدد على بعض المواطنين في المشرق او المغرب العربي. ممن تخاف منه اليوم؟ لكانت ايجاباتهم

السوري: اخاف من هجوم اسرائيلي مفاجيء وشرس ومن الجوع

الجزائري: اخاف من طلقة طائشة تصيبني

العراقي: اخاف من "هجوم نووي محدود" بعد ان جربت امريكا معنا كل اسلحتها التقليدية.

المصري: اخاف من هذا الانفجار السكاني ومن انفتاح البلد، على الاقتصاد الامريكي.

اللبناني: اخاف من عودة شبح "الحرب الاهلية" ومن هجوم اسرائيلي مرتقب ...... الخ.

اما الوهابي او المواطنين الواقعين تحت تاثير وتوجيه المؤسسة الدينية- نساءا ورجالا- فالخوف عندهم نابع من تصورات اشياء وهمية وغريبة وعديدة في ان واحد.

الخوف من الجن: يوجد "24 % من السكان يخافون من الجن" وهذا الخوف مصدره الاساسي قادة "الفاتكان الوهابي" حيث ان كل واحد منهم اخذ يتفنن بحديثه او علاقته مع الجن احد كبارهم يعلن بان "جني اسلم على يده" والاخر يتحدث عن ثلاثة انواع من الجن: كافر، ومسلم ومبدع ويحذر المواطنين من الاحتكاك بالجن المبدع او الكافر. وطبيعيا القاعدة او الجمهور الوهابي المخدَّر يتقبل دون مناقشة اطروحات واحاديث علمائه وقد شرحنا هذا في "ظاهرة الجن".

الخوف من الزلازل: هناك 60 % يخافون من الزلازل " في بلد لم يعرف في تاريخه العريق زلزال واحد ومع ذلك فظاهرة الخوف من الزلازل مرتفعة. فمن اين جاء هذا الخوف؟ اليس من الخطاب الوهابي اليومي والموجه للمواطنين خاصة اذا عرفنا هناك اكثر من " الف خطيب وداعية يلقون بخطبهم" النارية" التخوفية على الجمهور في هذه المدينة او تلك دون انقطاع مكررين الاية : واذا زلزلت الارض زلزالها .... فاهتزت اعصاب المواطنين والمواطنات و"تزلزلت " فاذا كل واحد منهم، يتخيل بان "الزلزال" قادم وواقع لا محال له. فالذين يعتقدون بظهور المهدي قريبا، يعتقدون بالخوف من الزلازل.

الخوف من الاماكن المرتفعة: ويشكل "نسبة 62 % وهذا الخوف له مبرراته الحضارية وهو خوف عابر، غير مؤدلج، حيث اعتاد ابن هذا البلد على الشكل الهندسي

المثلث" الخيمة" ثم المربع" البيت" بطابق او طابقين وفجاة بعد فيضان البترول قامت عمارات شاهقة من عشرين طابق واكثر، فهو ما ان يرفع راسه يتطلع اليها يصاب بدوران، فما بالك بالصعود الى اعلى طابق او السكن في داخلها!؟

الخوف من الآذان: من سمع بمسلم يخشى او يخاف من صوت الاذان؟ وهل سجل تاريخ الحضارة الاسلامية او تاريخ الدول العربية- الاسلامية مثل هذه الظاهرة؟ ام انها اقتصرت على المجتمع الوهابي- السعودي؟ وما هي الدوافع الحقيقية لهذا الخوف؟ صوت الاذان نداء اسلامي- عريق، يتكرر خمس مرات في اليوم لاداء فريضة الصلاة في مواعيدها المحددة، ففي كل مرة، يرفع "صوت الاذان" يتجه البعض رأسا الى المساجد لاداء فريضة الصلاة بشكل جماعي والبعض يؤديها في مكان "عمله" او "بيته" وبالتالي سماع هذا الصوت، مألوفا لدى المسلمين، لا يثير لاخوف ولا حزن لانه من صلب اعتقاداتهم، بل العكس عدم رفع "الاذان" في مواعيده المحددة، يثير التسائل والحيرة عند الاتباع المؤمنين. اما في "السعودية" بلد "الغصب" فان "صوت الاذان" اصبح يثير الخوف في نفوس كثير من المواطنين والاجانب، لانه لم يعد من وظيفة الاعتقاد فحسب، بل هو جزء من عمليه"الغصب" اليومي. لذا ما ان يسمع المواطنون والاجانب" صوت المؤذن" سواء في الظهر او العصر او المغرب او العشاء، حتى يهرول البعض نحو المساجد والجوامع تاركين محلاتهم التجارية مفتوحة والبعض يهيم على وجهه في الشوارع والازقة حتى تنتهي وقت الصلاة. واذا استطاع البعض ان يتهرب من "صلاة العصر او المغرب او العشاء الا انه من الصعب التهرب من "صلاة الفجر" خاصة اذا كان ساكن في حي وهابي او في احدى قرى منطقة نجد. فالصلاة هناك "شبه اجباري " وامام المسجد، يقوم- احيانا- باحصاء عدد مصليه. وبما ان "صلاة الفجر" ليس الكل قادر على ادائها جماعيا في المسجد وان الاغلبية يؤدونها في بيوتهم. فان الوهابيون شددوا على ضرورة الحضور لاقامة "صلاة الفجر" لامتحان جمهورهم. وقد اتخذوا اجراءات جديدة، لم تعرف من قبل، مثيرة في نفس الوقت، الخوف والقلق في نفوس كثير من الشباب .

التاكيد على المواظبة على الصلاة : يقول منشور وهابي: ان نسبة المصلين في صلاة الفجر 40% من الحضور"[1] هذه النسبة اقلقت الامام الوهابي في هذه القرية او تلك ولا

[1] مجلة الدعوة – العدد 1290 بتاريخ 5 – 9 – 1991.

تسعد قلوب جهابذة "الفاتكان الوهابي" الذين بدورهم اصدروا "فرمانا وهابيا" يشجع "الزوجة" على مراقبة زوجها هل يصلي ام لا؟ ولها الحق في فسخ عقد الزواج اذا كان زوجها لا يواظب على الصلاة.

فقد اصدر الشيخ ابن عثيمين – من كبار العلماء، فتوى:

اذا كان زوجك لا يصلي فافسخي النكاح[1].

ربط الزواج بالصلاة: اخذ بعض القضاة ومأذوني الانكحة "يطالبون" الشباب الراغب في الزواج، بشهادة من "امام المسجد" يشهد بها على مواظبته على الصلاة.

سؤال: اعمل ماذون انكحة وقد سمعت من بعض المنتسبين للعلم ان عقد الزواج لزوجين احدهما لا يصلي باطل ولا يجوز العقد لهما فهل هذا صحيح؟

وماذا اعمل اذا طلب مني عقد قران؟ هل اسال عن حال الزوجين من ناحية صلاتهما؟ ام اعقد القران دون السؤال؟

الجواب من الشيخ عبد العزيز بن باز: بسم الله والحمد لله... اذا علمت ان احد الزوجين لا يصلي فلا تعقد له على الاخر لان ترك الصلاة كفر لقول النبي صلى الله عليه وسلم: بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة"أخرجه مسلم في صحيحه[2].

اما الشيخ ابن عثيمين فيقول: تارك الصلاة لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يصح ان يتزوج ولا يرث المسلم"[3] بفعل هذه "الفتاوى" تشجع" ائمة المساجد" بطرح وتطبيق ثلاثة اساليب لحث الشباب لاداء صلاة الفجر:

النصح: وذلك بارسال بعض الكتيبات والكراريس التي تتحدث عن اهمية وفضل صلاة الفجر"

اسلوب الترهيب والترغيب: وذلك "في مخاطبة والد الشخص او اقاربه او مديره في العمل لمعرفة اسباب التكاسل"

---

[1] مجلة الدعوة. العدد 1329 بتاريخ 13 – 2 – 1992.
[2] مجلة الدعوة. العدد 1466. الخميس 7 جمادى الاخرة 1415 هـ. 15 نوفمبر 1994 م.
[3] مجلة الدعوة. العدد 1329. بتاريخ 13 – 2 – 1992 م.

العقاب: يقول المنشور الوهابي: واذا لم يعد هذا الاسلوب بالغرض يتم رفع اسمه الى الهيئة- المطاوعة- لتتخذ حياله الاجراءات"[1] اي السجن والجلد. ساعدت هذه الاجراءات وتلك الفتاوي على ارتفاع ظاهرة "الخوف والقلق بين صفوف الشبيبة والاجانب. وهو خوف او قلق له مبرراته: عقاب، فسخ عقد الزواج، حرمان من الارث عدم الزواج، لا يدفن في مقابر المسلمين- لو طبقنا هذا "النص الوهابي" على العالم العربي والاسلامي لادين اكثر من 95 % من المسلمين ولاجبروا على " فسخ عقود زواجهم.......الخ.

من هنا نفهم مشاعر ذلك المواطن الذي صرح: بانه يحس بضيق شديد وضجر طوال اليوم اذا فاتته صلاة الفجر ". لماذا الضيق والضجر، ما دام هو مسلم صادق، تخلف عن الصلاة، ليوم او يومين؟ لأنه يفهم عقلية الوهابيين ويعلم ان امام المسجد، يرغب دوما مشاهدته ليؤدي الصلاة خلفه.

ومع دخول التكنولوجيا الى المساجد وانتشار" مكبرات الصوت" ولقصر المسافات بين مسجد ومسجد، فما ان يحين موعد أذان الفجر، حتى تنطلق" مئات مكبرات الصوت في ان واحد، مولدين ازعاجا كبيرا للاطفال والكهول ......الخ في وسط ليل هادىء وسماء صافية، مما دفع باحدى " الاخوان المصرين ان يصف هذه اللحظة قائلا: لقد امطرت السماء اذانا ".

الخوف من المطوع: هذا الخوف ظاهري ولكنه مع مرور الزمن والسنين تجذر في الواقع وفي نفوس الرعية والاجانب- المقمين في البلد- حملة رجال دين من نوع آخر، لهم خصائص وصفات منبوذة: عدم الرحمة، عدم اللياقة، خشونة في التعامل ولا يتمتعون بأي حس حضاري- إتجاه الآخر. يطلق عليهم بـــ"المطاوعة-ظلما" أي العاملين في جهاز "هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر": ومهمة المطوع في حركته اليومية في الشوارع والاسواق والازقة، هو نشر الخوف والهلع في نفوس المواطنين والاجانب[2] باسم "النهي

---

[1] مجلة الدعوة. العدد 1290 بتاريخ 1991/9/5

[2] سألت احد الاجانب المقيمين في "السعودية" منذ زمن طويل: ما الذي يلفت نظرك في هذا البلد؟ أجاب: شيئان مخيفان: المطوع والمرأة، الاول يثير في الخوف في مشاهدته والثاني يثير في الآسى والحزن بما هي عليه. فقلت له: الثاني ضحية الاول والسلطة.

عن المنكر"؟ فهو لا يمثل الوجه الظلامي للمؤسسة الدينية الوهابية والنظام فحسب بل هو اداة قمع يومية لا تتوقف، ينهي ويأمر ويعاقب حسب مزاجه، دون تدخل السلطات، فوجوده فقط في الشارع يدل على تعليق كامل للحريات الشخصية لانه شر يتربص للجميع، فما ان تشاهده المرأة، واقفا لها بالمرصاد عند مداخل الاسواق والحدائق العامة...الخ. سرعان ما يصيبها مقص ورعشة فهو "شر" متربص بشوق لها وما ان يقبل "أحد هذه الكائنات على مجموعة من الشباب واقفين في الشارع، سرعان ما يتهامسون فيما بينهم "جاء الشر فيتحرك بعضهم خوفا من همه "المغازلة" والخوف من المطوع لا يعني الخوف من رجال الدين بشكل عام. فهؤلاء موجودن منذ فجر الاسلام ويسيرون في الشوارع والاسواق إسوة بالاخرين. ولا هو خوف من شرطي او رجل أمن، لان المواطن يعرف نفسه بعيدا عن السياسة وبعيدا عن التآمر. اما مشاهدة المطوع في الشارع او الاسواق فهو شيء آخر، لان المواطن او "المواطنة" لا تعرف من اي زاوية سوف يهجم عليها.

اضافة انه يحمل "صك شرعي" من العرش والفاتكان الوهابي، بان يؤدي الجمهور حسب الوصايا الوهابية. ولشدة ما عانى منه المواطنون، أطلقوا عليه عدة اسماء عدة ألقاب، برج مراقبة متحرك "محكمة كاملة متنقلة" رجل الغضب الصارم، أقبل الشر "جند السماء" أطلقه السلك الدبلوماسي في جدة عام 1955م[1].

الخوف من حوادث السيارات: ليس غريباً أن تأتي نسبة الخوف من حوادث السيارات أعلى نسبة 78% لكثرة الضحايا التي تقع سنوياً وبوتيرة متصاعدة، مما جعل "السعودية" تتصدر بلدان العالم في ضحايا السيارات. ففي العشر سنوات الأخيرة 1990 — 2000م سقط من الضحايا ما يعادل "قنبلة ذرية" كالتي أسقطتها أمريكا على "أزاكي أو هورشيما" في اليابان. ففي كل سنة يقع تقريباً "أربعة آلاف قتيل"[2] أي ما يعادل "أربعين ألف ضحية خلال العشر السنين المنصرفة والقنبلة الذرية الثانية بدات تباشيرها[3].

[1] مفهوم "المطوع" اليوم يختلف عن مفهومه في السابق، ففي السنين الماضية قبل "توحيد البلد" يقوم بعمله لوجه الله أبتغاءً الثواب، اما اليوم فهو موظف يتقاضى راتبا كبيرا وسلوكه العام هو ازعاج المواطنين والشراهة في حب المال والوقوف ضد عملية التطور والتقدم.

[2] مجلة اليمامة، العدد 1577، بتاريخ 16 أكتوبر 1999م.

[3] مجلة اليمامة، العدد 1644، بتاريخ 24 فبراير 2001م، "ذكرت 4320 حالة وفاة في السنة".

فهل يعقل هذا وكيف السكوت عن هذه المجزرة وعدم معرفة السبب الحقيقي وراء هذه الكارثة؟

يفسر البعض بأن هذه الأحداث المؤلمة نابعة من القصور بالوضع المروري، إضافة إلى السرعة والتهور، هذا الاتهام السريع لا يحل المشكلة ولا يساهم في معرفة السبب الحقيقي وراء هذه الضحايا؟ فالشوارع على أحدث طراز والإشارات المرورية متينة في كل مكان ومهما ظهرت نواقص وسلبيات في الوضع المروري فإنه لا يبرر لوحده هذه المجزرة التي تقع سنوياً. نعم هناك عوامل عديدة مرتبطة مع بعضها: السرعة، عدم التقيد بالإشارات المرورية (أكثر من مليونين وسبعمائة ألف مخالفة عام 1999م)، كثرة السيارات في البلد "سبعة مليون سيارة"، فقدان الحس الحضاري – فالسياقة: ذوق وفن. فأين نجد الذوق والفن عند الوهابي وهما بدعة؟ كل هذه العوامل معروفة ومدروسة من قبل المسؤولين في الدولة وفي دائرة المرور، ومع ذلك المجزرة مستمرة لغياب دراسة عامل هام وأساسي، لم يفطن له أو لم يخطر بعد ببال المسؤولين المختصين بدراسة حوادث السيارات في المملكة إلاَّ وهو عامل "الهم الوهابي" المكبوت والمتغلغل في نفوس المواطنين وأثره الحاسم على هذه الحوادث – كما سنرى.

الهم الوهابي: لم يؤخذ بعد "الهم الوهابي" كعامل هام – إذا لم يكن الأهم – وراء كثرة الضحايا "حوادث السيارات" لا من قبل دائرة المرور ولا من قبل الباحثين والدارسين لأسباب هذه الفواجع المؤلمة والجماعية. فالمواطن الذي توفرت له حياة مرفهة نوعاً ما، شعر من خلالها بالزهو والافتخار ولكن سرعان ما اكتشف زيف تلك الحياة فخاب أمله، فحياة الترف هذه جافة ومحاصرة ومطوقة من جميع الجهات بسلسلة من المحرمات لم تمنحه طعم الحياة بشكل طبيعي، لكونه خاضع – رغم أنفه – إلى رقابة وغير قانونية وغير إنسانية، تثير الأعصاب ليلاً – نهاراً إلا وهي الرقابة الدينية بالمفهوم الوهابي تجعل المواطن بالضرورة يشعر بقلق دائم وإنه إنسان فاقد ليس "لحقوقه" بل "لكرامته: فينطلق بسيارته الفاخرة والتي تشكل عالمه الخاص والصغير وينقطع مؤقتاً – عن العالم الوهابي الذي يطارده، فتنطلق معه أفكاره وهمومه ومعاناته الذاتية ومخاوفه خاصة – إذا كان شارباً قدحاً من "الخمر الوطني أو الويسكي" فإن مخاوفه الداخلية تزداد فتأخذ أبعاداً أخرى حيث تدور في رأسه "صور الرعب الديني – الوهابي: جلد، سجن، فصل من العمل، التشهير الاجتماعي، فيزيد من السرعة أكثر من اللازم كلما لمح حركة مشبوه

"للمطاوعة" في هذا الشارع الرئيسي أو ذاك أو عند النقاط الاستراتيجية للمراقبة. ففي هذه اللحظة ترتفع صور "المطاوعة الشاحبة في ذهنه وتلاحقه سواء – لتفتيش سيارته أو لشم رائحة فمه – هل فيها بقايا منكر حسب تعبيرهم – وطبيعياً – والحال هذه – تضعف عنده روح الانتباه لحركة السير وعدم التقيد بقواعد الإشارات المرورية، فهو يفكر كيف الخلاص والإفلات من قبضة رجال الدين له. وما هي إلا لحظات أو دقائق معدودة إلا والحادث المأساوي قد وقع. هرب من قبضة "المطاوعة" فانتقل إلى المستشفى أو إلى المقبرة. هذه ليست حالات استثنائية خاصة إذا عرف القارىء أن "السعودية تحتل المرتبة الرابعة" في العالم في استهلاك "الويسكي" عرفنا سبب إقبال وانتشار الكحول والإدمان عليه بين صفوف الشعب وبالتالي عرفنا النسبة العالية لشاربي الخمر وهم يقودون سياراتهم سواء في الليل أو في العطل الرسمية. صحيح ليس هناك – للأسف الشديد – مصدراً رسمياً موثقاً يخبرنا عن النسبة المئوية لهذه الحالات بين عدد ضحايا حوادث السيارات لأن "التابو الوهابي" لا يسمح بهذا – حتى لا تهتز صورة المجتمع الوهابي الفاضل في أذهان المواطنين والمواطنات ولكننا مقتنعين بأنها نسبة ليست بقليلة. وبعض الحوادث المؤلمة يكون رجال الدين هم السبب الأول والأخير في وقوعها، مثال: شاب في عز شبابه يقود سيارته الفاخرة وبجانبه صديقته التي تعرف عليها – بشق الأنفس – يحس فجأة بمراقبة رجال الدين، وإن سيارتهم أخذت تقترب منه لاكتشاف الأمر، فينطلق بسيارته مثل "الصاروخ" معتمداً على الله وعلى نفسه طلباً للنجاة والستر. فالعقاب هنا إضعاف العقاب الأول، خاصة إذا كان معه إمرأة محصنة، والنجاة هنا المزيد من السرعة حتى الوقوع في الحادث المؤسف.

الخوف من إنحراف الأبناء: شعور الأباء بالقلق او الخوف المتزايد من "إنحراف الأبناء" بشكل "مدمر شعورا عاما عبرت عنه غالبية المجتمعات المعاصرة، وشكل احد السماة السلبية البارزة "لحضارة العصر" ولكن تبقى النسب محدودة ومتفاوتة في درجة الانتشار ودرجة العلاج بين هذا المجتمع او ذاك. لذا لم نسمع لا بصرخات عاليه مستغيثه، انطلقت من احشاء هذا المجتمع العربي- الاسلامي او ذاك ولا بمسيرات شعبية ضخمة عبرت عن قلقها على ما يجري من انهيار خلقي وإنحراف خطير في السلوك اليومي للجيل الناشئ، بل جاءت هذه الصرخات العالية، من بلد سلفي محافظ في "عقيدته ونهجه" من بلد يعتبر من ابرز البلدان في العالم، ناقدا بشكل عنيف وغير علمي "للمجتمعات الغربية"

متهما أياها بالانحلال الخلقي وبإنحراف الشبيبة وعدم اظهار المسؤولية وها هو اليوم، المجتمع الوهابي-السعودي، يقع فريسة او بالاصح يعاني من شدة إنحراف الأنباء وتزايد قلق الآباء المحافظين على أبنائهم وبناهم. حيث نجد ان 72% من الأباء عبروا عن خوفهم من انحراف أبنائهم. ولو جاءت هذه النسبة العالية من بلد مثل :الفيليبين، التايلند، البرازيل...الخ. ربما لهان الامر، وفسر البعض، بسبب قساوة الظروف الاقتصادية وتدني دخل الفرد وانتشار الفساد والرشوة مع وجود قوي "لعصابات المافيا" التي تتعاطى تجارة المخدرات والدعارة وتزوير العملات..الخ.

أما أن تأتي هذه النسبة المرتفعة والمخيفة، من بلد غني جدا بثروته البترولية بلد "القرآن والعقيدة" حيث توجد "مؤسسة دينية واسعة الانتشار، والمشرفة الوحيدة على القيم الروحية الاخلاقية له امر خطير جدا؟ لا يعبر عن انحراف بسيط داخل "النظام والمؤسسة الدينية" فحسب، بل عن خلل اساسي في التركيبة السياسية والاجتماعية وفي البرامج الثقافية والروحية.

ان تصريح 72% من آراء الأباء المحافظين، يدل على فشل رجال الدين في برنامجهم الثقافي والروحي وفي قيادة المجتمع. يدل على إفلاس كامل لما قدمه "الفاتكان الوهابي" من حلول وبرامج لبناء جيل ناشيء يتحمل المسؤولية التاريخية، فهل يجرؤ وهابي او "مسعود" على قول الحقيقة في اسباب الانهيار الخلقي وعن انحراف الأبناء[1].

هناك ثلاثة قوى اجتماعية لها مصلحة عليا في تحطيم الجيل الناشيء وتشويه الجيل الحالي حفنة من بعض الامراء الكبار او الصغار المتاجرين بمادة "المخدرات" وحفنة من اللابسين ثوب الدين والمتواطئين مع الامراء السعوديين، وحفنة من كبار الطبقة البرجوازية "المخصية" من العرش والفاتكان الوهابي، والتي تتوهم — لعجزها في تشكيل احزابها السياسية، بأن عبر نوافذ "الإنحراف وانتشار المخدرات" تجد لها مستقبلاً سياسياً، أفضل و"مضمون" داخل المجتمع السعودي-الوهابي.

وأمام اتساع "ظاهرة الخوف؟ داخل المجتمع الوهابي، وتسأل المواطنين عن الاسباب الحقيقية لهذا "الخوف" اندفع بعض الدعاة الوهابيين الى اعطاء "تفسيراتهم" لهذه الظاهرة،

---

[1] في كتابنا "البترول والاخلاق" شرح واف عن الانهيار في القيم الروحية والأخلاقية.

وهي في اساسها تفسيرات لم يسمع بها عاقل من قبل ولا تمت بصلة في جوهر الموضوع "الخوف الاجتماعي" مما يدل على مدى اغتراب الوهابيين عن واقعهم يقول الشيخ الضاحي:

هناك أربعة انواع من الخوف.

الخوف من سبع او عدو او نحو ذلك فهذا الخوف لا محذور فيه شرعا.

خوف بدعي كترك من الواجبات الشرعية كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفا من الناس، فهذا محرما شرعا[1] اي بمعنى اما ان تكون منسجما مع حركة واطروحات "المطاوعة الوهابيين" والا انت عندك "خوف بدعي"؟

خوف شركي: كأن تخاف من مخلوق خوف سر، بان يصيبه مرض و فقر بقدرة ذلك المخلوق ومشيئته فهذا شرك بالله".

خوف من الله عز وجل ومن وعيده، فهذا خوف "العباده" وهو افضل مقامات الدين واجلها وانفعها للقلب"[2].

---

[1] مجلة اليمامة، بتاريخ 21 مارس 1998.

[2] مجلة اليمامة المصدر السابق.

7- ظاهرة العميان

هل هي صدفة ام حكمة سعودية؟

مضى اكثرمن سبعين عاما ومنصب "قاضي القضاة والمفتي الاكبر في "المملكة" يحتله رجل دين وهابي أعمى. ترى هل هذه صدفة ام هناك "حكمة" سعودية فرضتها عليهم مصالحهم؟

ليس في الأمر حرجا ولا غرابه، ان يحتل رجل دين أعمى أعلى المناصب الدينية او الثقافية، فتاريخنا العربي الاسلامي والمعاصر قد عرف العديد منهم والذين تميزوا بقوة الذاكرة وحدة الذكاء وبرعوا في مجالات عديدة، دينية، فقهية، أدبية، فكرية. ولكننا هنا أمام "ظاهرة" محددة، تدفعنا على التساؤل بالحاح وتحثنا على البحث في الوقت نفسه عن الاسباب المنطقية الكامنة وراء هذه "الظاهرة". لماذا منصب "المفتي الاكبر" في المجتمع الوهابي- السعودي يحتله رجل دين وهابي أعمى، منذ عام 1931م الى 2000- ولا زال؟ فهل هناك سياسة "سعودية" سرية ومدروسة مسبقا ضمن وسط كبار الامراء السعوديين، تدفع بهم دوما على ترشيح وترجيح هذا المنصب الديني الاعلى الى رجل دين وهابي - نجدي أعمى؟

الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ - أعمى- أحتل منصب قاضي قضاة منطقة نجد وامام المسجد الكبير وامام العيدين منذ عام 1931م، ثم اصبح "بابا الوهابين" منذ عام 1948م وحتى وفاته عام 1969م.

الشيخ عبد الله بن حميد - أعمى- عضو هيئة كبار العلماء ورئيس المجلس الاعلى للقضاء حتى وفاته عام 1983م.

الشيخ عبد العزيز بن باز - أعمى- رئيس هيئة كبار العلماء، والمفتي الاكبر حتى وفاته عام 2000م.

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ - أعمى- المفتي الاكبر حاليا.

من خلال البحث والتنقيب، يظهر أن اختيار رجل دين أعمى لهذا المنصب الرفيع لم يكن صدفة ولا يتوقف عند سعة العلوم الدينية والفقهية عند هذا الشيخ او ذاك، بل ان "فقدان البصر" شرط هام وحساس بالنسبة "للعاهل السعودي، في تزكية هذا العالم او ذاك الى هذا "المنصب الديني الرفيع" لانه أضمن لهم واستر لحالهم. فالذي يسمع غير الذي يرى. وقد وضع اللبنة الاولى لهذا الشرط، هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل السعود، لأسباب شخصية وسياسية ونفسيه، قبل ان تكون دينية ثم سار على هذا النهج ابناؤه من بعده حتى وقتنا الحاضر.

ما الهدف من التمسك بهذا الشرط؟

لاقى الملك عبد العزيز، الامرين من قوة مراقبة كبار رجال الدين الوهابيين ما بين عام 1914م–1930م فحصلت عنده عقد نفسية، جعلته يهاب من رؤية رجل دين قوي وبصير العين وعلى رأسهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ - المرجع الديني الاعلى للوهابيين ما بين عام 1884م- 1921م والملك عبد العزيز لا يخفي مشاعره هذه، فقد عبر عنها بنفسه قائلا: عندما اشاهد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في شوارع الرياض يتصبب العرق من أبطي رهبة[1]. هذه الهيبة او الخشية، ليس فيها مبالغة من الملك الشاب عبد العزيز، اتجاه شخصية الشيخ عبد الله لعدة أسباب.

معرفة الملك عبد العزيز آل السعود، بمكانة الشيخ عبد الله آل الشيخ الدينية والإجتماعية في منطقة نجد لأنه -أي الشيخ- هو الذي قام بالصلح بين آل السعود وبين آل رشيد عام 1885م وكان الملك عبد العزيز عمره آنذاك حوالي عشر سنوات.

- إتفق الشيخ عبد الله مع الملك عبد العزيز على احياء الحركة الوهابية من جديد عام 1902م فاصبح الشيخ هو المنظر والمؤدلج للملك الشاب وللدعوة الدينية حتى وفاته عام 1921م.

حافظ الملك على حضور دروس الشيخ الدينية والفقهية، فلا يصح ان يكون اماما للمسلمين — الموحدين- دون معرفة أولية دينية فقهية. وهكذا اخذ الملك عبد العزيز يأتي الى بيت الشيخ عبد الله مرة في كل أسبوع لحضور دروس الشيخ عبد الله حتى عام

[1] خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية، المجلد في عهد الملك عبد العزيز – دار القلم – بيروت 1970الجزء الثاني 637

1916م ولما مات الشيخ عبد الله عام 1921م تنفس الملك وكبار الامراء الصعداء. فقد شعر الملك بشكل خاص، ان صخرة كبيرة ازيحت عن رأسه او صدره وادرك بعدها بأن وجود رجل دين وهابي قوي وبصير العين في هذا المنصب الديني الحساس لا يمكن ان يتلائم ومصالح العائلة السعودية المالكة، خاصة وان الملك عبد العزيز يعرف جيدا سلوك اخوانه وخاصة اولاده والذي يصطدم –دوما– مع التعاليم الدينية – الوهابية المتشددة، فتفحص في وجوه كبار العلماء المحيطين به، فوجد بعضهم لا يقل هيبة عن الشيخ عبد الله، فوضع "الفيتو" خوفا من تكرار تجربة الشيخ عبد الله، فهو وان صمد امامها مع تحفظ فكيف سيصمد ابنائه الضعفاء، فاختار بهدوء من وسط العلماء، رجل دين شاب أعمى، لم يتجاوز– آنذاك– السابعة والعشرون من عمره وهو الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وسط دهشة بعض العلماء، وبرر الملك اختياره هذا قائلا: ان الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، المرجع الديني الأعلى أوصاه خيرا بهذا الشاب الذي سيصبح نابغة عصره. وبفعل الاحترام والتقدير الكبيرين الذي يكنه كبار رجال الدين الى "مرجعهم الاعلى" التزموا بهذه الوصية. فقطع الملك الطريق امام صعود شخصية دينية قوية لهذا "المنصب" فاسحا المجال امام صعود وتألق هذا الشاب الاعمى. وقد حملت التطورات العسكرية والسياسية في الجزيرة العربية. ما بين عام 1922م – 1927م ظروف ملائمة للملك عبد العزيز آل السعود في اختيار ودعم الشخصية الدينية التي يطمئن لها اكثر. فقد تم فتح مكة اواخر عام 1924 ثم مدينة جدة عام 1925م واخيرا سقطت "المدينة المنورة" عام 1926م. وعين الشيخ عبد الله بن بليهد "قاضي القضاة في منطقة الحجاز من 26-1928م. وهو الذي يُعتبر من اكبر الشخصيات الدينية الوهابية آنذاك بجانب الشيخ سعد بن عتيق. وعمر بن سليم، ولكن الشيخ ابن بلهيد، لم يستمر في منصبه الجديد غير سنتين، فخاف الملك عبد العزيز من تكرار "شخصية عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ" فطلب من الشيخ "ابن بليهد" بالذهاب الى المنطقة الشمالية "حائل وجبل شمر" لحل المشاكل التي برزت هناك. واحل محله الشيخ عبد الله بن حسن ال الشيخ المدعوم من الملك عبد العزيوز فاستمر بهذا المنصب الحساس من عام 1928-1958م. وما ان بدأ بعض قاده رؤساء القبائل باظهار تذمرهم وانتقادهم لسلوك وسياسة الملك ما بين عام 1927م – 1929م حتى وجد الملك عبد العزيز الفرصة المناسبة، لعرقلة الطريق امام بعض الشخصيات الدينية القوية لاحتلال هذا المنصب الديني الحساس "المرجع الديني الاعلى" أمثال: الشيخ سعد بن عتيق، الشيخ

عبد الرحمن البراك، عمر بن سليم...الخ مشجعا بتعيين الشاب الشيخ محمد بن ابراهيم، عضوا في القيادة الجماعية، منذ عام 1926م وهو لم يتجاوز، السابعة والعشرين من العمر. وظهر اسمه ضمن القيادة الدينية الجماعية في مؤتمر عام 1927م بجانب ابيه والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ. وفي عام 1931م اصبح الشيخ محمد بن ابراهيم، امام الجامع الكبير وخطيب وامام العيدين. وبدأ الملك عبد العزيز آل السعود يحضر خطبة الجمعة او صلاة العيد وراء امام رجل دين لا يستطيع التفرس في عيونه او عيون كبار الامراء السعوديين ليقرأ بما فيها، لكونه فاقدا للبصر فخفت "عقد الملك" النفسية تدريجيا وشعر بشيء من الارتياح ومع مرور الزمن تمركز الشيخ ابن ابراهيم فاصبح قاضي القضاة في منطقة نجد، ثم مفتي الديار السعودية عام 1958م حتى وفاته 1969م وقد جمع في حياته 18 منصبا دينيا واجتماعيا وتربويا: اهمها: المرجع الاعلى للقضاة ورئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، والرئيس العام لتعليم البنات...الخ وقد احتل الشيخ عبد الله بن حميد – وهو رجل دين اعمى – منصب رئيس المجلس الاعلى للقضاة منذ عام 1960م حتى وفاته عام 1983م. وهو من كبار العلماء الذين وقعوا على عزل الملك سعود بن عبد العزيز عام 1964، وظل منصب رئيس المجلس الاعلى شاغرا لمدة اثني عشر عاما حتى تم تعيين الشيخ صالح اللحيدان نائب الرئيس بالنيابة رئيساً للمجلس عام 1995م. وبموت الشيخ محمد بن ابراهيم – المفتي الاكبر – عام 1969م حل محله تدريجيا الشيخ عبد العزيز بن باز – وهو أيضا رجل دين اعمى – مدعوما من الملك فيصل وكبار رجال الاسرة السعودية المالكة- والشيخ ابن باز من كبار العلماء الوهابيين واحد الذين وقعوا على عزل الملك سعود بن عبد العزيز عن العرش في شهر اكتوبر من عام 1964م ومنذ بداية السبعينيات اصبح رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة والرئيس العام لادارات الافتاء والارشاد ورئيس هيئة كبار العلماء ثم "المفتي الاكبر" حتى وفاته عام 2000م.

وأخيرا وقف الملك فهد بن عبد العزيز وكبار الامراء السعوديين بجانب رجل دين أعمى، ليحل محل الشيخ إبن باز، الا وهو الشيخ عبد العزيز آل الشيخ. وقد وافقت "هيئة كبار العلماء" على انتخاب "الشيخ عبد العزيز آل الشيخ" المفتي الاكبر" بالرغم من انه "اقلهم كفاءة واصغرهم سنا ابتعادا عن شق عصا طاعة ولي الأمر.

ومن الفتاوى الغريبة التي اصدرها هذا "المفتي الجديد" بعد أن توالى هذا المنصب- فتوى عدم انارة المقابر في الليل واجبار وزير الكهرباء على تقيد وزارته بهذه الفتوى.

ترى اذا مات هذا الشيخ الاعمى ولم يجد الامراء السعوديون رجل دين اعمى ضمن وسط هيئة كبار العلماء ماذا سيفعلون، سينتخبون هذا العالم ام ذلك ام ينتهي ارتباطهم السياسي بالدين؟



الجمعة الوهابية في الذاكرة

"خير يوم طلعت فيه الشمس هو يوم الجمعة" حديث شريف.

"كل يوم يمر علي هنا في السجن، هو يوم خوف وخصوصا يوم الجمعة، لانه اليوم الذي ينفذون فيه الاعدام في المحكوم عليهم وانا في خوف دائم لانني اخشى ان يكون دوري قد حل. وقد قطعت رأس "سجين" كان معي في يوم الجمعة من شهر مايو- ايار 1996[1] وسجين آخر يقول: اعدم جيمس رينبتو يوم الجمعة- حزيران 1996م وقطعت رأسه[2].

الجمعة: هي راحة المسلمين وابتسامتهم الجماعية الاسبوعية، ففي هذا اليوم، تتوقف اراديا حركة البيع والشراء- الا ما ندر- فتتعطل المدارس والدوائر الحكومية والشبه حكومية والشركات...الخ. وتكثر بالمقابل "المواعيد" وحركة الزيارات بين الاهل، الاقارب والاصدقاء وتتجدد الروح في مجالس السمر ناهيك عن "النوادي وعلب الملاهي الليلية. اما في "السعودية" وبفعل قوة وانتشار الاخطبوط "للفاتكان الوهابي" فقد حول رجال الدين الوهابيين وخاصة "المطاوعة" يوم الجمعة الى يوم بارد وحزين تارة، وتكثر فيه صور الارهاب التي لا تمحى من الذاكرة ابدا تارة اخرى. ففي عصر يوم كل جمعة، تبرز الاحقاد والعقد الوهابية الدفينة على الانسانية ومسارها الصاعد حيث يشاهد المارة مناظر حية من صور موحشة ومرعبة تنطلق من احشاء الماضي السحيق: سياف، رأس مقطوع شاب ممدد على الارض ليجلد واخر تبتر احد اعضاءه...الخ بجانب تكنولوجيا القرن الواحد والعشرين: سيارة مرسيدس او الشبح، تلفون نقال، باتصال مستمر مع "المركز الديني الوهابي" ليخبرهم عن سير ونجاح العملية وعن بعد تقف طائرة هيلكوبتر للنجدة. اية مشاهد متناقضة واية مأساة؟ هذه المشاهد اللانسانية تتكرر اسبوعيا – تقريبا- في هذه المدينة او تلك. فالجمعة في هذا البلد الاسلامي تعكس – بلا لبس- عصارة ارهاب رجال

---

[1] سجين فليبيني في سجون "السعودية" من تقرير "منظمة العفو الدولي".

[2] منظمة العفو الدولي لعام

الدين الوهابين واستهتارهم الاسبوع بحق الشعب والاجانب المقيمين هناك. حيث يسيطر على سماء المجتمع شريط أحمر بفعل الدم المنثور في الساحات العامة للإعدام واسود نتيجة انعكاس ذلك الدم المسفوح في نفوس المشاهدين والاهل والاصدقاء وانصار حقوق الانسان، الذين يشعروا فجأة بتحول "يوم راحتهم" الى لوحة سوداء قاتمة تخزن ذكريات أليمة لا تنسى ابدا. هذه المشاهد العلنية المرعبة ليست حدثا عابرا ولا هي نزوة "حاكم او امير او قاضي" متسرع في تنفيذ اصدار حكمه، بل هي مشاهد تتكرر اسبوعيا "حيث الرؤوس المفصولة عن اجسامها ترى علنا في الساحات العامة في هذه المدينة اوتلك. ويكفي الاشارة الى ما ذكرته المصادر الرسمية، بان هناك (560 حادثة قطع رأس- الرقم الحقيقي اكثر من هذا و80 حالة بتر اعضاء تمت في الساحات العامة بعد صلاة عصر يوم الجمعة في مختلف مدن المملكة ما بين عام 1990–1996م اي معدل "قطع رأسين في عصر كل يوم جمعة وهي اعلى نسبة اعدام في العالم، بتهم غير سياسية- كما تكشف هذه الارقام لا على وحشية اساليب "الفاتيكان الوهابي" فحسب، بل على انه منهج ومعتقد لا يساوم عليه الوهابيين. ومع ذلك يترنم النظام والمؤسسة الدينية بمقولتهم المعتادة " بنعمة الامن والاستقرار الاجتماعي".

من هنا تحمل الذاكرة الجمعية صور مرعبة عن يوم الجمعة الوهابي، مما ولد شعورا لدى كثير من المواطنين، بأن هناك مفهومان ليوم الجمعة:

المفهوم التاريخي للجمعة عند المسلمين قاطبة بانه يوم سلام وخالٍ من المظاهر المقززة والمفهوم الوهابي للجمعة يتجلى بالعقاب الصارم والرقابة الشديدة على المواطنين والاجانب حيث يختزل الزمن والتاريخ في الساحات العامة، ليجد المواطن والاجانب المقيمين في البلد، بأنهم يعيشون في صلب القرون الوسطى ايام تحكم رجال الكنيسة الكاثوليكية وايام بعض سلاطين المسلمين حيث يعلقون رؤوس المتمردين وغيرهم على مداخل الابواب الرئيسية للمدن.

واخيرا ضمن هذه الاجواء من الارهاب الديني غير مقيد، يجب فهم حقيقة ما يعانيه اولئك المساجين داخل سجون المملكة — وما اكثرهم- من امراض وعقد نفسية تفوق التصور، بل تفوق بكثير ما اقترفوه من ذنب، بفعل المعاملات اللانسانية التي يعاملون بها. فما ان يقترب موعد يوم الجمعة حتى ترتفع ضربات قلب هذا السجين او ذلك ويرتفع بالمقابل ضغط الدم، ويلعن الساعة التي جاء بها الى هذا البلد، فتسيطر عليه حالات كآبة

مميتة، فتقل شهية الاكل ويزداد الارق والاضطرابات النفسية، ولا يتنفس الصعداء حتى يمر عصر يوم الجمعة الوهابي بسلام ليتحسس رقبته والاخر يتحسس ضلوعه بانه لم يجلد بعد.

وهكذا يظل السجين- غير السياسي- في سجون المملكة معلقا بين الخوف الدائم من قساوة حكم القاضي الوهابي وبين الاهمال وكأنه طرد"صندوق" في احد المستودعات المهجورة، ودونكم صرخة احد المساجين:

"ما زلت غير واثق لانهم لم يستدعوني للمثول في المحكمة حتى الان وما زلت ممنوعا من الحديث مع القاضي ولن تمر شهور حتى يكون قد مضى على وجودي خمس سنوات. ذهني مجهد في التفكير المستمر واتعاطى اقراصا منومة لتساعدني على النوم ورغم الاقراص[1] المنومة لا استطيع النوم الا في الرابعة صباحا حتى السابعة صباحا".

هذا وغيره آلاف من المساجين المساكين الذين يتقلبون ليلا – نهارا على الحجر الوهابي وشبح الجمعة يطاردهم ويقض مضاجعهم. بينما كل مساجين العالم، غير السياسيين، ينتظرون بفارغ الصبر العطلة الاسبوعية سواء كانت: الجمعة، الاحد.... ليتمتعوا بمشاهد اهاليهم واصدقائهم ويتلقون منهم الهدايا المتنوعة ويحكي كل سجين لاهله واصدقائه، اين وصلت قضيته في المحاكم. ناهيك عن الدور الهام "للمحامي" الذي يشكل همزة وصل بين المحكوم وبين المحاكم من جهة وبين "المحكوم" وبين اهله من جهة ثانية. اما في "سجون المملكة الوهابية" فالزيارات ممنوعة، ولا يعلم الاغلبية اين وصلت قضيتهم- بفعل غياب دور المحامي – البعض يركن شهور وسنين في زاويته المظلمة ولا يعلم متى سيحاكم. والبعض تمتد اليه يد القاضي الوهابي لتلتقطه بعد ايام قليلة على وجوده في السجن ليعدم او يجلد في الساحات العامة: اعدم جيمس رينبتو يوم الجمعة حزيران 1996م وقطعت رأسه و لم يكن يعلم بانه قد حكم عليه بالاعدام و لم يخبروا زوجته او اهله بموعد الاعدام. ففي صباح 2 حزيران استيقظ "جيمس" صباح كعادته وذهب الى مدرسة تحفيظ القرآن التابعة للسجن وبعد عوته من الدرس اخذ الى ساحة الاعدام ويقول اكثر من شاهد لمنظمة العفو الدولية ان جيمس لم يرتكب الجريمة قطعا"[2]

---

[1] تقرير منظمة العفو الدولي. لعام 1998

[2] المصدر السابق.

لماذا يصر الوهابيون على تنفيذ القصاص علنا وفي يوم الجمعة بالذات؟

طرح بعض العقلاء على الامير "سلمان بن عبد العزيز" أمير منطقة الرياض، بضرورة تجنب تنفيذ القصاص علنا وبأساليب قرون الوسطى وحصر تنفيذه داخل السجون لم يعترض الامير سلمان على ذلك. فجن جنون الوهابيين المتزمتين، الرسميين منهم والمعارضين. كيف يتم التخلي عن القصاص العلني ولنا اسوة في الرسول محمد ﷺ؟ لم يجد الوهابيون خصلة من خصائل النبي محمد، الحميدة والعديدة، الا خصلة تنفيذ القصاص علنا "دون ان يفرقوا او يدركوا الفرق الهائل بين المرحلة التاريخية التي عاش فيها النبي محمد ومن ثم خلفية الدوافع الحقيقية لتنفيذ العقاب علنا وبشكل محدود وبين مرحلتهم التاريخية الراهنة والدوافع الكامنة من وراء اصرارهم على التنفيذ علنا، فالنبي محمد، عندما نفذ احد القصاص في الساحات العامة بعد صلاة عصر يوم الجمعة كان له رؤيته وأهدافه المحددة، وذلك: بإشعار الجميع مسلمين وغير مسلمين، بميلاد دولة، بميلاد سلطة اسلامية مركزية، تأخذ بحق المظلوم من الظالم مهما كبر شأنه وتردع الخارجين على القانون الجديد، الشريعة الاسلامية، من نهب او سلب او اقتتال...الخ.

وبما ان النبي محمد والخلفاء الاربعة من بعده، لا يملكون لا جهاز أمني او شرطة او سجون ناهيك عن المساحات الشاسعة من الصحاري القاحلة التي ضمتها اراضي الجزيرة العربية الطبيعية حوالي "ثلاثة مليون كلم^2 ليس امام النبي محمد آنذاك، غير يوم الجمعة لانه "يوم راحة" للمسلمين من جهة ويتجمع فيه اكبر حشد من الناس بعد صلاة العصر من جهة ثانية. ويشكل افضل واسرع وسيلة اعلامية لنقل الخبر الى اقصى نقطه بالصحراء لاشعار القبائل وسكان القرى هناك، بان سلطة دينية مركزية قد ولدت في "المدينة" هي الجهة المسؤولة عن امن واستقرار البلد. وعلى الرغم من انها حالات نادرة فرضتها ظروف وخصائص عصر النبي محمد ولم تكن هوية او عشق ارهاب المواطنين كما هي عند الوهابيين" اليوم ومع ذلك أدت مفعولها لان البدوي اكثر ما يخشى هو "التشوه، ويفضل الموت عليه. كما وان الجلد فيه تحقير للانسان، حينما يبطح على الارض ويجلد امام الناس ثم يطلق سراحه.

اما الوهابيون فهم في السلطة، منذ قرن من الزمن ويملكون كل وسائل الاعلام الحديثة بجانب وسائل النقل السريعة ويملكون عشرات السجون المنتشرة في داخل البلد والمحاطة بقوات الامن والشرطة، ومع ذلك يصرون على الاشهار بالقصاص علنا وفي

الساحات العامة، ليس اسوة بالنبي محمد كما يدعون بل لاغراض واهداف سياسية في نفس (يعقوب الوهابي- السعودي).

اولا: إرهاب المواطنين والاجانب المقيمين في البلد من منظر السياف الذي يهوى بسيفه اللامع على ضحيته في الساحات العامة وتكرار العملية في كل اسبوعين-تقريباً- وتكرار ضربات السيف عدة مرات على رقبة المسكين مع ابتسامات وحشية بين صفوف الوهابيين المتشددين، الواقفين واعجابهم، بمهارة السياف، تثير الخوف والهلع في نفوس المشاهدين وكذلك السامعين، فبعد كل عملية قطع رأس في الساحات العامة وبالوسائل المتخلفة جدا. يخيم الوجوم على وجوه السامعين، سواء لعدة دقائق او اكثر، فينقطع الحديث او النقاشات العامة حول": الحياة الثقافية، العمل العلاقات الاجتماعية، السفر...الخ. وينقلب رأسا على عقب داخل هذا المجلس او ذلك، وبفعل "الفراغ الوهابي، القاتل، يأخذ بعض الشباب الحماس في وصف المشهد، مما يضيف قشعريره تسري في نفوس الشباب الساميعن وازدياد خوفهم من رجال الدين وعدم معارضتهم وهذا ما يود الوهابيون ايصاله للشعب.

ثانيا: اشعار الجميع بان رجال الدين موجودون في السلطة والمجتمع وكلمتهم هي العليا وان قبضتهم الحديدية على المجتمع لم تخف ولن يفلت احد من الرعايا من العقاب والتشهير، اذا اخترق الارشادات والوصايا الوهابية، الا اذا كان الشخص ينتمي للعائلة السعودية المالكة، فالنص القرآن والعقاب والشتهير الوهابي، بعيدين عن "القصور المالكة".

ثالثا: يوم الجمعة بالنسبة للوهابيين، هو يوم صيد ثمين فالوهابيون لا يمارسون اية هواية في حياتهم الشخصية العامة، لا صيد غزلان ولا حبارى ولا صيد سمك وهذا الاخير، مقرز للنفس، لماذا يوم الجمعة؟ لان النساء يدفعهن شعور غامض بضرورة الخروج من البيت سواء للتتره في الحدائق او لشراء بعض الحاجات المترلية او لقيام بزيارات للأقارب والاصدقاء. وهو شعور طبيعي يعبر عن احتياجات هذه الكائنات للتنفس والتمتع ولو بنظرات فيزيائية، اذا صح التعبير، من وراء البرقع او الحجاب لمشاهدة "عالم الرجل". المهيمن في الخارج وحرمانهن من الاحتكاك به او التحدث اليه، هذا الشعور هو الذي يخيف رجال الدين، من ان تفلت المرأة من ايديهم فيكثفون نشاطهم وينشر اخطبوطهم في كل مكان بحثا عن "امرأة" جالسة لوحدها في الحديقة او في مكان ما او شاب وشابة جالسين مع بعض في مطعم...الخ. فيلقي القبض عليهما بتهمة "قضية حب".. وبالمقابل

اخذ "قادة الفاتيكان الوهابي" يشجعون على وجود "داعيات وهابيات، يقمن ببعض النشاط الديني – الدعائي في يوم الجمعة، وبذلك عبر زيارتهن لبعض اقاربهن واصدقائهن الإسداد النصائح والتوجيهات المشبعة بالتعليم الوهابية وبهذا تكون المرأة قد حوصرت **تماما** من الداخل والخارج، ففي خروجها يطاردها شبح المطوع المسعور واذا ظلت في البيت تفاجئها زيارة الداعية الوهابية في يوم الجمعة الوهابي.

الرد على صاحب مقال:

ايجابيات تقدمها التجربة السعودية في مجالات الفكر الاسلامي.

نشر "خالد الحميدي" مقال له في جريدة الحياة قائلا: نحن اذا اخذنا التجارب السياسية التي اسقطت على غالبية العالم العربي-الاسلامي في مشرقه ومغربه نستطيع بسهولة ومن خلال رؤية حركية التاريخ، كيف ان الاحزاب السياسية كتقنية غربية لم تنجح في تحقيق المجتمع الفاضل في هذه المجتمعات التي اثرت اتباع الغرب في نهجه السياسي، لابل ادت الاحزاب وفي الغالب الاعم الى تمزيق النسيج الاجتماعي وتشويه الحكم ورسالته، بينما يمكن رؤية بعض المجتمعات الاخرى كالمجتمع السعودي الذي استطاع بناء دولة مستقرة تتطور باستمرار نحو الافضل وبهدوء وطمأنينة ولكن ليس من خلال الاحزاب، بل من خلال مفاهيم اخرى بلورها الاجتماعي السياسي الاسلامي في عصره الذهبي. كمفهوم "الحل والعقد" تلك الهيئة التي اخذت على عاتقها تدبير شؤون الامة كصلة وصل بين الراعي والرعية فاستغنى المجتمع السعودي بذلك عن تقنية الاحزاب رافضا كل ما يؤدي الىتمزيق المجتمع وتفرقه الى مذاهب سياسية لا تهدف في نهاية الامر الا السيطرة على السلطة.

على كل حال خاض الفكر الاسلامي الحديث في هذه المسألة ولم يصل الى حسم بائن والفكر الاسلامي المعاصر لايزال أيضاً يخوض في معتركها واذا كان الاول قد فجع بعدم تبلور الحزب الاسلامي المثالي، فهل يفجع المعاصر منه في عدم تحقيق هذه الهيئة السياسية ثم هل الاحزاب حقيقة ضرورة للمجتمع الاسلامي. ربما كانت التجربة السعودية جوابا ناطقا لحل هذه الاشكالية؟ فحتى الان على الاقل يمكن القول بان التعددية الحزبية وتداول السلطة من خلال صناديق الاقتراع لم تؤديا الى رفع الاستبداد عن كاهل المواطن العربي والاسلامي بل يمكن القول أيضاً بأن صراع الاحزاب لتداول السلطة لم يؤد الا الى استبدال سلطة استبدادية باخرى اكثر شرا منها هذا ما تنطق به تجارب الماضي والحاضر هذا ما لم تعانيه السعودية على سبيل المثال فقط لانها لم تستورد "تقنية الاحزاب" الغربية حتى انها لم تفكر في مماهات هذه التقنية مع اخرى اسلامية كما يفعل الفكر

الاسلامي المعاصر في غالبيته. فنجحت واستقرت وتطورت بهدوء من خلال مجلس الشورى كمجلس استشاري واهل الحل والعقد[1] في هذه المقالة لم يظهر "خالد الحميدي" ما مدى ضعف ثقافته بتاريخ الحضارة الاسلامية بشكل عام وتاريخ المجتمع "السعودي" الحديث بشكل خاص فحسب بل طرح مغالطات عديدة.

اولا: نشوء الاحزاب داخل المجتمعات العربية والاسلامية، ليست "تقنية غربية" بل هي عربية – عربية قبل ان تكون عربية – اسلامية وجذورها عريقة جدا. وما سورة "الاحزاب" الا دليل على ذلك البعد التاريخ. ناهيك عن ما حدث بعد "وفاة النبي" محمد حيث انقسم اصحابه مؤقتا على السلطة بين المهاجرين والأنصار واخذ كل طرف يشجع "شاعره" على وصف مزاياه واستصغار شأن الطرف الاخر ثم تطور الامر بسرعة مع تطور الاحداث السياسية وقيام "الدولة الاسلامية فظهرت كتل وتجمعات قبلية واحزاب "دينية سياسية قوية" الحزب الاموي انصار الخليفة علي بن ابي طالب الذي تطور فيما بعد الى "الطائفة الشيعية" حزب الخوارج وثوراتهم المتعددة الحزب الزيدي الذي سيطر على اليمن منذ نهاية القرن الثالث الهجري الحزب الاسماعيلي الذي تحول فيما بعد الى "الطائفة الاسماعيلية"، وبقدر ما ظهرت احزاب دينية، ظهرت أيضاً احزاب علمانية مثل: التيار المغزلي، والحزب القرمطي الذي انتشر في العراق وايران وشرق الجزيرة العربية، وجمعية أخوان الصفا....الخ.

ثانيا: فشل الأحزاب السياسية في تحقيق: المجتمع الفاضل شيء وضرورة وجود الاحزاب المعارضة او المؤيدة شيء آخر، كما وان فشل بعض التجارب السياسية داخل كثير من المجتمعات العربية-الاسلاميةلا تزكي"التجربة الوهابية-السعودية" ولا تمنحها الحق في محاربة ومطاردة العناصر الحزبية المعارضة من هذا الفريق او ذلك سواء كان علمانيا او دينيا.

ثالثا: الكلام بأن "المجتمع السعودي" قد استغنى عن تقنية الاحزاب رافضا كل ما يؤدي الى تمزيق المجتمع، كلام غير صحيح وبعيد جدا عن الواقع الاجتماعي ومعبر عن رغبات السلطة ورجال الدين. فالمجتمع في الجزيرة العربية لم يستغني ولم يرفض الاحزاب

---

[1] جريدة الحياة البيروتية – السعودية بتاريخ 23 شباط 1997م. العدد 13136.

السياسية الدينية والعلمانية وما ميلاد العديد من المنظمات السياسية "العلمانية" ما بين عام 1958م- 1964م واستمرار نضالها حتى منتصف الثمانينات الا دليلا ساطعا على حاجة المواطن والمجتمع الى مثل هذه المنظمات من جهة ومدى جهلك في التاريخ السياسي الحديث للجزيرة العربية. من جهة ثانية. وان انحسار بعض تلك التنظيميات وافول بعضها لا يعبر عن "اعجاب" بالتجربة الوهابية- السعودية، بل يفعل قوة العسف "للفاتيكان الوهابي" والعرش السعودي اللذان حدا من نشاط وفعالية تلك الاحزاب لأن "العقل الوهابي" المسير للنظام والمجتمع لا يتحمل "ثنائية في الفكر" داخل المجتمع فما بالك بالممارسة؟! ومع ذلك قدمت القوى المعارضة للنظام السعودي؟ كـ جبهة التحرر الوطني- الشيوعيين- وحزب البعث العربي الإشتراكي، جناح سوريا، وحزب البعث العربي الإشتراكي- جناح العراق واتحاد شعب الجزيرة العربية، والجبهة الديمقراطية الشعبية عام 1965م والتي تحولت فيما بعد الى الحزب الديمقراطي الشعبي عام 1970م ومنظمة الثورة الوطنية - القوميين العرب ...الخ قوافل من الشهداء والتهمت السجون — السعودية اكثر من الف سجين سياسي في بداية صيف عام 1969 واستمرت حملة الاعتقالات الى عام 1972م ومن بين المعتقلين اكثر من ستين ضابطا بمختلف الرتب العسكرية، فارتعب الملك فيصل والاميركان في آن واحد، خاصة عندما انتشر خبر ظاهرتين خطيرتين على النظام".

الظاهرة الاولى: مساهمة العديد من المناضلين من الحزب الديمقراطي الشعبي في صفوف "الثورة الفلسطينية" ثم "الثورة العمانية" التي تقودها آنذاك الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي، واستشهاد البعض هناك. كما وقد لعبت القوى السياسية المعارضة بمجمل اتجاهاتها السياسية نشاطا اعلاميا في الخارج فاصدرت العديد من الدوريات والنشرات: مجلة الجزيرة العربية، مجلة الطليعة" مجلة الجزيرة الجديدة، منشورات الحزب الشيوعي في "السعودية" منشورات اتحاد أبناء الجزيرة العربية...الخ. كما واخذت بعض العناصر المعارضة تبث برنامجا اذاعيا، ليليا- موجها الى الشعب في الجزيرة العربية سواء من: اذاعة دمشق، بغداد، القاهرة، عدن، صنعاء، ..الخ. ما بين عام 1970- 1975م.

الظاهرة الثانية: ارتفاع الحس الوطني والقومي بين صفوف الجيش واكتشاف العديد من الخلايا العسكرية السرية ووصلوا بعضها الى قاعدة الظهران العسكرية**، فتم اعتقالهم من بينهم العقيد عبد الرحمن الرميح قائد القاعدة العسكرية** فشعرت اميركا

بخطورة وحساسية الوضع السياسي وضرورة "عمل ما" لقطع الطريق امام القوى الوطنية فاسرعت في التخلص من "الملك فيصل" وشجعت على "قتله" على يد امير سعودي للاسباب التالية:

لانه اقوى شخصية سياسية داخل الاسرة المالكة وله طموحات واسعة في الداخل والخارج. واخذ يكرر في ايامه الاخيرة، رغبته في ان يصلي في المسجد الاقصى- القدس.

إستخدامه لاساليب القمع الوحشي تجاه القوى السياسية المعارضة والمعتقلين في السجون فاستشهد العشرات منهم: عبد المجيد الشماسي، عبد الرؤوف الخنبزي، المقدم وصفي المداح كما تم قتل العقيد سعود المعمر.

إحتكاره لكنوز قارون، ورفضه لسقوط بعض القطرات البترولية على الشعب وبعد قتل الملك فيصل باسبوع واحد: تم اطلاق سراح جميع المعتقلين السياسين من عسكريين ومدنيين دون استثناء واعلان العفو العام عن جميع المعارضين الهاربين فعاد الجميع ما عدا خمس أشخاص من بينهم كاتب هذه السطور كما وبالمقابل "فتحت كنوز قارون على الشعب من عام 1975م والتي أطلق البعض عليها بالطفرة او "فيضان البترول كما شرحنا هذا في كتابنا البترول والاخلاق، وبترول عشرات المليارات الريالات ما بين عام 1975 – 1983م نزلت الروح الوطنية فانحسرت بل تلاشت كثير من تلك المنظمات السياسية المعارضة ومهما يكن فان "الطفرة البترولية" او"انفتاح خزائن قارون" لم تأتي "مكرمة" من "العائلة السعودية المالكة ولا من اميركا ولا عبر "فتوى وهابية" بل بفعل الجهود المضنية والتضحيات الجسيمة التي قدمتها تلك التنظيمات والاحزاب المحظورة والتي لا تعترف لا بوجودها ولا بنضالاتها! فتراجع التيار الوطني- الديمقراطي –مؤقتا، لم تخلو الساحة أيضاً من احزاب ومنظمات سرية معارضة حيث برزت تنظيمات دينية سياسية "شيعية ووهابية" مستفيدة من ارتفاع الموجه الدينية على الصعيد العربي الاسلامي ما بين عام 1977- 1979م. ووصول "رجال الدين" الى السلطة في ايران اوائل عام 1979م شجع "الطائفة الشيعية في القطيف والاحساء، على تشكيل منظمتها السياسية المعبرة عن امال وطموحات تلك الطائفة تحت اسم منظمة الثورة الاسلامية، بالمقابل ظهر تيار ديني وهابي متشدد من وسط المؤسسة الدينية الوهابية بقيادة "جهيمان العتيبي" والذي اعلن تمرده المشهور في "مكة" اواخر عام 1979،. وبتصفية "جهيمان ورفاقه" لم تخمد جذوته داخل المؤسسة الدينية الوهابية فمع الانزال الاميركي على ارض الجزيرة العربية اغسطس من عام

1990م، شعر الوهابيون لاول مرة بإهانة كبيرة لا تمحى على مر الزمن. كيف يتم نزول نصف مليون ونيف "كافر" على ارض القرآن والعقيدة، كيف تفسر اعطاء "تزكية دينية" فتاوى لقوات كافرة ضد شعب عربي-مسلم؟ كيف يتم القبول والاعتراف بموتى الاميركان بانهم شهداء؟ هذه الاسئلة وغيرها "هزة القاعدة الوهابية" وولدت ردة فعل قوية بين صفوفها فخرج من وسطها اولا اصحاب"مذكرة النصيحة" ثم الحركة الدينية الاصلاحية التي لها نشاطها السري القوي ضد النظام بل وضد التيار الديني الرسمي.

إذن، المجتمع الوهابي-السعودي، لم يستغني ولن يستغني عن دور الاحزاب.

اما وصفك بان "التجربة السعودية" نجح واستقرت وتطورت بهدوء من خلال مجلس الشورى واهل الحل والعقد"، وصف مزور للتاريخ والحقيقة فالتجربة الوهابية السعودية اسرت الانسان والمجتمع والزمن عشرات السنين. كما هو واضح في دراستنا هذه. فاهل الحل والعقد، هم ثمانية الى عشرة اشخاص، نجديين، قبليين، نصفهم من عائلة ال الشيخ وعلى رأسهم الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ المفتي الاكبر من 1936م – 1969م وهو الذي اصدر اغرب الفتاوى الدينية: فتوى بتحريم الكاميرا عام 1954م وفتوى بقتل سائق السيارة – في الحال- حين يدهس "مسلم".

الفصل الثالث

خلاصة التجربة الوهابية – السعودية

دروس من التجربة الوهابية – السعودي

خلاصة التجربة الوهابية – السعودية " ان مقياس الضعف والقوة في امة ما لا يكون بالعدد او الثروة وانما مقياس عظمة الامة هو صفاتها العامة".

لطفي السيد

بعد رحلة مشهدية طويلة وأليمة داخل المجتمع الوهابي – السعودي وبعد وقوفنا عند الصفات العامة التي اتصف بها ذلك المجتمع – كما شرحناها- نجد ان مقولة المفكر المصري لطفي السيد " تنطبق تماما على الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي الراهن في "السعودية" فلا المال ولا الثروات الطبيعية الهائلة ولا الملايين من المواطنين والاجانب المقيمين في البلد " 18 مليون مواطن + 6 مليون اجنبي" قادرين على الاسهام بنهضة حضارية حقيقية او دوره تاريخية هامه وايجابية سيلعبها هذا النظام، فالصفات العامة التي حملتها وكرستها التجربة الوهابية – السعودية على ارض الواقع العملي والتي تعرضنا لها بالتفصيل في هذه الدراسة، تنفي نفياً قاطعا مثل هذا الزعم بل وتدين المتقولين بها، كما وان النتائج السلبية العديدة لهذه التجربة السياسية- الدينية الطويلة – كما سنرى- تؤكد بشكل ملموس لا على استحالة مثل هذا النهوض الحضاري بالانسان والمجتمع حسب الشروط الوهابية فحسب، بل على عمق الكوارث والفواجع المرة التي ستعم هذا البلد- للاسف الشديد في المستقبل القريب. ومن يطلع او يدرك ما افرزته هذه التجربة السعودية – الوهابية الطويلة، لا يستبعد اطلاقا وقوع هذه الكوارث والمفاجئات. ودونكم اهم النتائج السلبية التي خلفتها تلك التجربة.

1- خلق مجتمع العوالم الأربع

من الصعب جدا القول بان المجتمع في "المملكة" في الوقت الحاضر منقسم الى طبقات اجتماعية متصارعة ومتناحرة فيما بينها اسوة بما عرفته مسيرة المجتمعات البشرية قديما وحديثا. كما وانه من الخطأ الفادح نكران او نفي تلك الصفة الطبقية الحادة والتي تظهر بأفظع أشكالها في الممارسة اليومية: ملياردير، مليونير، متوسطي الحال، فقراء ومعدومين. هذه التركيبةالطبيقة - الاجتماعية الشاذة والمعقدة، اثارت فينا الحيرة والارباك في ايجاد التعريف او المصطلح العلمي الملائم لهذه الوضعية الطبقية الشاذة. ودفعتنا على التساؤل ماذا يمكن ان يطلق على هذه اللوحة الاجتماعية الجديدة؟ وبماذا يفسر وجود تقسيم طبقي حاد و لم يتصدر الواجهة بل دفع به الى الوراء؟

ومن خلال مراقبتنا عن كثب للتطورات داخل هذا المجتمع، منذ فيضان البترول ما بين عام 1975م- 1983م وافرازاته فيما بعد - ظهرت امامنا لوحة اجتماعية غريبة من نوعها مقسمة المجتمع في الجزيرة العربية"السعودية" اليوم الى اربعة عوالم متعددة ومنفصلة ومتناحرة فيما بينها، وهو قول سيثير نقاشا مطولا بين صفوف الباحثين الاقتصاديين ودارسي علم الاجتماع السياسي لفهم هذه الظاهرة "الجديدة" او التركيبة الاجتماعية الغريبة، حيث يجد المرء نفسه امام مجتمع مكون في هذه المرحلةبالذات من "اربعة عوالم" وكل عالم له جمهوره الواسع يضم بين ثناياه: الفقير والملياردير ورجال الاعمال... ومتخفيا وراء متاريسه الخاصة. يتطلع بلهفة الى تحقيق جزء من "حرياته او حقوقه الشخصية" المسلوبة من قبل هذا "العالم" او ذلك ويطالب باسترجاع بعض حقوقه السياسية والاخلاقية لتنسجم مع وضعيته الطبقية تجاه العوالم الاخرى الرافضة والقامعة له "العالم الوهابي وعالم الامراء كما سنرى.

لم يكن العامل الاقتصادي وحده، هو العامل او المغذي الحاسم في خلق هذه "التركيبة المعقدة" بل هناك جملةمن العوامل الدينية والسياسية والاقليمية والقبلية، اسهمت بمجموعها على خلق هذه الظاهرة المرضية، انها صورة مضحكة ومؤلمة، ان يجد المواطن نفسه ضمن دائرة عوالم مختلفة ومنفصلة وداخل مجتمع مدني صغير، وهي "ظاهرة فريدة

وشاذة لم يعرفها تاريخ المجتمعات العربية والاسلامية ناهيك عن المجتمعات الغربية ودونكم خاصية ومزايا كل عالم من تلك العوالم الاربعة المكون منها المجتمع السعودي الوهابي اليوم.

العالم الاول (عالم الامراء والاميرات: في البدء يجب القول بان وضع الاسرة السعودية المالكة يختلف عن وضع الاسر المالكة في الخليج العربي او غيره سواء من حيث الحجم او التركيبة الداخلية والاهداف، فهي تعتبر اليوم اكبر عائلة مالكة عبر التاريخ الانساني الحديث من حيث العدد واحد اكبر العوائل الارستقراطية المالكة عبر التاريخ العربي- الاسلامية بجانب الاسرة العباسية التي تجاوز عدد افرادها الثلاثون الفا، في عهد الخليفة المأمون — حسبما ذكر السيوطي في تاريخه- اما الاسرة العلوية نسبة للخليفة علي بن ابي طالب واحفاده فقد وصل عددها اليوم الى "عدة ملايين كما ذكر "هادي المدرسي" وهذه العائلة العلوية سواء ينحدر نسلها من "حسنين او حسينين- موزعة في عدة بلدان عربية واسلامية ولا تحكم ارض معينة بأسمها (كالاسرة السعودية وكثير منهم ادعى النسب كذبا الى هذه العائلة لمصالح واغراض ذاتية: اقتصادية وسياسية واجتماعية ومذهبية. اما الاسرة السعودية المالكة، فواقع الحال يختلف تماما عن تلك الاسر، فهي تضم اليوم اكثر من "عشرة الاف امير" من فروعها السبع. واقفين على ارض واحدة "الجزيرة العربية" واذا افترضنا بان كل امير سعودي متزوج من اربع زوجات، على اقل تقدير — سيكون امامنا عدد كبير من النساء الحاملين لقب "اميرة" سواء كانت مطلقة او غير مطلقة، واذا كل واحدة منهن انجبت عدة بنات، سيكون العدد الاجمالي للاميرات السعوديات يفوق عدد الجيش السعودي نفسه واذا اضفنا لهم عدد الخدم والحراس والسواقين والطباخين ووزراء الامراء- خادم الامير أمير- سيكون امامنا "عالم سعودي" واسع جدا تعداده اكثر من سكان "دولة قطر" هؤلاء البشر يعيشون داخل اسوار اكثر من (3000 قصر منيف" داخل البلد خاصة في منطقة الرياض ومنطقة الحجاز. ناهيك عن مئات الشقق الفخمة وعشرات القصور الملكية خارج اسوار البلد والمنتشرة في جميع انحاء العالم. هذه العائلة المالكة بحكم اتساع حجمها وعشقها لتكاثر النسل بشكل يومي داخل صفوفها وبفعل استقرار البلد وتحكمها بثروة بترولية هائلة، اصبح لديها طموحات واسعة من نوع اخر، لم تقدم عليها الاسر الحاكمة من قبل طموحات لا تقف عند حدود الحرص على امن واستقرار العرش السعودي فحسب بل تتطلع الى اهداف سياسية،

طبوغرافية واخذت منذ زمن تترجم هذا على ارض الواقع الاجتماعي لتصبح العشيرة وربما مستقبلاً القبيلة الاكبر عددا وثقلا في هذا البلد اولا وسعيها الجاد لمحو الهوية التاريخية للجزيرة العربية واحلال محلها "الهوية السعودية" اي "سعوده" الارض والانسان والتاريخ ثانيا. هذا العالم السعودي الذي لا يخلو من التناقضات تعيش عناصره في "عالمهم الخاص" المنفصل تماما عن الشعب مرفهين ومحلقين فوقه لا تربطهم بالشعب اية رابطة غير رابطة الاستعباد والاستغلال. وكلما اصر رجال الدين على تشددهم في تطبيق النص القرآني على الدهماء- الشعب. كلما غاص الامراء والاميرات في عالمهم السعودي حيث يتوفر لهم كل ما لذ وطاب مبتسمين لا محزونين محللين لانفسهم كل ما هو محرم على الشعب باسم الدين فالتحريم الوهابي، هو المسؤول والمشجع لظاهرة الاعتزال والغرور السائدتين في "العالم السعودي، بل دفع بهم ذكورا واناثا على ممارسة كل انواع الموبقات سرا، لكي تبقى الصورة الخارجية لسلوكهم منسجمة مع المظهر العام للتطبيقات الشرعية على الرعية. فالاسوار العالية لقصورهم الضخمة، شكلت الحد الفاصل بين الشرع وبين "العالم الاول — العالم السعودي" من جهة وبين هذا "العالم المستعلي" وبين الشعب من جهة ثانية. هذا العالم المعزول والمتحكم بأرقاب الشعب وقوته، لم يخلق نفسه بنفسه بل ساعده وشجعه على "غطرسته" هذه وجود "عالم آخر وهو العالم الوهابي.

العالم الثاني "العالم الوهابي": عالم مؤدلج مستقل بذاته ويشكل دولة داخل دولة، يقوده "الفاتكان الوهابي" والذي يضم خليط عجيب من الطبقات والفئات الاجتماعية. هذا "العالم" واكب مسيرة توحيد البلد وساهم بشكل اساسي فيها منذ عام 1902م-1926م وفي مرحلة التحضر والتطور التدريجي الداخلي أخذت قاعدته ومهماته تتسع دون توقف عصبة الاساسي: كبار رجال الدين، قضاة، اساتذة الجامعات والمعاهد الدينية، دعاة، خطباء وأئمة مساجد وجوامع، مطاوعة، مرشدين، موظفين، رجال أعمال، ضباط، جنود، طلبة العلوم الدينية ناهيك عن حلقات القرآن التي وصل اعداد طلبتها مؤخرا اكثر من "أربعمائة الف طالب وطالبه" هذا العالم الذي نطلق عليه بـــ "العالم الوهابي" هو المنظر والمؤدلج للمجتمع وللعالم الاول — عالم الامراء والاميرات، عبر سلسلة من الفتاوى الدينية وعبر تربية مركزه تزكي سلوك وتصرفات "ولاة الامر" من الذكور والاناث. وبقدر ما عرف عن ترفع "العالم الاول" عن الشعب، بقدر ماتسود "العالم الوهابي" روح التكبر والغرور والعظمة الكاذبة والنظرة الدونية للاخر، فهو اليوم ماسك

بين يديه المفاتيح الاساسية لصمامات المجتمع وتطوره ويستميت من اجل بقاء تلك المفاتيح دوما بيده: التعليم التربية، المرأة، الاعلام، الثقافة والرقابة الشمولية على "الرعية" فهم حراس الشرع وحراس القصور المالكة في نفس الوقت. يتمركز الثقل الجماهيري لهذا العالم الوهابي في منطقة نجد، المعقل الاساسي له وللدعوة "الدينية- الاصلاحية" ويضم مئات الاف من مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية من :المليارديرالمتخم الى الفقير المعدم، تشدهم ثلاثة عوامل: دينية سنية، اقليمية- نجدية وقبلية فانحسرت في يدهم سلطة تمثل قمة العصبوية تسلط على الدهماء، الشعب، لشدهم دوما بجدار الفاتكان الوهابي هذا العالم، ينضوي تحت اشكال وتنظيمات دينية – اجتماعية متعددة "18 جهازا" تشكل بمجمعها "المؤسسة الدينية الوهابية" او "الفاتيكان الوهابي" واهتمامات هذا"الفاتكان" لا تمت بصلة باهتمامات وتطلعات الجماهير الشعبية ولا بحركة التاريخ. فهم- اي الوهابيون- في واد داخل عالمهم المؤدلج والضيق جدا والمواطنين في واد آخر، الاوائل يعيشون في احلام الماضي السلفي ويرفضون في الوقت نفسه "الثنائية" في الفكر والممارسة داخل المجتمع وحصر "الثنائية بينهم وبين الامراء" ناهيك عن مواقفهم المتصلبة تجاه ما وصل اليه العلم من تطور ورقي ويطالبون الرعية دوما بالطاعة. والمواطنين متجاوزين في وعيهم للافكار الوهابية – السلفية، وينشدون العدالة والمساواة والحرية داخل المجتمع تحت سلطة ديمقراطية تعترف وتصون حقوق المواطنين وحريتهم. ولهذا يحرص قادة "هذا الفاتكان" وانصارهم على تثبيت وتركيز انتباههم على تحركات وتطلعات العالم الثالث – الشعب وبقدر ما عرف عن هذا العالم الوهابي من وظيفة دعم ومساندة العالم الاول – الامراء بقدر ما يقوم بضغط لا يرحم على العالم الثالث، والعالم الرابع – الوافدين كما سنرى.

ووظيفة "العالم الوهابي" ليست طبقية وسياسية فحسب، بل الرجوع بالمجتمع والانسان الى الوراء خوفا من "نور التطور والتقدم" التي لا يعرف كيف يتعامل معهما ما يتلائم وخصائص مجتمعه وقيمه الروحية دون الذوبان او الانبهار، فاختارا التقوقع والهروب، عبر ممارسة سياسية "التثليث"الوهابي، تكفير، تحريم، العقاب، بهذه السياسة التي استمرت اكثر من ثمانين عاما – ولا تزال- يظل هو المسؤول الاول والاخير عن خلق هذه اللوحة الاجتماعية السريالية الحزينة والمعقدة. هو المسؤول عن وجود هذه الخنادق والفواصل بين افراد المجتمع اكثر من مسؤولية العرش السعودي، المستفيد والمشجع لهذه

الوضعية. وان اختفاء مجتمع "العوالم الاربع" مرهونا اولا واخيرا باختفاء "العالم الوهابي- علة العلل- فالدين وعلاقة الانسان بخالقه شيء والتسلط العصبوي للوهابيين برقاب الشعب شيء اخر وان اختفائهم كقوة، كسلطة متحكمة داخل المجتمع لا يعني اختفاء الدين. فالدين الاسلامي جذوره قوية قبل وبعد الوهابين وسيتنفس الشعب الهواء لاول مرة بعد اكثر من قرن من الزمن، دون محرمات وهابية، وستظل امامه مشكلة ثانية ورئيسيه "سياسية وطبيقة" الا وهي مشكلة "العرش السعودي" الذي ستتقلص سلطته وهيمنته ومصالحه- وربما اختفائه بغياب حليفه التاريخي "الفاتكان الوهابي".

العالم الثالث "المواطنين": وهو العالم الذي يهمنا امره لمعرفة اوضائعه وهمومه ومشاكله الحالية والتي لا يمكن ان تفهم من خلال السياق الكلاسيكي لنضال الطبقي "الخبز والحرية" فالقطرات البترولية، ابعدت "شبح المجاعة او الجوع بل ادت في كثير من الاحيان الى التخمة حيث يلقى يوميا في زبالة مدينة الرياض اكثر من مليونين كيلو غرام من المواد الغذائية. ان توفر الخبز" لا يعيق من عجلة النضال السياسي. فهنالك مغذيات ودوافع اكثر من "الخبز" الكرامة ومستقبل الانسان, حيث يعاني المواطنين من عوامل سياسية واجتماعية ونفسية تشدهم مع بعض ضد الظلم السياسي والحرمان الديني الذي يمارسه العالم السعودي والوهابي عليهم.

هذا العالم يضم العديد من الطبقات والفئات الاجتماعية، بشكل عفوي دون ان يكون هناك حلف سياسي او جبهة وطنية، فالسلطة العصبوية والغبية، ما تركت منفسا واحدا امام المواطنين لذا نجد داخل هذا العالم الواسع: الملياردير والمليونير واصحاب الداخل المحدود والفقراء ناهيك عن فئة المتعلمين والمتعلمات، وهو قول قد يثير الاستغراب والاحتجاج من قبل بعض السياسيين الكلاسيكيين وأساتذة علماء الاجتماع والاقتصاد.

اذ كيف يفسر وفي عصرنا الحديث، ملياردير ومليونير ورجال اعمال كبار يقفون جنبا الى جنب مع العامل، الموظف، الجندي، المرأة، الكسبه.. في خندق واحد داخل مجتمع طبقي وفي حالة سلم ودون تهديدات خارجية؟

سؤال بقدر ما فيه من الغرابة والشذوذ عن مسار التاريخ العالمي الحديث، بقدر ما هو مجسد عن ارض الواقع الاجتماعي — السياسي في "المملكة". فمهما ظهر التفاوت الطبقي واسعا بين افراد المجتمع، ومهما تكدست الاموال المنقولة وغير المنقولة، لدى

الطبقة البرجوازية بكافة شرائحها: العقارية المصرفية، الصناعية، التجارية فانها لم تتحول بعد الى قوة مادية على ارض الواقع الاجتماعي، لترفع من وزنها السياسي والاجتماعي والاخلاقي بما يتناسب وحجمها المالي هذا. فهي لم تستطح لحد الان على تكوين احزابها ومنظامتها السياسية، فهي والحال هذه مسحوقة سياسيا واخلاقيا حتى العظم، اسوة ببقية افراد الشعب. فالسلطة العصبوية المطلقة والمتمركزة بيد رجال الدين والامراء، لم يتركو خيار امام البرجوازي الكبير والمواطن العادي. اما الطاعة والقبول بالامر الواقع او التقارب ثم التعاون المثمر بين افراد هذا العالم من اجل المطالبة باحترام الحريات الشخصية "المفقودة" وعلى الرغم من ان هذا العالم يشكل جبهة واسعة من المواطنين والمواطنات الا انه ممزق ومسحوق سياسيا وثقافيا واخلاقيا حيث لم يسمح له بعد لا بتوصيل صوته واهدافه الى الشعب ولا يقرون بحق انشاء المنظمات والاحزاب السياسية التي تعبر عن طموحاته وتطلعاته، وبالتالي امام هذا العسف السياسي والحرمان الديني تختفي كل امال وتطلعات البرجوازي الكبير ليتساوى في وضعيته الاجتماعية والسياسية والاخلاقية مع بقية المواطنين.

فوضعيته الطبقية لم تمنحه امتيازا ولا مكانة في السلم الاجتماعي — الوهابي. ولغياب الوضعية الاجتماعية السليمة يحاول كل مواطن ان يخلق "عالمه" الخاص والمؤقت داخل اسوار هذه المملكة وكل حسب قدرته المالية وشطارته ونباهته بان لا يقع بين مخالب المطاوعة او بالاصح بئر المطاوعة المظلم. فيغوص هذا المواطن او ذلك في عالمه الخاص والسري، ليتمتع بكل ما هو محرم عليه، بسرية تامة ابتعادا عن اعين رجال الدين وانصارهم. ففي داخل هذه الفيلا الصغيرة او القصر الضخم يعسكر المليارديز والمليونير وذوي الدخل المحدود، يمارسون طقوسهم الشخصية بهمس والم، حيث يشعرون ان المطالب الجزئية والتافه، تقف على رأس سلم الاولويات بجانب القضايا الاساسية حرية التعبير ترشيد الثروة الوطنية، حقوق المرأة، أخلاء البلد من القواعد العسكرية، فمهما ظهرت تلك المطالب جزئية وربما لدى البعض تافهة امام الحريات السياسية والثقافية...الخ، الا انها بالنسبة لهم حيوية وهامة ولا يمكن نكرانها او القفز عليها. واذا كانت شعوب المعمورة قد قطعت على الاقل اشواطا بعيدة ومنذ زمن سحيق في تحقيق "الحريات الشخصية" واحترامها. فان الشعب في الجزيرة العربية لا زال بعيد عنها وان اغلبية المواطنين، يعطون الاولوية الان لاشباع جزء من "حرياتهم الشخصية" ولو سرا وفي

ظروف صعبة جدا: خلق سهرة حلو، نشاط ثقافي فكري فيما بينهم حفلات مشتركة ومحدودة بين الجنسين كخطوة اولى لكسر الحاجز النفسي والحصار الوهابي على المجتمع، وياما قارورة ويسكي جذبت مليونير خائف من مطوع الى بيت مواطن من الدخل المحدود ليحتسيا الاثنين بسرعة بعض الجرعات وكل واحد يشكو همومه للاخر، هذه الوضعية تطول ام تقصر، مرهونة بقوة وعي وحركة الشارع العام في المطالبة- ولو بجزء من "لحريات الديمقراطية".

رابعا: عالم الوافدين (عالم الماعز والجرابيع): هو عالم ديناميكي نشط ومنتج ولكنه في الوقت نفسه، عالم يراوح في مكانه، كيف يفسر هذا التناقض: متحرك ومنتج ومراوح في مكانه، ليبقى خارج اسوار المجتمع الوهابي؟ ما خطورة استمرار مثل هذه الوضعية اللاإنسانية على مسار المجتمع والانسان في الجزيرة العربية؟

إعتادت الصحف المحلية والاجنبية، على الاشادة المستمرة بالنهضة العمرانية- الحضارية الشاملة والسريعة التي تجتاح "أرض المملكة" دون ذكر الاسم من هي القوة العاملة والفاعلة الاساسية التي اشادت وانجزت هذه الهياكل الحضارية والتي تقوم أيضاً بحراستها وصيانتها وادخلت المجتمع الوهابي- السعودي حضارة القرن العشرين وان يصبح – هذا المجتمع- رمزا عالميا للاستيراد والتبذير الاستهلاكي اليومي، لكل ما ينتجه العالم الصناعي المتطور.

أهي قوة محلية وهابية سعودية. أم هي قوة قادمة من الخارج؟

وإذا كان الجواب معروفا مسبقا، بان كل ما تم من عملية بناء وتعمير "الهياكل السعودية الحضارية الضخمة:" المطارات العالمية، المدن الصناعية- مدينة الجبيل وينبع..الخ. والفنادق الدرجة الاولى والقواعد العسكرية والشوارع الحديثة والجامعات على احدث طراز من بينها جامعة 'الف ليلة وليلة' والمصانع والصوامع والسدود والجسور وناطحات السحاب.. كلها قامت على اكتاف قوة عاملة جاءت من الخارج من عمال ومهندسين وخبراء، قادمين بشكل خاص من جنوب شرقي آسيا والقارة الهندية بجانب العمال والفنيين العرب من: اليمن، سوريا، مصر، فلسطين، السودان، لبنان... اما العاملين القادمين من اميركا والغرب فقد تمركزت اعمالهم الانشائية في القطاع العسكرية والامني "بناء المطارات والقواعد العسكرية" بجانب بناء القصور الملكية الضخمة والمستشفيات

العسكرية والمدنية ناهيك عن اعمالهم وخبرتهم في (القطاع النفطي البترولي" وهؤلاء لا يمكن ان ندرجهم في "عالم الوافدين" حيث الفارق الهائل بين "الوضعيتين" فالاميركان والغربيين يتمتعون بالرواتب العالية وبحقوق تسمح لهم ان يعيشوا في "داخل المملكة الوهابية" وكأنهم في بلدانهم. اما عالم الوافدين فعلى الرغم من ضعف القوى الشرائية بفعل تدني رواتبهم. فانهم مجردين من أية حقوق دينية ام مدنية ويعيشون في الدرك الاسفل من السلم الاجتماعي الوهابي—السعودي. هذا العالم البائس، هو المسؤول اليوم عن ادارة وصيانة كل الاعمال الإنشائية والحرف التي يترفع الوهابي وغير الوهابي عن ممارستها، عمال المصانع، وعمال الموانئ، عمال الورش لتصليح السيارات والمكائن، عمال البناء والمخابز والمطاعم، عمال النظافة، ومحطات البترين والفنادق...الخ، ويقدر عدد هذه الكائنات البائسة باكثر من (خمسة ملايين ذكر، اضافة الى اكثر من ثمانمائة الف إمرأة تعمل في بيوت ميسوري الحال. هذا العالم الوافد مهمته فقط ان يوفر الراحة والرفاهية لأفراد المجتمع الوهابي- السعودي، وليس من السهل عليه الاختلاط باعضاء "مجتمع الطهارة والنقاوة"، بل عليه ان يقف بأدب وانضباط خارج اسوار المجتمع الوهابي اي خارج حركة التاريخ الاجتماعي السياسي وهناك تكمن "مأساته".

أليس من المنطق والحكمة، معرفة اوضاع ومشاعر هذا العالم المسحوق الذي يكون في عدده وعاداته وتقاليده، شعب داخل شعب، بماذا يفكر وبماذا يعاني؟ والى أين يؤدي به ظلم وإجحاف الوهابية—السعودية له؟

وصلت هذه الكائنات المعذبة الى بلد "الاسلام والثروة" ويحذها امل كبير في تحسين اوضاعها المعيشية، بعد ان هاجرت من مواقعها الاصلية، طلبا للرزق والسلام فوجدت نفسها في "أرض المملكة" لا ثروة ولا سلام، فوقعت اخيرا بين نارين حقيقتين: نار الغربة- وأية غربة- إستغلال المقاولين وبشاعتهم ونار الوهابيين، واذا كان بؤسها التاريخي، صلب من عودها وجعلها ان تتحمل الغربة وإستغلال المقاولين الجدد لها، لانها أساساً كانت مستغلة ومسحوقة في بلدانها الاصلية، الا انها من الصعب جدا ان تحمل نار رجال الدين الوهابيين دون تذمر مستمر من سلوكهم وتصرفاتهم الهادفة لسلخها نهائيا من انسانيتها وجعل منها ادوات بشرية مطيعة للوصايا والارشادات الوهابية. بعد أن أجبروها دون رحمة على عدم الممارسة العلنية او السرية لتقاليدها وطقوسها الدينية سواء كانت بوذية ام مسيحية ولم يجبروا بالمقابل الاميركي او الاوروبي المسيحي على ذلك!!

ومما زاد الطين بله ان تلك الكائنات المهاجرة اخضعت الى رقابة وهابية صارمة تحول بينهم وبين ممارسة بعض عادتهم وتقاليدهم الشعبية العريقة والتي يلتجأون اليها سواء أيام الشدة والقحط الانساني او ايام الفرح والاعراس والاعياد الشعبية، لتخفيف من "وحشة الغربة وقساوة ظروف العمل والعزلة الاجتماعية، وذلك باحياء بعض تلك المناسبات التاريخية العزيزة على قلوبهم وليستمتعوا بقسط من الراحة والبهجة وذلك عبر: الاغاني والرقصات الشعبية المشتركة...الخ، إلا ان مثل هذه الامور اصبحت من المستحيلات احيائها في المحيط الوهابي، بل ما ان تقترب اقدام رجل وافد من أمرأة وافدة والاثنان يعملان في بيت وهابي او شبه وهابي، الاول سائق والثانية "خادمة" سرعان ما تدور الارض تحت اقدام الوهابي. فيتهم الاثنان بقضية "حب" وهي "قضية خطيرة" فيتم: الاستجواب ثم الجلد والسجن ثم التسفير. وما اكثر هذه القصص المؤلمة التي ترويها النساء القادمات من جنوبي شرقي آسيا واللواتن خدمن في بيوت "مستحدثي النعمة" وبما ان من الصعب على الوهابيين "خصي" جمع الوافدين من جنوب شرقي آسيا على طريقة "اللغوات"[1] فقد اهتم "الوهابيون" بضرورة نشر الاسلام بين صفوف هذا العالم الواسع ذو الديانات المتعددة. وبهذه الخطوة وجد "الفاتيكان الوهابي" وظائف جديدة للدعاة والمرشدين والمطاوعة في ان ينشطوا بين صفوف "العمال الوافدين" لكسبهم للاسلام البترولي. ففتحت عشرات المكاتب في المدن الرئيسية في "المملكة" والتي يتواجد فيها اعداد كبيرة من افراد ذلك "العالم المسحوق" وأطلق على تلك المكاتب بـــ "مكاتب الجاليات الاسلامية" كما اخذ كبار رجال الدين يطالبون "ارباب البيوت الميسورة"، على ضرورة اسلمت المستخدمين او المستخدمات – خادمة او مربية...الخ. اللتين يعملن في منازلهم. وفي حالات الاصرار وعدم الاستجابة يجب عدم اعطاء تلك الكائنات اية "صدقة" من الزكاة او غيرها- تليها خطوة آخر التهديد بالطرد من العمل او التسفير من البلد، فاصبح الوضع العام للعمال الوافدين من جنوب شرق آسيا والذين يدينون بالديانة البوذية والمسيحية، صعبا وحساسا جدا، تنازل ثم تنازل دون اي شيء انساني بالمقابل فالحصول على بطاقة الاقامة وبعض التسهيلات الاجتماعية، اصبح مرتبطا بهذه السلسلة

---

[1] اللغوات: رقيق أسود، جلب من الحبشة وغيرها وتم "خصيهم في المملكة" وأسند لهم الخدمة في "الحرم الملكي" ومهمتهم الاساسية، هو دفع النساء او المسك بالنساء حين يتزاحمن على "الحجر الاسود" مع تشجيع وإطمئنان الوهابيين على نسائهم. لخلو هذه العناصر "اللغوات" من الشهوة الجنسية.

من التنازلات فأخذت الصحف والمجلات المحلية خاصة "الدعوة" تهلهل بين الحين والاخر، بذكر اعداد كبيرة من العمال الوافدين والذين اشهروا إسلامهم بالمكتب التعاوني للدعوة والارشاد في حي الروضة بالرياض"، و"قام المكتب خلال شهر بتوزيع 29 الف كتاب ديني و278 شريطا اسلاميا على ابناء الجاليات الاجنبية المسلمين، بمختلف اللغات وبذلك يصل مجموع الكتب والاشرطة التي وزعها المكتب حتى الان (250 ألف كتاب وشريط ديني[1].

"أسلم اكثر من "2825" رجل وأمرأة في منطقة الرياض فقط وتم توزيع (329348 كتابا بمختلف اللغات للجاليات غير مسلمة في منطقة الرياض وحدها كما تم توزيع اكثر من 152 الف شريط بعدة لغات في منطقة الرياض.

وسواء صدق "إسلام بعضهم او "كفاية شر الوهابيين" عنهم، فان الوضعية العامة للعمال والعاملات، لم تتغير كثيراً، فلا زال "الفيتو الوهابي" مسلطا عليهم يحول دون صهرهم داخل المجتمع لبناء علاقات طبيعية مع المواطنين، فهم لا زالوا، جسم غريب ومريب وبالمقابل هناك قلة من المواطنين الذين لم علاقات انسانية مع افراد هذا العالم المنبوذ. والبعض الآخر يشاطرهم وجدانيا عمق المأساة ولكنه في الوقت نفسه، يفضل الابتعاد وعدم الاحتكاك بهم خوفا من اعين الوهابيين واتهاماتهم الخطيرة.

هذا "العالم المعزول انسانيا والمسحوق معيشيا، هل سيبقى افراده ساكتين للابد ام انه سينفجر باعداده البشرية الهائلة يوما ما"؟ وهل فكر البعض بحدوث مثل هذا؟ واذا حصل هذا الانفجار الهائل ماذا سيكون رد فعل السلطة السياسية والدينية وما هو موقف الطرف الشعبي؟

ان حدوث إنفجار قوي وعنيف ينطلق من وسط هذه "الكائنات المعذبة" مسألة واردة وطبيعية جداً وغير الطبيعي هو عدم "حدوثه. ولكنه يبقى في حدود الإنفجارات العفوية الغاضبة التي سجلها تاريخ الإنسانية في هذا المجتمع او ذلك، البعض يتجهه —كالعادة— للتخريب ونهب بعض المحلات التجارية والبعض يصطدم مع "المطاوعة" لاخذ الثأر والانتقام وبما انها انتفاضة شعبية عارمة وعمياء، لا رأس قيادي لها ولم تطرح برنامجا

---

[1] مجلة الدعوة العدد 1579 6 نوفمبر 1997م.

سياسيا يشدها للطرف الشعبي ليتفاعل معها، لانها أساساً لا تهدف للإستيلاء على السلطة سيكون سهل على السلطة ورجال الدين تطويقها وستتم حالات اعدام واسعة وتسفير البعض بعد اتهام الجميع بانهم ناكروا الجميل ومعدنهم رخيص..الخ.

2- السعي لشراء حضارة

هل من الممكن شراء حضارة كاملة وزرعها في موقع غير موقعها الاصلي؟ ما الفرق بين عملية الشراء هذه وبين خلق الشروط الداخلية الملائمة لمثل هذا النهوض الحضاري وتطويره؟ ما هي الدوافع الاساسية "للعرش" و"الفاتيكان الوهابي" من جلب "حضارة سعودية جاهزة ؟ وما هي النتائج والسلبيات لمشروع مثل هذا؟

بعد مسيرة قرنين من الإنعزال، بجانب الاحتقار المهين للعلوم من 1775م-1975م، شعر الوهابيون والسعوديون، بعمق الذنب التاريخي اتجاه شعبهم، بعد ان حرموه من نهضة طبيعية لعشرات السنين، بفعل - اللاءات - الآنفة الذكر، وبالموقف المحرج جدا من الدول المحيطة بهم، فاضطروا على الانفتاح اضطرارا لا قناعة للخروج بشعبهم من حالة الحصار التاريخي المفروضة عليه بين "وادي حنيفة ووادي الرمة. فأنطلقوا أخيرا على الانفتاح على العالم الخارجي. والذي يختلف تماما عن مفهوم الانفتاح لدى سائر شعوب العالم. فقد أسرع العرش و"الفاتيكان الوهابي" في جلب "هياكل" حضارية كاملة وزرعها بجانب "مدارس الحديث وحلقات القرآن". مدينة الجبيل الصناعية، مطار الملك خالد الدولي، مطار الملك فهد الدولي، جامعة الامام محمد بن سعود، مشروع تحلية المياه، العمارات الشاهقة، طائرات أواكس...الخ.

وقد ساعدت عائدات البترول الضخمة، على تنفيذ رغبة النظام هذه والإبعاد، شبهة التخلف فحول البلد الى "سوق استهلاكي عالمي لتصريف كل منجزات حضارة القرن العشرين، فانهالت الصحف المحلية والعالمية، لتتحدث بدهشة عن تحول "السعودية" الى ورشة عمل عالمية "السعودية" تشهد نهوضا حضاريا متميزا. السعوديون يرسون حضارة متقدمة فاختلطت الالوان في نظر المواطنين والمراقبين فلم يعد هناك تميز بين استيراد مشاهد حضارية ضخمة يجلد تحتها شارب الخمر او المغازل للنساء. وبين إرساء ركائز حضارية تسهم العقول والايدي العاملة المحلية " نساء ورجال" في وضع المقدمات الاولى لمثل هذا النهوض الحضاري، الذي لا يمكن التحدث عنه، ناهيك عن ترجمته، دون وضع الخطط والدراسات العلمية، خلق الكادر، وضع المرأة، نوعية الثقافة وشكل

التربية...الخ. وهذه امور معقدة بالنسبة لنظام "الفاتيكان الوهابي" ولا تنسجم مع مصالحهما لذا يفضل العرش ورجال الدين الهروب من امام الحقائق المرة داخل مجتمعهم والجري اللاهث وراء "شراء حضارة سعودية – وهابية" متكيفة مع عقيلتهم وشروط نمط حياتهم ولاتهز ركائز البنية التحتية للمجتمع والنظام ولتبعد "الشبه" عن "تخلفهم" حضارة مطيعة، تجري وراء رغبات الوهابي ومزاجه للحفاظ على طهارة ثيابه وتلبي بالمقابل كل رغبات الامير السعودي لادخال السعادة الى نفسه وقصوره الضخمة. فمن سمع عن حضاره تجري وراء انسان وتقف عند حدود رغباته ومتطلباته؟ اللهم الا الحضارة السعودية- الوهابية المستوردة. حسب المواصفات المطلوبة فهم في مسعاهم الخاطئ هذا، قد ابتعدوا عن قصد بعدم خلق الاجواء الملائمة لقيام مجتمع مدني متحضر قائم على جهود ابنائه فساهموا من جديد في تعطيل او تبديد طاقات شعبهم- كما فعلوا بالامس ووضعوا البلد على حافة كوارث عديدة قادمة.

ان الانفتاح الحضاري على العالم الخارجي- ولو عن طريق الشراء في بداية الامر لمجتمع مثل "السعودية" شيء هام وضروري لمواصلة الاحتكاك المباشر بالشعوب الاخرى للاستفادة من خبراتها وتجاربها في العلوم المعرفية في هذا الميدان او ذلك، فحياة التأثر والتأثير دون ذوبان الشخصية، هي الخطوات الاولى، لأي مشروع حضاري – نهضوي. ولكن السعوديون والوهابيون، لم يدر بخلدهم هذا ابدا، لأنهم أساساً لهم موقف إيديولوجي ضد مقولة "تأثير وتأثر" فالحركة الجدلية هي من ابغض الامور لدى الوهابيين لكونهم قوة اجتماعية، تهاب من الانفتاح والتطور الحضاري الحقيقي، وتود دوما ان تسير في فلك منفصل على العالم له نوافد ضيقة متحكمة في مساره. وهذا الموقف يدفع بالنظام والمؤسسة الدينية على شراء حضارة لا بناء أسس حضارية للاسباب التالية:

أ – الحفاظ على التركيبة الفوقية للنظام بكل عيوبها وتلوناتها. فعلى الرغم من التغيير الجذري في البنية التحتية الاقتصادية من "اقتصاد رعوي وزراعة محدودة في واحات متناثرة، تعتمد على ادوات انتاج متخلفة جدا الى اقتصاد يقوم على الريع البترولي، ذو الدخل الهائل خاصة منذ بداية عام 1968م وما يتطلبه هذا التغيير في البنية الاقتصادية من الاسراع في تغيير بعض ملامح البنى الفوقية "الحقوقية والسياسية والثقافية والتربوية، الا ان العرش والمؤسسة الدينية وقفا – ولا زالا- بعناد قوي ضد اية محاولة تغيير ولو طفيفة، تمس تلك البنى الفوقية. وجاءت عملية شراء "هياكل حضارية" وزرعها داخل البلد، دون

سواعد وطنية، انقاذ سريع للحفاظ على تلك التركيبة الفوقية الشاذة واستمرارها، مضيفة "صورة موزاييكية" للواقع "السعودي".

ب – إبعاد القاعدة الاجتماعية الواسعة للمؤسسة الدينية الوهابية، عن المشاركة الفعلية في اي مشروع حضاري نهضوي، خوفا من تفكك او"ذوبان" تلك القاعدة في محيط التحضر والتقدم. وهذا ما يدفع بالضرورة قادة "الفاتكان الوهابي"، على خلق العراقيل تلو العراقيل، امام اي نهوض حضاري سليم في هذا البلد، حفاظا على المصالح الضخمة "للفاتكان الوهابي" بشكل خاص واستمرارية هيمنته المطلقة على المواطنين. وتجاوب "العرش" مع هذا الموقف. وبالتالي عملية"جلب هياكل حضارية" جاهزة وتوفير كل الوسائل الحضارية من الخارج لقاعدتها الاجتماعية، هي العملية الاسلم في نظر "قادة البلد" لابقاء تلك "القاعدة" متماسكة مع بعضها ملتحمة بقيادتها وبعيدة عن شر التحضر والتقدم، خاصة اذا عرفنا بأن "قاعدة المؤسسة الدينية او "الفاتكان الوهابي" واسعة جدا اكثر من مائة وستين الفا فقط من رجال الدين داخل هذا المجتمع: قضاة، اساتذة جامعات، مطاوعة، مرشدين، أئمة مساجد ومأذونين، خطباء، مدرسين، ناهيك عن "كبار علمائهم" بجانب طلبة العلوم الدينية في خمس جامعات وخمسة واربعين كلية ومعهد ديني؟. اضافة الى اكثر من نصف مليون طفل يدرس في حلقات القرآن.

ج –جلب هياكل حضارية، بكل توابعها، مهندسين، فنيين، عمال، ناهيك عن مئات آلاف من الايدي العاملة، يعكس موقفا سياسيا ثابتا لدى العرش والمؤسسة الدينية لابعاد المواطنين والمواطنات عن المشاركة الفعلية في عملية النهوض بمجتمعهم المدني واللحاق بالركب الحضاري، خوفا من اية مساهمة حقيقية للمواطنين والمواطنات، سيولد عند الجميع روح الاعتزاز والافتخار بما قدموه، وسيدفع بهم الى المطالبة بتصحيح كثير من الامور "المحرمة" وهذا ما يخشى منه النظام ورجال الدين، ولا منقذ لهم الا بتهميش وابعاد دور المواطنين، عبر جلب عدة ملايين من العمال الاجانب من جهة وتوفير كل الاحتياجات الاستهلاكية الضرورية والكمالية من جهة ثانية وما ان ينطق احد المواطنين محتجا على سياسة النظام الخاطئة هذه سرعان ما يردع عبر العبارة "النابئة" التي يرددها الوهابيون: اخرس واحمد ربك ياكسول، وفرنا لك كل شيء.

ث–إن ابعاد المواطنين عن عملية البناء الداخلي، شيء مقصود ومدروس، نطرح هذين السؤالين:

كم عدد العمال والفنيين "السعوديين والوهابيين" المشاركين في ورشة البناء هذه؟ كم عدد النساء السعوديات والوهابيات في المصانع والمزارع وورش البناء؟ فاذا كان الجواب "مخزيا" خاصة بالنسبة لمشاركة النساء. صفر بالمائة. عرفنا سياسة النظام المسبقة لتضليل الشعب من ان "السعودية" ورشة بناء. ان شراء الهياكل الحضارية وجلب المزيد من الأيدي العاملة الأجنبية هو الهدف الإستراتيجي للنظام و"الفاتكان الوهابي" مدعوما بموافقة :البيت الأبيض".

3– التطور المشوه

كل تطور حضاري–إنساني، مر به هذا المجتمع أو ذاك يحمل بين ثناياه آلة هدم للبنى الفوقية: الحقوقية والسياسية، من مؤسسات اجتماعية–سياسية ومن قيم وأخلاق وعادات وتقاليد... إلخ. أصبحت عاجزة عن العطاء والاستمرار، بل ومعيقة لهذا التحول الحضاري الجديد، لتحل محلها قيم وأخلاق وعادات منسجمة مع التغيير في البنية الاقتصادية والثقافية والسياسية التي شهدها هذا المجتمع أو ذاك. وبالمقابل كل تطور حضاري شمل البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يحمل –بالضرورة– سلبيات تظهر وكأنها أمر لا مفر منه، خاصة في مرحلة تحوله السريع والجذري: الثورة الفرنسية عام 1789م، الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب في أمريكا الشمالية والثورة الروسية عام 1917م... إلخ، ولكنها سلبيات لا تقارن أمام المكاسب الجديدة، أمام الوثبة الحضارية في بناء المجتمع والإنسان على أسس عصرية–إنسانية، بعد إرساء مجتمع القانون، الذي لا يميز بين المواطنين لا من جهة الدين أو العرق أو الانتماء القبلي كخطوة أولى وأساسية.

إما ما يجري في "السعودية" منذ أكثر من ربع قرن من الزمن –ولا زال– من حركة عمران حديثة وواسعة جداً ونهضة تعليمية وتطور ملحوظ في الجانب الصحي وانتشار المصانع الصغيرة والمتوسطة، بجانب انتشار المزارع الكبيرة ودخول التكنولوجيا في أجهزة ومؤسساتها بل وحتى في بيوت المواطنين، كلها مظاهر حضارية ذات فائدة هامة للمجتمع والإنسان. ومع ذلك لا يمكن القول بأن هناك تطور حضاري عام سائر – فعلاً – في إرساء المجتمع المدني الحديث في الجزيرة العربية، لأن كل تطور حضاري، اجتماعي – سياسي هو وليد الظروف الداخلية الملائمة والمشجعة على هذه الانطلاقة نحو الأمام بخطوات ثابتة مثال: القيادة السياسية ذات العقلية المنفتحة تعشق التطور وتعمل بصمت وهدوء من أجله، التراكم العلمي–المعرفي والاستقرار، السياسي بجانب التراكم المالي للرأسمال النقدي واستقلالية القرار السياسي. صحيح أن بعض هذه العوامل متوفرة الآن، بل ومنذ زمن داخل "المملكة السعودية": كالاستقرار السياسي والامن الاجتماعي، حيث لا انقلابات عسكرية ولا وجود لمعارضه سياسية قوية تهز أركان النظام وتقلقله، بجانب التراكم الهائل للرأسمال النقدي العائد من الربع البترولي. وتوفر مثل هذا العامل

الاقتصادي، يسرع في كثير من الأحيان إلى حرق مراحل التطور وبذلل كثير من الصعوبات ومع ذلك فإن الحديث عن وجود تطور حضاري سائر بخطى واثقة نحو بناء المجتمع الحضاري — الإنساني، حديث سابق لأوانه، لم ترس بعد قواعده الأساسية، فالمجتمع في الجزيرة العربية، لازال في وضعية "مجتمع الغالب والمغلوب" — سنشرح فيما بعد أبعاد هذه المقولة — فالقيادة السياسية والدينية لا يمكن وصفها لا بالقيادة "الحكيمة" كما يصفها مؤدلجوا النظام ولا بالقيادة العصرية. فالعرش السعودي بحكم تكوينه وتربيته، يعشق أساليب القرون الوسطى في علاقته مع الشعب بجانب التبذير والإسراف المذهلين والقيادة الدينية همها الوحيد في الحياة هو مراقبة "المرأة" وحجزها ضمن زوايا المجتمع من جهة وخلق العراقيل أمام تطور المجتمع نحو الأفضل، لأهم قوة اجتماعية تكره وتهاب الخلق والإبداع من جهة ثانية.

إن الانفتاح الحضاري الذي يشهده المجتمع في الجزيرة العربية ودخول الوسائل الحديثة الضرورية والترفيهية التي شملت غالبية المدن والقرى النائية، لم يأتِ هذا الانفتاح — في البدء — عبر قناعة أو خطط مسبقة، بل اضطرت القيادة السياسية والدينية على ذلك وعلى مضض وظلت في الوقت نفسه متمسكة ومتحكمة "بالعبة" على طريقة "المد والجزر" لأن أسلوب الانفتاح كان سريعاً ومفاجئاً وجاء بفعل ضغوط خارجية أقوى من قناعات داخلية. إن التسرع لشراء "هياكل حضارية" جاهزة وزرعها داخل المجتمع، التبرئة، النفس أولاً ولإظهار النظام بمظهر حضاري ثانياً. هذا الأسلوب المعتمد والسائد الآن في البلد هو الذي دفع بنا للقول بأن ما يجري في "السعودية" اليوم هو تطور مشوه يدعو للشك فيه. إذ إن هناك فرق جوهري بين مفهوم التطور الحضاري السليم وبين التطور المشوه، فالأول يعتمد على الإنسان ويؤمن بالعلم ويقدر "الوقت والزمن" والثاني يتكأ على إبداعات وإسهامات الأول، يتكأ على الخارج دون أن يقدم شيئاً ملموساً، لأنه الابن الشرعي لعملية "الاستيراد" شراء "حضارة" جاهزة بكل وسائلها ما يخدم عقلية النظام ورجال الدين دون أن تمس قواعد البنى الفوقية. فالتطور المشوه الذي يعاني منه المجتمع والإنسان في الجزيرة العربية، ينطلق من قاعدة "مكره أخاك لا بطل" أي دون رغبة أو "حب" متأصل في نفوس وأذهان القائمين على إدارة هذا المجتمع. ولهذا فإن هذا التطور بالضرورة يحمل بين ثناياه كوارث وفواجع ستبرز في المستقبل القريب، بالرغم من أن بعض تلك الكوارث أو الفواجع قد ظهر بعضها. وللبرهنة العملية على ما يجري في

"السعودية" بأنه تطور مشوه لم يتأصل بعد في الواقع الاجتماعي الحي و لم يزعزع "ذهنية المواطن" نورد الشواهد التالية:

1 – شكل ودوافع تمرد العتيبي:

لم تكن الدوافع السياسية والدينية والأخلاقية، من فساد إداري وخلقي ورشوة وتبذير ناهيك عن الاستئثار بالسلطة هي وحدها التي شجعت "جهيمان العتيبي" ورفاقه على التمرد أو الانتفاضة المسلحة ضد العرش السعودي وضد بعض الرموز الدينية البارزة داخل المؤسسة الدينية، بل هناك محرك آخر، لم يقف عنده المحللون – لا يقل أهمية من تلك الدوافع الآنفة الذكر – شجع "العتيبي وجماعته" في الإسراع على إعلان تمردهم الشهير في "مكة المكرمة عام 1979م، إلا وهو عامل "الانفتاح والتحضر" النسبي الذي شهده المجتمع في الجزيرة العربية ما بين نهاية عام 1974م – 1979م ووقوف "جهيمان العتيبي" والتيار السلفي ضد هذا الاتجاه أو "الانفتاح الحضاري" الذي عصف بالبلد فجأة فقد ارتاع التيار السلفي الوهابي وأنصارهم، من شكل انفتاح البلد على مصرعيه أمام الشركات العالمية وتدفق مئات الآلاف من العمال الأجانب – غير العرب – على البلد ومن أقطار وبلدان لم يسمعوا بها من قبل: كوريا الجنوبية، تايلند، فليبين... إلخ. فما بالك وجودهم بأعداد هائلة في كافة المدن الرئيسية والقرى وينتمون إلى ديانات واعتقادات تهز أعصاب الوهابي وتجعله يخرج من طوره؟ وقد فسَّر بعض الوهابيون وجود هؤلاء الأجانب، بمثابة المقدمات الأولى لقيام "الساعة" فظهرت بعض الكتابات على جدران البيوت والشوارع تندد بقدوم هؤلاء "الكفار" إلى أرض "الأنبياء" الطاهرة. ويطالبون السلطة بالإسراع في التخلص من "هؤلاء" عبر "تسفيرهم" كما كثر اللغط – آنذاك – في مجالس الوهابيين وتيارهم ينتقدون سياسة السلطة التي سهلت لهؤلاء للدخول إلى البلد لينافسوا "أهل العقيدة في ديارهم". وهم في نقدهم الديني المتشدد هذا لا يطرحون حلولاً أو بديلاً متقدماً، بل لم يبادر في ذهنهم، من هي القوة العاملة البديلة التي تستطع أن تحل محل هؤلاء "الكفار" لتواصل عملية النهوض العمراني وتشغيل ماكنة الإنتاج الصناعي والزراعي السائدين في البلد؟! وبما أن التيار الديني المتشدد عاجز على إعطاء البديل، فهو – أساساً – لا يملك غير "الرفض اللفظي وبما أن السلطة لم تتجاوب مع هذا الطرح المتشدد، استغلل "جهيمان ورفاقه" هذا العامل وشجعهم على الإسراع بالانتفاضة المسلحة في "مكة" ليظهر بمظهر "المنقذ" للتيار الديني، بل للبلد من وجود هؤلاء الأجانب ويظهر

التعصب الديني تجاه "الغرباء" والرفض لتحديث البلد وتطوير المجتمع نحو الأفضل، على الشكل الآتي:

- تمرد "العتيبي" في مكة، يدل على معنى وموقف "أنه أرادها" ثورة دينية – وهابية، صافية، لا مجال لمشاركة الغرباء أو استغلال الانتفاضة المسلحة لأنها حصلت في مكان "مقدس" لا تجرىء أقدام هؤلاء الغرباء على دخول هذه المدنية، المحرم عليهم أصلاً دخولها.

- أعلن العتيبي على الملأ بظهور "المهدي المنتظر" الذي طالما كان الوهابيون، بشكل خاص ينتظرون خروجه – بفارغ الصبر – وها هو الآن أمامهم متمثل بشخصية محمد بن عبد الله القحطاني، الذي سيملأ أرض الجزيرة العربية عدلاً بعد أن ملئها آل السعود جوراً وسيطهر أرض "القرآن والعقيدة" من رجس هؤلاء الغرباء ولكن انتفاضة "جهيمان العتيبي" فشلت بشكل مأساوي للأسباب التالية:

- أنه تمرد في مكان معزول عن حركة الشارع العام، تمرد داخل الحرم المكي على طريقة عبد الله بن الزبير ولم يتمرد داخل حلبة الصراع الاجتماعي الطبقي، ليقطع الطريق – عن عمد – أمام مشاركة أية من القوى الاجتماعية – السياسية في الجزيرة العربية.

- شكل تمرده، استهانه بالشعب وقدراته الخلاقة، ناهيك عن احتقاره المباشر للقوى العاملة التي أشادت على أكتافها هذه (الصروح الحضارية) وما تعرضت له من بؤس وظلم النظام والمقاولين الجشعين. فقد اعتمد على "شخصية المهدي الوهابي – المنتظر – لتحل محل قدرات "الشعب بكافة فئات وطبقاته". فليحمي هذا المهدي المنتظر – جهيمان العتيبي ورفاقه من غضب العرش السعودي وخيانة كبار رجال الدين له.

- عدم تجاوب جهابذة "الفاتيكان الوهابي" مع ثورة العتيبي، لأنه في نظرهم خرج عن بيت الطاعة الوهابي وتمرد على "إمامه المسلم" مما سهل للعرش السعودي محاصرة ثورته وتصفيته. وإذا كان التيار الديني الرسمي انتقد بشدة "انتفاضة جهيمان" ووصفوه هو ورفاقه بأبشع النعوت، إلا أنهم داخلياً منسجمين مع كثير من إطروحاته، خاصة فيما يتعلق بطرد "الأيدي العاملة الأجنبية" أو تقليصها وعدم قيام المجتمع المدني الحديث داخل المملكة.

2 – موقف الجمهور الوهابي:

بعد فشل "الانتفاضة المسلحة في مكة" وإعدام قائدها "جهيمان بن عبد الرحمن العتيبي" مع أربعة وستين من رفاقه في عدة "مدن" سعودية، برزت عدة تكتلات "سرية" داخل المؤسسة الدينية لها مواقف متباينة وعلنية من مسألة "تحضير وتطوير المجتمع" فشهد الشارع العام موجات قوية من "ردة حضارية" تجتاح صفوف الشبيبة لم تتوقف أو تجف منابعها حتى وقتنا الحاضر لكونها "موجات" ليست عابرة أو وقتية ولا هي عفوية أو إنتاج فئة اجتماعية محدودة الأثر والتأثير ومعزولة عن القرار السياسي والاجتماعي، بل تعبر عن مواقف قوى اجتماعية لها ثقلها المادي والمعنوي على أفراد المجتمع وتمسك بيدها مفاتيح قمم حساسة: الثقافة، التعليم، التربية، الرقابة الدينية والاجتماعية ووصايتهم الكاملة على المرأة... إلخ. وطبيعياً – والحال هذه، أن تكون الردة ظاهرية وقوية وأحياناً متطرفة جداً – كما سنرى. وبالرغم من تباين في موقف الجمهور الوهابي ومؤيدوه، إلا أن الجميع يشدهم قاسم مشترك واحد لا مساومة فيه، إلا وهو وقوفهم جميعاً أمام أي تطور أو تقدم نحو بناء المجتمع الإنساني الحديث ويمكننا تقسيم مواقف الجمهور الوهابي تجاه مسألة التحضر والتقدم داخل المجتمع الجزيرة العربية إلى ثلاث مجموعات.

المجموعة الأولى:

وهم الأقلية، اتخذت مواقف متطرفة وصبيانية في عدائها الصارخ والعلني ليس من الوجود المكثف: للقوى العاملة الأجنبية فحسب، بل من دخول الوسائل الحضارية الضرورية والترفيهية وانتشارها داخل البلد معبرة عن ذلك بازدرائها الكامل لتلك الوسائل في ممارساتها اليومية داخل المجتمع وفي بيوتهم الخاصة، لأنها وسائل "شيطانية لم يستخدمها السلف الصالح. وذلك في رفضهم استخدام الكهرباء والاكتفاء بضوء الشمعة!! أو الفانوس، إسوة بالسلف الصالح والابتعاد عن امتلاك الوسائل الحضارية مثال: عدم سماع الراديو أو مشاهدة التلفاز... إلخ. وقد انطلقت هذه العناصر تبشر بـــ"فلسفتها" بحماس وحيوية داخل الأزقة والشوارع العامة وهي مرتدية الثياب القصيرة، محذرين الجمهور من عدم الأخذ بأسباب "التحضر" والجري اللاهث وراء "ملذات الدنيا" وزخرفتها، مبشرين – في الوقت نفسه – بقرب موعد "قيام الساعة" وهؤلاء النماذج يمكننا أن نطلق عليهم

بـــ"دراويش المؤسسة الدينية الوهابية وضحاياها". وهم في طبيعة الحال يختلفون تماماً عن "دراويش العصر العباسي الثالث" الأوائل يحاربون التحضر والتقدم عن قناعة نابعة من موقف ديني – قبلي ضيق والأواخر – دراويش العصر العباسي، متمردين بشكل سلبي على ظلم الدولة العباسية وهم في نفس الوقت غير معادين للتطور الفكري أو الحضاري ولا هم متعصبون دينياً على الطريقة الوهابية.

المجموعة الثانية:

وهم يمثلون التيار الديني الرسمي الواسع الانتشار بين صفوف "القاعدة المتوهبة" وبين صفوف المحافظين، وهؤلاء لا يقلون تشدداً وعدائاً للتطور الحضاري في البلد من المجموعة الأولى. ولكنهم أكثر ذكاءاً وحذلقة من المجموعة الأولى في طرح أفكارهم المسمومة والمعادية لتطور المجتمع والإنسان في الجزيرة العربية. فهم لا يحاربون دخول الوسائل الحضارية، كما فعلوا بالأمس، فقد لمسوا فائدتها في تحكمهم في مراقبة ومسيرة الإنسان ولكنهم بالمقابل وقفوا – ولا زالوا – يحاربون بشراسة أية بوادر فكر جديد أو فلسفة جديدة ويشجعون المواطنون والمواطنات عبر أساليبهم التضللية على الابتعاد عن "سموم الحضارة الإنسانية" ويقف على رأس هؤلاء كبار العلماء والقضاة والدعاة المسيطرين على إدارة وتوجيه "الفاتيكان الوهابي" ففي مقالة للوهابي المتشدد "عبد العزيز المقحم": هذه الحضارة تنسينا الآخرة، تلخص لنا النظرة العدمية للحياة لدى الوهابيين وعلى مدى ازدرائهم للتطور. يقول الأستاذ المقحم: صحيح أننا ننعم ما يسر الله لنا من هذه الكهرباء والسيارات والهواتف وغيرها، ولكن قد كان جدي وجدك أشبه حياة بحياة التابعين والسلف الأولين كل ما لدى الواحد منهم بيت من الطين بداخله موقد النار وببابه مربط الحمار ويشرب الماء من قربة معلقة وحياته دون الشياطين معلقة وما هي إلا سنوات معدودة حتى يجيب داعي الله وكان ذلك أنفع لهم في أمر دينهم[1] وردنا على هذا "الوهابي الكارثي" ما يلي:

---

[1] مجلة الدعوة، العدد 1598 بتاريخ 3 يوليو 1997م.

أولاً: إن الله لم ينعم على "الكاتب وتياره المتشدد" بهذه الوسائل الحضارية لأنها أساساً من إنتاج أرضي ولم تكن من إنتاج سماوي حتى يجبرها الوهابي لنفسه. إنها إنتاج شعوب ناضلت وتفاعلت مع سنن التطور.

ثانياً: إذا أصر "الكاتب" بأن هذه "الاختراعات" من عند (رب العزة والجلال، فلماذا تتنكر وتتهرب من أشياء وهبها الله لك؟!

ثالثاً: إذا كانت هذه "النعم" من عند الله، فهذا يعني إن الله سبحانه وتعالى خص بها الكفار – حسب تعبيركم – منذ قرون ولم تدخل تلك الوسائل الحضارية إلى بلد الموحدين إلاّ في الأمس الأول.

رابعاً: إما وصفك بأن حياة "السلف والتابعين" كان محصوراً ضمن الإيقاع الثلاثي الوهابي، موقد نار ومربط حمار وقربة معلقة على جدار وصف يتبخر أمام منجزات الحضارة العربية – الإسلامية. دخل أديب، على الخليفة المأمون العباسي فأنشده قائلاً:

أمسى إمام المهدي المأمون منشغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغيلُ

فرد الخليفة المأمون غاضباً: ما زدت عليَّ أن جعلتني عجوزاً عاجزة عن الحياة.

وأخيراً ما أسعد قلوب قادة "البيت الأبيض" وهم يسمعون هذه التنظيرات في بلد البترول الأول على الصعيد العالمي!!

المجموعة الثالثة :

يمثلون التيار الديني المعارض لسياسة العرش الداخلية والخارجية كما وان لهذا التيار مواقف ناقدة لكبار قادة المؤسسة الدينية الوهابية وبالمقابل تضم هذه المجموعة عدة تيارات دينية سياسية متباينة في مواقفها من الاصلاحي ، جماعة الدكتور سعد بفقيه الى السلفي المتشدد في مواقفه . وهذه المجموعة وإن اختلفت في مواقفها " العقلانية " عن المجموعة الاولى والثانية والاقرار بالانفتاح وعدم ازدراء بالعلوم الانسانية .....الخ.خاصة وان بين صفوفهم من حاز درجات علمية عليا الا انهم يلتقون مع المجموعتين الاولى والثانية على قاعدة سلفية واحدة على موقف واضح في محاربتهم للمسائل الاربع الاساسية والتي لاغنى لمجتمعنا عنها في هذه المرحلة والمسائل هي:

العلمانية .، الديموقراطية ، حرية المرأة ، حقوق المواطن الشيعي.

ولهذا يبقى هذا التيار عثرة حقيقية أمام تطور المجتمع والانسان في الجزيرة العربية وما صراعهم الحالي مع العرش الا هو صراع شكلي – مصلحي- لنيل نصيب أكبر بادارة المجتمع وحنق الانسان من جديد.

4– فقدان الهوية التاريخية

أعرق شعب عربي، فقد هويته التاريخية وهو في عقر داره، لم يجلى عنها قسراً و لم يخسر الحرب مع قوى خارجية أو داخلية و لم يتخلى عنها عن قناعة أو رغبة، هذا ما أكدته التجربة الوهابية – السعودية وإفرازاها السلبية على أرض الواقع الاجتماعي – كيف حصل اختفاء "الهوية التاريخية" والوعاء الجغرافي – التاريخي لشعب عريق حفر صدر التاريخ لآلاف السنين دون أية اعتراضات أو تحديات ملموسة.

كل شعب من الشعوب المعمورة، يعتز ويفتخر بهذا القدر أو ذاك، بهويته الثقافية "الوطنية" وبوعائه الجغرافي–التاريخي، الذي كونهما عبر مساره التاريخي الطويل والمتشعب ولا يساوم عليهما لأنهما تشكلان "هويته الأصلية" وبالمقابل تعكس هذه الهوية التاريخية الصورة الحية والمتجددة دوماً في حركة وثقافة وشخصية هذا الشعب أو ذاك، ناهيك أنها تشكل أحد أهم الصمامات للصمود الداخلي تجاه القوى الطامعة وتعزز بنية الاستقرار السياسي والأمن الاجتماعي لتطوير المجتمع نحو الأفضل.

وقد أدركت القوى الاستعمارية قديماً وحديثاً على ضرورة محو الهوية التاريخية والثقافية لهذا الشعب المراد تدجينه على رأس استراتيجيتها ليسهل لها خضوعه، بل وتميعه في محيط ثقافتها الاستعمارية – إذا أمكن –. لذا تحرص كل الشعوب الحية، على الحفاظ على هويتها التاريخية وتطويرها ما يتلائم ومصالحها وخصائص عصرها ولا تتنازل عنها إلا نحو الأفضل وعبر قناعة الأكثرية. وقد عانت كثير من الشعوب محن قاسية وطويلة ومع ذلك خرجت "منتصرة". لأنه من الصعب جداً – إذا لم يكن من المستحيل – ذوبان الهوية التاريخية والوعاء الجغرافي – التاريخي في آن واحد، لصالح هوية سياسية مغامرة قادمة من الخارج أو منبعثة من الداخل. ومع صعوبة هذا الأمر واستحالته، حصل هذا على أرض الجزيرة العربية، حيث فرضت الأسرة السعودية المالكة ثوبها السياسي على البلد ككل، كبديل تاريخي "للهوية الوطنية" لأبناء الجزيرة العربية، بعد أن تم لها سعدنة الإنسان والتاريخ والجغرافية معاً!!

متى حصل هذا وكيف وما خطورة مثل هذا العمل؟

سجل عام 1932م الإعلان الرسمي "للسعودة" كبديل سياسي أولاً بعد أن تم إطلاق ثلاث كلمات قاتلة تجاه "الهوية التاريخية: المملكة العربية السعودية" كبداية لوضع حد فاصل بين المواطن وبين وعائه الجغرافي—التاريخي وتراثه العريق، هذه الكلمات الثلاث، تشير بوضوح على تبعية المواطن للأسرة المالكة، لغياب ذكر الاسم التاريخي للبلد — عن قصد — بجانب الأسرة المالكة. فأصبحت الأسرة السعودية المالكة هي الأرض، هي الثقافة الوطنية، هي الوعاء الجغرافي—التاريخي، هي السيادة! من هنا جاءت بسهولة ومرت بكل سهولة كلمة "تابعية سعودية" ذات الرائحة العبودية المعممة بدلاً من "الجنسية الجزيرية" عبر ترحيب حار من قادة "الفاتيكان الوهابي" الذين كانوا — ولا زالوا — يتحسسون من كلمة "جنسية" المثيرة للغرائز —حسب تعبيرهم— بهذا تمت الخطوات الأولى والأساسية في طريق "سعودة الإنسان والأرض". وكان من الأجدر والأفضل للعائلة السعودية المالكة، الابتعاد عن هذا المنزلق الخطير والمشوش على مسار الإنسان والمجتمع وأن تكتفي مثلاً بإطلاق السعودة على الهوية السياسية مثلها مثل ما فعلت غيرها من "الممالك المغايرة أو الحاضرة: مملكة المناذرة في الحيرة — العراق — مملكة الغساسنة في الشام، ملوك سبأ وحمير في اليمن، المملكة الهاشمية في العراق — سابقاً — والأردن حالياً الشاهنشاهية القاجارية والفهلوية في إيران — سابقاً، المملكة الأدريسية في المغرب... إلخ. وعلى هذا المنوال يحق لها كأسرة أرستقراطية مالكة — عبر السيف والفتوى — أن تفرض وتؤكد على هويتها السياسية والأيديولوجية مع الحفاظ والاحترام على ربط اسمها بالاسم التاريخي والهوية التاريخية لهذا البلد. **كقولها**: المملكة العربية السعودية في الجزيرة العربية، المملكة السعودية — الإسلامية في الجزيرة العربية.

وطرح مثل هذه الأسماء والصيغ، لا تشكل نشازاً ولا غرابة لا في السماع ولا في القراءة، ولكن الأسرة السعودية، ابتعدت عن هذه "القاعدة العامة" ولم تتعظ، بل أخذها الغرور والهوس لدرجة الاستخفاف بالإنسان وبالمجتمع وبالتاريخ وأن تصر على مواقفها ومن جعل "السعودة" أو "السعدنة" كبديل للهوية الثقافية وللهوية التاريخية في آن واحد وأن تقحم تراث عريق كالتراث التاريخي لأبناء الجزيرة العربية داخل بوابة "القصر الملكي السعودي" بعد صهره وتطهيره ليتمشى منسجماً مع هوية "السعودة" أنه أمر عجب ومهما قيل عن نجاح الأسرة المالكة في مشروعها السياسي والإيديولوجي في "سعودة" الشعب والجغرافيا! إلا أنه نجاحاً مؤقتاً ومعرضاً للانفجار القريب والخطير. فمصطلح

"السعودة" لوحده وفي المجال السياسي لا يثير فينا الغضب أو الاندهاش، لكونه مرتبطاً بالهوية السياسية ومعبراً عن مصلحة وهوية هذا النظام. ويقف عند هذا الحد. ولكن عندما يحل محل "الهوية التاريخية" ويبتلع الوعاء الجغرافي – التاريخي لصالح هويته السياسية أو اسمه "العائلي" يفجر الغضب والاستياء والاندهاش، لا في نفوس أبناء الجزيرة العربية فحسب، بل في نفوس كل الواعين ومحبي المعرفة في عالمنا المعاصر، لأنه مصطلح لا يفصل أو يقتلع المواطنين من جذورهم الأصلية فحسب، بل يشعرهم دوماً يعمق الإهانة المباشرة واليومية لكرامتهم وكبريائهم، حيث تحولوا إلى –أقنان– تابعين للقصر الملكي السعودي. وقبل ادعاء "النظام" وأجهزته الإعلامية بالتحرر والتحضر والتقدم الذي يشهده "المجتمع السعودي"! من الأولى التخلص أولاً من هذه الازدواجية في الهوية وفي الشخصية، لينسجم على الأقل الدعاء العام بالتطور والتقدم.

إذ كيف يمكن الحديث عن مجتمع مدني متحضر وعن حقوق المواطنين وهم في نفس الوقت "سعوديين"؟! أي مسلوبين الإرادة والهوية التاريخية وتابعين للسيد السعودي المطلق.

لسنا بصدد شرح الظروف الموضوعية والذاتية التي ساعدت الأسرة السعودية المالكة على التوغل في تطبيق وتعميم السعودة: دور رجال الدين المتواطىء مع الأسرة المالكة في استخدام "الدين" لصالح تكريس "السعودة"، التخلف الاجتماعي وانتشار الأمية آنذاك وضعف الحركة الثقافية بجانب الحركة السياسية المعارضة... إلخ. الذي يهمنا الإشارة إليه هنا، هو الكشف عن بعض الأساليب والخطوات التي اتبعها العرش السعودي في تمنين وتثبيت نسيج "السعودة" في الداخل والخارج لإظهارها كبديل نهائي للهوية التاريخية الأصلية وذلك عبر:

أ – طرح مفاهيم ومقولات وشعارات سعودية وتكرارها اليومي عبر أجهزة النظام الإعلامية الضخمة، تمهد الطريق بهدوء وسلام "لسعودة" الإنسان، عبر كسر الحاجز أو الحواجز النفسية المتبقية في ذهنية ونفسية هذا المواطن أو ذلك لزعزعة قناعاته ولتضع حداً فاصلاً – إذا أمكن – بين المواطن وبين ماضيه العتيد، ليطل على العالم بهويته الجديدة "السعودة" وكأنها شيء طبيعي في مسار تطور المجتمع والإنسان في الجزيرة العربية وذلك من خلال مصطلح: مواطن سعودي ومواطنة سعودية والتركيز عليهما عبر الصحف والمجلات والأجهزة السمعية والبصرية... إلخ. دون أن يعِ النظام السعودي

ومؤدلجوه، بأن هذا المصطلح هو أكثر المصطلحات استلاباً لجوهر الإنسان، بل وأكثر إيلاماً في نفسية وذهنية المتعلمين والمتعلمات من أبناء هذا البلد، لا لكونه يشعرهم بالاغتصاب التاريخي لهويتهم الأصلية فحسب، بل لتناقض الشنيع بين مصطلح "السعودة" ومفهوم "المواطنة" فهما شيئان متناقضان ومتضادان على طول الخط: الأولى "السعودة" لن تسود وتتمركز على أرض الواقع الاجتماعي لتظهر "أصيلة" ولتطل على العالم الخارجي متماسكة في بناء هويتها إلا بسلب كامل لحقوق الثانية – أي المواطنة – والمواطنة بدورها لا تتكامل في بناء شخصيتها وبعدها الإنساني وتنال حقوقها المشروعة لتمضي قدماً للأمام في إرساء مجتمعها المدني الحديث وفي بناء هويتها التاريخية ما ينسجم وخصائص عصرها إلا بإلغاء الصفة الأولى، العبودية عنها أي إلغاء "السعودة" وسيظل الصراع قائماً ومستمراً فإذا غاب أو خف هذا الصراع بين "السعودة" والمواطنة في السنين السالفة، بفعل المخدر الديني الوهابي، إلاَّ أنه سيتفجر يوماً مع وعي الشعب لذاته ووفائه لتراثه وهويته التاريخية. لأن هناك مغذيات يومية عديدة لهذا الصراع، مهما حاول العرش السعودي، من استخدام أساليب التضليل: من رفع القدرة الشرائية لدى المواطن ليعيش: بترولي – سعودي مرفه ومدجن وفارغ لعلى وعسى أن ينسى أصله، هويته التاريخية. إلا أن هذا حلاً موقتاً يصطدم يومياً بالعديد من الأسئلة الهامة التي يطرحها هذا المواطن أو ذاك تارة مع نفسه وتارة مع الآخرين.

هل "السعودة" هوية سياسية أم أبعد من ذلك هوية ثقافية وتاريخية وجغرافية؟

هل "السعودة" انسياق تاريخي—طبيعي منسجم مع مسار وتطور الإنسان والمجتمع في الجزيرة العربية أم هي عطب تاريخي هدفها لوي عنق التاريخ؟

هل سيدخل الشعب، القرن الواحد والعشرين بهويته "السعودة" أم يدخله عبر الرجوع لهويته التاريخية الأصلية؟

هل نحن سعوديون أم أبناء الجزيرة العربية وما الفرق بين الاثنين على المستوى الثقافي والنفسي وحركة التاريخ؟ هذه الأسئلة وغيرها ستضع السعودة، والضاربين على وترها ورافعين "خلودها" على المحك العملي. إذ سرعان ما تنهار بنيتها الهشة ولن تصمد كثيراً أمام الوقائع التاريخية وأمام الحركة الاجتماعية داخل المجتمع. فما أن يسمع المواطن في الجزيرة العربية، أحداث سياسية هامة، سواء عبر الراديو أو من خلال مشاهدته للتلفاز

كلمة "نحن" تنطلق من حناجر حشد جماهيري غاضب وهادر في أحد الشوارع الرئيسية في هذا البلد أو ذاك، سرعان ما يهتز كيانه ومشاعره متفاعلاً بكل جوارحه مع تلك الكلمة الساحرة والبسيطة والطبيعية والمتعطش لنطقها جهاراً أسوة بالشعوب الأخرى، متسائلاً مع نفسه – أيضاً – من نحن؟

نحن المصريون لا نبيع مصر، نحن السوريون لا نتراجع عن الجولان، نحن العراقيون لن نركع للحصار، نحن الفلسطينيون، نحن المغاربة، نحن الجزائريون، نحن اليمنيون... إلخ. ترى هل يجرؤ لسان "المسعود" أو الواقع تحت تأثير "السعودة" أن يخرج هو وغيره من "المسعودين" إلى الشارع العام هاتفين بدورهم. نحن السعوديون لا نركع، نحن السعوديون لن نتخلى عن هويتنا! سيقولونها بأي لسان وبأي وجه متلعثماً أم خافتاً؟

بينما يقف في الجانب الآخر من الشارع الجمهور الأصلي، متطلعاً باندهاش ومتسائلاً: لماذا السعوديون خارجون للشارع محتجون؟ محتجون على ماذا؟ على أهلهم المسلوبة حقوقهم؟ أم محتجون خوفاً من ذوبان هوية "السعودة"؟

إن الاحتجاج السياسي أو المطلبي يثوب "السعودة" وفي ظل الحكم السعودي، لا معنى له، بل هو سخرية أمام العالم والتاريخ. أما إذا كان الاحتجاج الجماهيري خارج عن إطار أو هوية "السعودة" وينطلق من حناجر هادر وغاضبه: نحن أبناء الجزيرة العربية لا نركع للأمريكان، لن نقبل بديلاً عن هويتنا التاريخية وبشكل "عبودي - مذلّ" فهذا الاحتجاج طبيعي وسليم تطرب له القلوب والأسماع وتردد وديان وشعبان الجزيرة العربية صدى ذلك الصوت التاريخي المقطوع منذ زمن عن جذوره الأصلية.

ب – **سعودة الأسماء:** إطلاق أسماء الإلهات – ذكر أو أنثى – على المعابد المقدسة ونصب التماثيل الضخمة لهما في الأماكن المقدسة والعامة سواء ليترك أو لإجلال مقامهما من التقاليد العريقة للحضارات القديمة: حضارة وادي النيل "مصر" حضارة وادي الرافدين: العراق، إيران، سوريا، الإغريق، الهند والصين. وفي العصر الحديث حل تماثيل كبار الملوك والقادة والأبطال التاريخيين محل تماثيل تلك الإلهات، ثمة نشر أسمائهم على الساحات العامة والمؤسسات الحكومية، لتذكير هذا الشعب أو ذاك بما قدموه من خدمات لشعوبهم. ولا يستثنى من هذا لا حزب ديني ولا علماني في الشرق أو الغرب.

أما في السعودية، فالأمر يختلف تماماً، حيث نصب "التماثيل" ممنوعة ومحرمة وإطلاق أسماء الأشخاص العاديين، مكروه عند الوهابيين وأنصارهم، ما عدا أسماء الخلفاء الراشدين وكبار أئمة المسلمين من التيار "السني" والصحابة والتابعين. وهذا الموقف الديني المتشدد "حرم" على آل السعود ولفترة ليست بقصيرة من نشر أسماء ملوكهم وكبار أمرائهم حتى نهاية السبعينيات من القرن العشرين. ومع بداية الطفرة البترولية عام 1975م، برزت فرص تاريخية مؤاتية إلى آل سعود، لطفر على العادات والتقاليد "الوهابية" السائدة. فإذا حرموا من نصب التماثيل لكبار ملوكهم في الساحات العامة بفعل "الفيتو الوهابي" المتشدد، إلا أن الأمور مؤاتية تماماً لإطلاق أسماء كبار ملوكهم على واجهات الأماكن العامة والشوارع الرئيسية وعلى واجهات المؤسسة الحكومية... إلخ. وهذا ما تم فعلاً. حيث بدأت الأسوة السعودية المالكة، تطبق استراتيجية "سعودة" كل شيء ثابت ومتحرك وتكرار أسماء الملوك السعوديين وكبار الأمراء في هذه المدينة، أو تلك، بل وفي هذه القرية أو تلك. وإذا قام أحد المواطنين بإحصاء السلسلة الطويلة من أسماء كبار الملوك والأمراء السعوديين الذين أطلقوا أسمائهم على الواجهات والمؤسسات العامة لوجد نفسه أمام رقم خيالي يفوق عدد الأمراء والأميرات وخدمهم.. ولا يجد الباحث من تفسير علمي ومنطقي لهذا الطوفان من الأسماء المسعودة إلا تفسيراً واحداً، هو شعور الأسرة المالكة بعقد النقص والخوف. من الشعب لكي لا ينسى وجودها أو وجودهم، و"فضلهم" فطوقوه بأسماء المسعودة من كل الجهات ومن فوق وتحت ودونكم بعض الأمثلة أو النماذج:

جامعة الملك عبد العزيز في جده، جامع الملك عبد العزيز، مؤسسة الملك عبد العزيز الخيرية، دارة الملك عبد العزيز.

جامعة الملك فيصل في الدمام، جامع الملك فيصل، مؤسسة الملك فيصل الخيرية، جائزة الملك فيصل العالمية، شارع الملك فيصل. قاعدة الملك فيصل العسكرية... إلخ.

جامعة الملك سعود في الرياض، جامع الملك سعود، شارع الملك سعود...

جامعة الملك خالد العسكرية، مطار الملك خالد، جامع الملك خالد، شارع الملك خالد، مستشفى الملك خالد...

جامعة الملك فهد في الظهران، مطار الملك فهد في الظهران، مكتبة الملك فهد، استاد الملك فهد، مؤسسة الملك فهد الخيرية، شارع الملك فهد، جائزة الملك فهد لتحفيظ القرآن.. إلخ.

مستشفى الأمير عبد الله – ولي العهد، جامع الأمير عبد الله، جائزة الأمير عبد الله، قاعدة الأمير عبد الله، شارع الأمير عبد الله.. إلخ.

مؤسسة الأمير سلطان الخيرية، جامع الأمير سلطان، قاعدة الأمير سلطان، جائزة الأمير سلطان، شارع الأمير سلطان.

جامعة محمد بن سعود – عميد أسرة آل السعود. قاعدة الأمير تركي بن عبد العزيز، جامع الأمير نايف، شارع الأمير سلمان، جائزة الأمير سلمان... إلخ.

أما الأسلوب الأخطر والفريد من نوعه في التاريخ ولم يقدم عليه أحد قبل آل السعود ولن يقدم أحد عليه بعدهم – هو "سعودة" المؤسسات الحكومية والتراثية، تمهيداً بل وانسجاماً مع شعار "سعودة الوعاء الجغرافي – التاريخي" مثال: حينما يذكر أحدنا اسم الفن المصري أو العراقي، السوري، الجزائري... إلخ. فإنه ينطقها بشكل طبيعي والبعض بافتخار ناهيك عن ذكر أسماء بعض المؤسسات الحكومية أو الشبة الحكومية، الخطوط الجوية المغربية، المصرية، اللبنانية، الهلال الأحمر اليمني، الجيش الأردني، الجيش الليبي، النشيد الوطني الجزائري، التونسي، الحدود اليمنية أو السورية... إلخ. أما في السعودية، مؤسسة النقد السعودي، الفن السعودي، الثقافة السعودية، الفريق السعودي الرياضي، الحدود السعودية، الخطوط الجوية السعودية... إلخ. أسماء لمؤسسات حكومية وغير حكومية، كلها ترتدي "ثوب السعودة" لتنطلق من جذر عائلي واحد "سعود" والهدف الأساسي والوحيد، هو تكريس "السعودة" على كل شيء، لعلّ وعسى ينسى هذا المواطن أو ذاك الاسم الأصلي لبلده ولوعائه الجغرافي – التاريخي وأن يتفاعل مع هذا الطرح الجديد.

"ثوب السعودة" هذا لم يمتد بهذه السهولة ويحقق نجاحه في شمولية "الثوب السعودي" على أرض الجزيرة لو لم يحصل كل الدعم والتأييد من "الفاتيكان الوهابي" الذي أدلج بأن أرض الجزيرة العربية كلها مقدسة، امتداد لقدسية مكة. وهذا التعريف يتعارض تماماً مع الحقائق التاريخية التي تؤكد على أن قدسية مكة "قبل وبعد الإسلام" لا

تتعدى 12كم[1]. وقد وجد آل السعود بهذه القدسية الوهابية، خير مشجع على امتداد "ثوب السعودة" على أرض الجزيرة العربية، بل وليقترن "ثوب السعودة" بقدسية مكة، ليتجذر أكثر في نفوس المواطنين وفي الواقع الاجتماعي الحي!

ت – **سعودة الوعاء الجغرافي – التاريخي:** أخطر وأصعب عملية تواجه النظام السعودي اليوم، هي ما مدى نجاحه في "سعودة" الوعاء التاريخي، دون مضاعفات أو تمردات وهي عملية لم يقدم عليها أي نظام سياسي من قبل سواء كان دكتاتورياً أو ديمقراطياً جمهورياً أو ملكياً، دينياً أو وضعياً، لأنه من الصعب جداً تغيير أو تسخير الوعاء التاريخي وتدجينه كالعبد – الأسير – ليتنازل عن كبرياءه وتراثه التاريخي، ليتأقلم مع الاسم الجديد المنطلق من اسم عائلة مالكة وزائلة يوماً ما. ناهيك إن مثل هذا التغيير أو "الاغتصاب" منافي للقيم والأخلاق الكونية. لذا تجنبت كثير من الدول والأمبراطوريات – عبر التاريخ – هذه المسألة الحساسة واقتنعت بالهيمنة السياسية والثقافية والروحية على الشعب: الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، الدولة البويهية في العراق وإيران، الإمامة الزيدية في اليمن. الدولة الأموية في الأندلس... إلخ. فلماذا اختلفت الدولة السعودية عن مسار الجميع؟ وبماذا تميزت من خطوات عملية في هدم وطمس الاسم التاريخي الجزيرة العربية وأحلال السعودة محله؟ اتبع العرش السعودي عدة خطوات هامة وحساسة جداً لإضعاف التدريجي لملامح وأسس "الهوية التاريخية" لأبناء الجزيرة العربية وإثبات وتكريس هوية "المغتصب"الجديد "السعودة".

أولاً: الجنسية والجواز السعودي:

أهم الروافد اليومية المغذية بصمت وهدوء لهوية "السعودة" هما: الجواز السعودي والجنسية أو التابعية السعودية، فمن خلالهما تمت أكبر عملية تزوير في التاريخ، دون استنكار أو اندهاش لا من قبل الكتّاب والصحفيين ولا من قبل موظفي الجمارك والجوازات في المطارات العالمية أو على الحدود البرية. فإن الجميع أصبح ينظر إلى حامل الجواز السعودي، نظرة طبيعية، مثل ما ينظر إلى حامل الجواز الإيطالي، السوري،

[1] في كتابنا القادم "القدسية والديمقراطية في أرض الجزيرة العربية" شرح وافٍ لهذه المسألة.

الفرنسي، الصيني... إلخ. منطلق الجميع من بديهية، إن الجواز كوثيقة رسمية هامة جداً لا تمنح إلاّ لمواطني ذلك المكان الجغرافي – التاريخي الذي اسمه السعودية..

ومما عزز انتشار اسم "السعودة" كوعاء تاريخي – جغرافي على الصعيد العالمي بكل يسر وسهولة، ونسي الجميع تقريباً الاسم التاريخي – الأصلي "الجزيرة العربية أو شبه الجزيرة العربية" هو شهرة وغنى هذا البلد، بفضل ريع البترول. لكونه يتربع على أكبر احتياطي بترولي في العالم. ناهيك عن أنه المنتج الأول أو الثاني على الصعيد العالمي، حوالي ما بين ثمانية إلى عشرة برميل يومياً. ومنذ منتصف السبعينات أصبح – أيضاً – أكبر بلد في الشرق مستهلكاً ومبذراً للمنتوجات الغربية واليابانية ورافق ذلك، تدفق للعمالة الأجنبية بأعداد هائلة وصل عددها في أحد السنين إلى أكثر من خمس مليون عامل أجنبي بجانب مليون امرأة تخدم في بيوت الميسورين، تحولت "السعودية" إلى ورشة عمل كما تحولت إلى جذب وإغراء كل الطامحين والباحثين عن "ثروة العمر" وبشكل سهل وسريع جداً. ومما زاد من انتشار اسم "السعودة" على الصعيد العالمي، وجعل نطق اسمها بشكل طبيعي ومؤثر في نفسية السامع ولها "مكانة محترمة وفي عالم محترم، هو دور النساء الموسات العالميات، اللواتي ينتظرن هجرة "السعودي والخليجي" من أوكارهما بفارغ الصبر ومنتشرين في كل مكان يرتاده السواح البتروليين وبالأخص السعوديين. وحينما يلتقي السائح السعودي بأحدهن، سرعان ما يجد الترحيب الحار مع إطراء ينطلق من شفايف "شقراوات وسمراوات" ومطوقن عنقه بحنان هامسين في أذنه: أنتم السعوديون خير ناس، فينسى "المسعود" نفسه في هذه اللحظات بأنه "ابن الجزيرة العربية، ويسرح مع أطرائهن وبعضهم ينتفخ مثل "أبو الريش".

ثانياً: المساعدات السعودية:

عامل حيوي وأساسي في تغذية ودعم هوية السعودة" خارجياً وبما أن النظام السعودي يحتل المرتبة الثانية أو الثالثة على الصعيد العالمي – بعد أمريكا – في تقديم المساعدات المالية والعينية للدول العربية والإسلامية بشكل خاص، بشكل قروض بعيدة الأمد وبفوائد رمزية ومعظمها لا يسترد، عرفنا مدى أهمية سمعة السعودية، على الصعيد العالمي. فالدول الصناعية، تجدها خير مثال لتصريف منتوجاها المتنوعة: العسكرية

والكترونية والاستهلاكية... والدول الفقيرة، تتطلع بلهفة إلى كسب ود وصداقة هذا النظام ولو جاء هذا على حساب تقديم بعض التنازلات في المواقف السياسية لنيل بعض المساعدات المالية السعودية. فالأنظمة التي تقدم تنازلات أو تغض النظر على المواقف السياسية للنظام السعودي، سهل عليها الابتعاد عن تهمة النظام بسرقة الوعاء الجغرافي — التاريخي مثل ما هو سارق لثروته الوطنية. وفي الحقيقة شكلت المساعدات السعودية سلاح فعال وقوي بيد الأسرة المالكة لشراء وإخراس آلاف من الكتَّاب والصحفيين والفنانين في الشرق والغرب. وقد صرفت السعودية، خلال العشرين عاماً المنصرمة من 1977م إلى 1998م أكثر من مائة مليار دولار كمساعدات لا تسترد و75 مليار دولار كقروض طويلة الأمد. ناهيك عن المساعدات الخفية التي لا يعلن عنها.

ثالثاً: الوفد السعودي:

ما يميز الوفد السعودي عن بقية الوفود داخل الأمم المتحدة وخارجها، كونه هو الوفد الوحيد في العالم القادر على أن يدخل جميع المباحثات بثقة عالية، دون خوف أو حرج أو أدنى شعور بالفشل مهما كانت تلك المباحثات صعبة ومعقدة، سواء على الصعيد العربي — الإسلامي أو العالمي. وهذه "الميزة" التي ينفرد بها هذا الوفد، ليست نابعة من كفاءة ومقدرة وذكاء حاد يغوص في ماهية الأشياء ولا من فن المراوغة أو النفس الطويل في مباحثاته مع الأصدقاء أو الخصوم في حالة الحرب أو السلم، بل عائد بالأساس بأنه "وفد مزدوج" يمثل نفسه العائلة المالكة، وبمثل الوعاء الجغرافي — التاريخي الذي تجسد وتغمس في شخصيته عبر الجذر "سعود" ومن يصبح هو السيادة وهو في نفس الوقت الناطق السياسي والرسمي والوحيد لتلك السيادة، لا يجد إطلاقاً أي حرج أو خوف من أسوة الاتفاقيات التي يعقدها مع هذا البلد أو ذاك، سواء ضمت تلك الاتفاقيات تنازلات عن أراضي أو تأجير أراضي لأغراض عسكرية عدوانية على أرضه، لأن السيادة الوطنية لم تمس ولم تهان حسب اعتقاده — أي الوفد السعودي — لكونها حية ناطقة ومجسدة في شخصية وديناميكية العائلة السعودية المالكة، وما دامت العائلة السعودية بخير وماسكة أمور البلد والإنسان والوعاء الجغرافي امتداد لجسمها، إذاً لا معنى الحديث عن تنازلات أو خيانات... إلخ. من هنا يجب أن يفهم القارىء سر سرعة الإنزال الأمريكي — العسكري الضخم على أرض الجزيرة العربية عام 1990م والذي تم بكل يسر وسهولة وبموافقه كبار

رجال الدين الوهابيين الذين طالبوا من "السيادة السعودية" تطعيم القوات العسكرية – الإمريكية بقوات عربية وإسلامية لإنقاذ "وجه الشرع" وهذا الوجود العسكري الأمريكي لم يكن الوحيد على أرض المملكة فمنذ أكثر من ثلاثين عاماً والقوات الباكستانية موجودة، أي منذ حرب اليمن والتي اشتد سعيرها في عهد الملك فيصل والذي طالب بوجودها منذ عام 1965م ويزداد عددها العسكري ويتحصر، حسب التطورات السياسية في المنطقة.

من هذه الزاوية، يجب أن يدرك المواطن والقارىء، ما مدى خطورة "سعودة" الوعاء الجغرافي وادعاء أيديولوجية ما أو عائلة ما بأنها هي "الجذر التاريخي" لذلك الوعاء الجغرافي ومن ثم سهولة نفي "الهوية التاريخية" لهذا الشعب!

ولنا في الوفد السعودي الذي زار اليمن مؤخراً، خير مثال على ذلك، حيث اصطحب الأمير عبد الله – ولي العهد السعودي – معه 17 عضواً يمثلون "الوفد السعودي" من بينهم 12 عضواً يتحدرون مباشرة من الأسرة المالكة وثلاثة أشخاص هم فعلياً امتداد لجسم الأمير عبد الله – من آل تويجر أو "التويجريين" ولم يبقى إلا اثنان هم من الرعايا المسعودة ممثلين عن السيادة السعودية.

5- تركي الحمد والسعودة

لسنا بصدد نقد آراء وأفكار "تركي الحمد" الهروبية دوماً من مرارة وحرارة الواقع الاجتماعي في الجزيرة العربية، فهو لم يأتي بشيء جديد على الصعيد الفكري أو الفلسفي، فقد هدر جهده وغاص في بحر العموميات والأحكام القاطعة – كما سنرى – صب غضبه على "المثقف العربي" واتهم الجميع بعدم استيعاب وفهم المتغيرات. هذا شأنه الشيء الذي استوقفنا ودفع بنا لرد عليه، هو طرحه أو مفهومه الغامض تارة والخاطيء تارة أخرى للهوية، ناهيك عن فهمه وتفسيره للعولمة.

يقول الأستاذ تركي الحمد: "عن أزمة الهوية، هو أمر يوجد في الذهن أكثر من وجوده على أرض الواقع الاجتماعي، فالأزمة ليست في الهوية ذاتها ولكنها في العقل المأزوم غير قادر على استيعاب المتغيرات، ثم يضيف قائلاً: إن الهوية متغير اجتماعي مثل أي متغير آخر"[1].

أولاً: عن أية هوية يتحدث؟ وفي أي بلد أو أرض يقصد؟ هناك هوية سياسية وهوية ثقافية وهوية تاريخية، ولا حديث عن الهوية التاريخية دون التعرض للوعاء الجغرافي وتحديده. أما إذا كان يقصد في حديثه عن "أزمة الهوية" هي "الهوية الثقافية" على المستوى العربي، فقد بالغ وابتعد كثيراً عن الواقع العربي الملموس، حيث الأزمة الحادة والحديث الراهن والرئيسي دوماً في الشارع وفي البيت وفي الجامعات والمقاهي في السر أو العلنية ومنذ عشرات السنين. هي أزمة الحريات الديمقراطية في البلدان العربية، علاقة الأنظمة وأجهزتها القمعية بشعوبها علاقة استبدادية، انتشار الفساد الإداري، أزمة البطالة..... إلخ.

وهذا حديث آخر، فاليمني والسوري والمصري، والعراقي، والأردني.. إلخ. لا يعانون اليوم من مشكلة الهوية، ولا يغصون في بحرها، فمعانتهم حياتية – مادية، مرتبطة بشروط تحسين أوضاعهم المعيشية، وإرساء أسس المجتمع الإنساني المتحضر لضمان الحاضر والمستقبل، فهم لا يعانون من نقص أو تأزم، من هويتهم الأصلية شأنهم شأن "المسعودين"

---

[1] تركي الحمد "الثقافة العربية في عصر العولمة"، دار الساقي، لندن، 1999م.ص18

اليوم. هناك بعض الكتاب المغاربة، الذين أغرقوا أنفسهم في الحديث عن مسألتين: الهوية والايستمولوجية — علم المعرفة — ويظهر أنك وقعت تحت تأثيرهم. فكلما هوى سوط الملك الحسن الثاني "الراحل" أو الملك الحالي — على ظهر الشعب المغربي كلما غاص أولئك الكتاب في البحث عن الهوية! وآخرين أسهبوا في الحديث عن الإبستمولوجية" ولكن ابستمولوجيتهم هذه، نراها ترقص عارية ثم تنحني وتذوب أمام القصر الملكي في الرباط بكل هدوء واحترام. شأنهم شأن كثير من المطاوعة وفقهاء رجال الدين الوهابيين الذين ينصحون الشعب ويلاحقونه ليلاً نهاراً بوصاياهم. نراهم أيضاً ينحنون بكل مذلة أمام القصر الملكي السعودي في الرياض.

أما إذا كان الحديث موجهاً عن طريق غير مباشر، لأبناء الجزيرة العربية وتحذيرهم من أن المطالبة، بالعودة إلى الحديث عن الهوية التاريخية الأصلية هي نابعة من العقل المأزوم، فقد أخطأ خطأً شنيعاً، لأن من حق أبناء الجزيرة العربية أن يتساءلون وبإلحاح، عن مصير "هويتهم الوطنية والتاريخية" والإسراع بتصليح العطب التاريخي هذا، أسوة بالشعوب الأخرى.

إذ كيف يتم السكوت والرضا عن "هوية سياسية — عائلية" ابتلعت الهوية التاريخية والوعاء الجغرافي معاً، ليس من صالح الأفضل كبديل متقدم، بل لصالح الأسوء؟!

هل الاعتراف بثوب "السعودة" يعني الانسجام مع المتغييرات؟ ومنذ متى أصبح الوهابيون والسعوديون يسيرون مع المتغيرات؟!

ثانياً: إن الهوية متغير اجتماعي مثل أي متغير آخر، كلام سليم، ليس هناك شيء خالد أو ثابت لا أفكار ولا أنظمة ولا كائنات، أمام الحركة الجدلية لتطور التاريخ والإنسان وبعد عدة أسطر يقع "الكاتب" في تناقض واضح، يقول الأستاذ الحمد:

"لنفترض أنني أنا ابن القرن العشرين الميلادي قابلت شخصاً من أبناء القرن الرابع الهجري فسألني التعريف بنفسي، فقلت: عربي — مسلم، وسألته التعريف نفسه فقال: عربي — مسلم، فهل كان كلانا يعني الشيء نفسه بهذا التعريف؟ لا ريب أن الهوية واحدة في هذا المجال ولكنها ليست واحدة في الوقت نفسه. إذا عدنا إلى معادلة الشكل والجوهر المتحدث عنها سابقاً فرغم اتفاقنا على القول بالعروبة والإسلام ولانتماء إلى الهوية النابعة

منهما إلاّ أننا نختلف في المرجعية التي تحدد المعنى الدقيق لهذه العناصر وذلك لأن بعداً آخر دخل في الموضوع إلاّ وهو البعد التاريخي"[1]

شكل الحوار والاستشهاد به، لم يكن موفقاً، فقد ظهر "إبن القرن الرابع الهجري" منسجماً تماماً مع نفسه ومع اعتقاده ومع خصائص عصره آنذاك – عكس صاحبنا – حين أكد بأنه "عربي – مسلم" دون تحديد "الوعاء الجغرافي" الذي ولد فيه أو الذي ينتمي إليه لأنه ابن حضارة ممتدة عبر ثلاث قارات وتضم أقوام وأجناس مختلفة. عرب، أكراد إيرانيين "فرس" تركمان، أرمينين، هنود، أفغانيين...إلخ. وينتمون إلى ديانات متعددة (توحيدية وغير توحيدية: مسلمين، مسيحيين، يهود، صابئة، زراد شنين، بوذيين، يزيديين... إلخ). لأن الولاء الأيديولوجي – الديني والعرقي، هو في المقام الأول آنذاك، إما جوابك له "عربي – مسلم"، ثم السكوت، فهذا تعريف ناقص ومتخلف، ناقصاً لأنك ابتعدت عن ذكر "الوعاء الجغرافي" الذي تنتمي إليه اليوم عن قصد أو دون قصد ومتخلفاً، لكون الجواب، جاء بمنطق القرن الرابع الهجري "عرقي – ديني" و لم تجبه بمنطق القرن العشرين: فأين المرجعية وأين البعد التاريخي هنا؟! أليس البعد التاريخي، هو البعد الزمني المرتبط جوهرياً بالحركة الاجتماعية وبالوعاء الجغرافي!!. فلماذا لم تقل مثلاً: عربي – مسلم من الجزيرة العربية أو من "السعودية" كما تحب، ليفهم محاورك بأنك لا تعيش في الحقب الأموية أو العباسية، وهذا لا تود التورط به. فإذا قلت "عربي – مسلم" سعودي، فهذه الطامة الكبرى، فالعروبة والإسلام أصبحتا في خدمة الوعاء الجغرافي – السعودة!!.

العموميات والأحكام المطلقة:

المقولة الأولى:

"إن مشكلة المثقف العربي أنه لا يتغير مع المتغيرات ولا يحاول أن يفهم هذه المتغيرات ومعناها الفعلي"[1]. ما هي هذه المتغيرات؟ سياسية، اقتصادية، فكرية – ثقافية، لماذا لا توضح بعضها للقارىء حتى يميزك عن الآخرين؟

---

[1] تركي الحمد، المصدر السابق، ص 198.

المقولة الثانية:

"مشكلة المثقف أنه سجين أفكاره التي يعتقد بصحتها المطلقة"[2].

المقولة الثالثة:

"فالمثقف العربي في الغالب الأعم لا يطرح رأياً ولكنه يطرح حقائق مطلقة في اعتباره يجب أن يؤمن بها كاملة دون نقد أو تشكيك وهي ما يمكن أن نسميها عقده "العصمة" عند المثقف العربي".

المقولة الرابعة:

"فالخطاب الذي ينتجه المثقف العربي المعاصر باختلاف اتجاهه الأيديولوجي ومرجعيته الذهنية وميوله الاجتماعي هو خطاب اغتراب أو توفيقي، فهو إما خطاب يغرق في غربة المكان بحيث إن تحليله ووصفه واستشراقه قائم على مفاهيم مستقاة من واقع مكاني آخر هو الواقع الأوروبي أو الغربي عموماً أو خطاب يُفرض في غربة الزمان بحيث إن تحليله ووصفه واستشراقه للأزمة قائم على مفاهيم مستقاة من واقع زماني آخر هو الواقع العربي – الإسلامي الوسيط".

ماذا تدل هذه التعميمات والأحكام المطلقة؟ أليس هروب صاحبها من مرارة وهشاشة واقعه الاجتماعي – السياسي في الجزيرة العربية، ليفرغ شحنات غضبه على "كاهل" المثقف العربي. لماذا لا يميز بين إنتاج وآخر وهل يمكننا أن نضع كل الكتّاب والمثقفين في سلة واحدة؟! وهل توقف الأستاذ "الحمد" لحظة وشخّص لنا بعض هؤلاء المثقفين ناقداً – بروح علمية – لأفكارهم وآرائهم ومنوراً الطريق العام أمام الجيل الناشيء المتعطش للمعرفة ومميزاً نفسه عن الآخرين؟ صحيح هناك كثير من المثقفين والكتّاب، بعيدين في أطروحاهم عن واقعهم المعاشي ويغوصون في بحر الفكر المجرد – والحمد من بين هؤلاء – ومع هذا يجب عدم "التعميم" لأن هناك قسم كبير من المثقفين ساهموا بهذا القدر أو ذاك على توضيح كثير من المسائل الهامة إلى جماهيرهم. لا يمكن إنكارها. وقد دفع الكثير منهم ثمناً باهظاً: قتل، سجن لسنوات طويلة، تشرد... إلخ.

---

[1] تركي الحمد: المصدر السابق.
[2] تركي الحمد: المصدر السابق. ص 138

بغض النظر عن السلبيات أو القصور الذي رافق ذلك الطرح أو تلك التجربة السياسية الجزئية – وهذا موضوع آخر.

يقول الأستاذ "الحمد": "إن دور المثقف هو دور المحلل والناقد وليس دور الحاكم والمقرر في القضايا والأمور[1]، كلام جميل وسليم، ينقصه للأسف الشديد – الخطوات العملية على أرض الواقع الاجتماعي، فإذا كان المثقف العربي – حسب تعبيرك – ظل بعيداً عن الإحساس بمعاناة شعبه وأبوي في قراراته ونظرته للأمور فما أحوج الواقع المظلم في الجزيرة العربية اليوم إلى جهود قلمك السيال لتشخيص وعلاج بعض الأمراض التاريخية – المزمنة وتسليط الضوء على نقاط القوة والضعف داخل مجتمعك في الجزيرة العربية؟ فلماذا تهرب للأمام بثوب "العولمة والسعودة" وتحمل بيدك سوط وهابي – من حيث لا تدري – تجلد الداخل والخارج.

ألم يثيرك بعد هذا الاستنزاف الهائل والإسراف الفاحش لثروات بلدك؟ هل المجتمع "السعودي" مجتمع مدني أم مجتمع "الغالب والمغلوب" وما الفرق الجوهري بين الاثنين؟ هل الإنسان "السعودي" إنسان تاريخي وذو هوية تاريخية؟ أم أنه إنسان مزيف، وكيف يبنى مجتمع متحضر وإنساني على أكتاف إنسان مزيف؟ هل السعودة "هوية أصيلة" أم هوية سياسية؟ فإذا قلت "هوية أصيلة – تراثية وتاريخية ووطنية"، فإن ابتلاع مائة موس حاد، أسهل من لفظها وإذا قلت لا إنها "هوية سياسية" مستأثرة – مثل غيرها – بالسلطة والثروة. فهذا تعريف سليم ولكن أليست كل هوية سياسية، هي تدعي دوماً بأنها في خدمة بلدها ووعائها الجغرافي – التاريخي والاعتزاز به سواء كانت "تلك الهوية – دينية أم قومية أم ماركسية والأمثلة لا تحصى: الناصرية في مصر، الشيوعية في الصين، فيتنام، كوريا الشمالية، كوبا، البعثيين في العراق وسوريا والإسلاميين في باكستان، أندونسيا... إلخ، بمعني لم تحل تلك "الأديولوجيات" محل "الهوية التاريخية" والاسم التاريخي لهذا البلد أو ذاك، فلماذا إذن شذت "السعودة" عن محمل هذه الإيديولوجيات؟! وادعت

[1] تركي الحمد، المصدر السابق، ص 144.

بكل برود وسذاجة وبغفلة عن الجمهور "المغيب" في تلك الفترة التاريخية، بأنها هي الجذر الأصلي للاسم التاريخي للبلد؟!

كيف يمكن السكوت عن هذا التحول والتنظير الخطير والمذل للإنسان والمجتمع وإن المطالبة المشروعية بالعودة إلى "الاسم الأصلي والهوية التاريخية" وتصحيح المسار بأنه نابع من عقل مأزوم.

لماذا نصب غضبنا على "المثقف العربي" وتنتقد العالم والمرأة في الجزيرة العربية تتطلع منذ زمن للخروج من "الشرنقة الوهابية – السعودية" القاتلة فمن هو أولى بمناصرتها؟ ناهيك بأن مجتمعنا يعج بأمراض وظواهر وآفات اجتماعية خطيرة، فمن هو أولى بالتصدي لها؟!

وأخيراً يختم الأستاذ "الحمد" دراسته قائلاً: المطلوب إذن الخروج من مأزق الهوية وأزمتها هو خطاب جديد نابع من الواقع ذاته وقائم على الممارسة الفعلية للعربي المعاصر[1].

بدأ نقده في "العموميات" وانتهى بـــ"العموميات". لسنا بحاجة إلى خطاب قديم ولا إلى خطاب جديد، لأن كل خطاب هو في جوهره مخدر ومطوق – أحياناً – لعقول الجماهير، تارة ولاهياً لمشاعرهم بكلمات رنانة تؤدي بهم إلى كثير من النكبات والمهالك تارة أخرى، من الخطاب التقليدي والأسبوعي لمنبر الجمعة، كما يفعل الوهابيون، منذ عشرات السنين، مروراً بخطاب "الحاكم" وكبار المثقفين والصحفيين لأن كل خطاب سياسي بالضرورة، يرضع من "أيديولوجية" معينة سواء كانت إيديولوجية دينية أم وضعية وبالتالي يسهم هذا الخطاب، بتجميل أبدي لأيديولوجيته.

نحن بحاجة ماسة وسريعة إلى غذاء معرفي جديد يحمي ويصون عقل وجسم المواطن من الأمراض الوهابية – السعودية التي لحقت به، نحن بحاجة فعلاً لطرح وإرساء مشروع فكري - ثقافي – بوصلي أخلاقي، نابع من الفهم الدقيق لتاريخنا ولشخصيتنا

---

[1] تركي الحمد، المصدر السابق ص 210.

ولسمات عصرنا، لكي يضيء الطريق أمام مسيرتنا وليبعدنا بقدر الإمكان — عن "الصرعات الداراوينية الدموية" — التي شهدها منطقتنا — ولا زالت — لكي نصل إلى بحر الأمان بأقل الخسائر البشرية ودون خسائر نفسية، بفضل الوعي المعرفي للمواطنين والمواطنات، مشروع ثقافي — فكري يتناول القضايا الحساسة لواقعنا اليوم ويجيب على الأسئلة الكبرى في تاريخنا، ولخصائص عصرنا ليقف - بعدها — المواطن شامخاً بنظرته الجدلية للحياة دون السقوط في فخ المخططات الأمريكية التي تعدها لنا. ونتوخى أن يسهم بهذا المشروع كل المخلصين في هذا البلد والمدركين لعمق الكوارث القادمة ولقطع الطريق عليها وكاتب هذه السطور سيسهم مثل غيره بهذا المشروع وإن كان أعد نفسه له منذ سنين طويلة مثال:

هل من الممكن قيام نظام ديمقراطي في الجزيرة العربية أم لا؟ مخطوطة ستصدر قريباً.

هل العلمانية والديمقراطية، هما إنتاج "الغرب" كما يصورها بعض الكتاب السطحيين أم أنهما إنتاج عقول أبناء الجزيرة العربية — وغيرهم؟ مثال جمهورية مكة، والعلمانية العربية — القرمطية في شرق الجزيرة العربية.(مخطوطة ستصدر قريباً)

لماذا يصر "الوهابيون والسعوديون"، على شمولية "قدسية" مكة؟ وهم بهذا يعارضون تاريخ مكة قبل وبعد الإسلام وحتى عام 1924م؟

لماذا الديانات السماوية الثلاث ولدت عندنا و لم تلد في أفريقيا أو أمريكا اللاتينية أو أوروبا؟ لأن شعرنا أسود وعيوننا سوداوين أم لأن هناك عوامل مغذية لمثل هذه الظواهر ؟

لماذا نسقط مستبد ونلد بسرعة مستبد آخر, أهي لعنة أبدية أو جرثومة تجري في عروقنا أم أنها تربة وعقلية ونفسية متجذرة في واقعنا، وكيف يتم اجتثاث ذلك؟ لماذا لم تقم برجوازية صناعية في تاريخنا خاصة في العصر العباسي الثاني والثالث بالرغم من وجود "رأسمال ربوي ورسمال بضاعي — تجاري، ووصلت ميزانية الدولة العباسية في عهد المأمون والمعتصم أكثر من 175 مليون درهم؟! لماذا المهدي المنتظر دائماً يخرج من منطقة نجد؟

لماذا غاب الإمام "المهدي المنتظر" في سرداب مدينة سامراء في القرن الثالث الهجري 260هـ تقريباً، ولم يغب في القرن الثاني أو الرابع؟ ما هي العولمة وحقيقتها؟ هيمنة اقتصادية على المستوى العالمي ونظام جديد – كما يدعي البعض؟ فالهيمنة الاقتصادية مجسدة منذ زمن طويل، أم أنها بلدوزر "ديفيدي أمريكي" لمسح هوية وشخصية الشعوب، ليبقى ديفيد وحيداً في ميدان المعمورة، حاملاً هويته وأسفاره بجانب هيمنته على الجميع؟!

دروس من التجربة الوهابية - السعودية

الدرس الأول: الوقوف ضد قيام تجربة سلفية

أول وأثمن درس يجب أن يتعظه به المواطنين والمواطنات في الجزيرة العربية، هو وقوفهم الواع والحازم ضد صعود قوة دينية – سلفية للسلطة على أنقاض الحكم الحالي السائر على طريق التآكل والتفسخ. فالسلفيون الجدد يعدون أنفسهم لاستلام السلطة والانفراد بها سواء جاء هذا الموقف عبر إزاحة الأسرة المالكة عن الحكم بطريق القوة أو عبر اتفاق "ثنائي" تتعهد الأسرة السعودية المالكة بتقديم التنازلات لحساب ذلك التيار. وبغض النظر عن الموقف الأمريكي المؤيد أو المعارض لهذا "التغيير" فإن النتيجة العملية واحدة، لا تغيير جوهري يمس حياة المجتمع، لا على الصعيد الثقافي – الفكري ولا على الصعيد السياسي – الحقوقي، ستبقى "الحريات الديمقراطية" وحقوق المواطنين معلقة كالسابق. فقد انهزمت سلطة وهابية – سعودية متفسخة على كافة المستويات، أمام قوى "دينية – سلفية" متشددة ومتعطشة لأسر الإنسان والمجتمع، كأجدادهم القدماء من الوهابيون الأوائل. فأين التغيير هنا؟! بل أي نفق مظلم وطويل سيحل بهذا الشعب إذا ما تمكنت تلك القوى من الهيمنة على السلطة؟ فالشعب بكل فئاته وتطلعاته المشروعة سيكون "مهمشاً ومغيباً" عن حركة التاريخ الإنساني المعاصر باسم الدين وباسم الرجوع لسلف الصالح... إلخ.

إن الاعتزاز بالدين والتراث الإسلامي شيء وإن ادعاء السلفيين الجدد بأنهم "قدر أمة محمد" وفرض وصايتهم على الجمهور شيء آخر. فقد برهنت الممارسة الطويلة والمؤلمة للسعوديين والوهابيين على مدى ابتعادهم عن مواقع العقل والمنطق حتى في أبسط الأشياء. وكل ما يعانيه المجتمع والإنسان في هذا البلد من تخلف فكري وحضاري ومن تفكك أو نخر اجتماعي مخيف وعلى كافة المستويات، ما هو في الحقيقة إلا ثمرة مباشرة لممارسة النظام و"الفاتيكان الوهابي" الطويلة والمعادية لانطلاقة الشعب نحو الأفضل بالرغم من الفرص التاريخية العديد التي برزت أمامهم، تشجعهم على النهوض بالمجتمع من أركام

الماضي ولكن "القدرية الوهابية" تقف دوماً بالمرصاد أمام هذا التحول من جهة وزادت من العقد والتشويهات التي أصابت شخصية "ابن الجزيرة العربية" بالصميم من جهة ثانية، فهل يعقل أن يقف قسمٌ من الشعب ومن بينهم حملة الشهادات العليا مؤيدين ومهلهلين لمجيء قوى سلفية للسلطة من جديد؟!

إن نقدنا للعقلية الوهابية أو "القدرية الوهابية" نقصد به نقدنا للقوى الدينية المعارضة أو التي لها مواقع قوية في السلطة أو المجتمع، لا ينطلق من نظره "عدمية" كما هم ينظرون للآخر، بل نعترف بوجودهم كقوى سياسية ويثقلهم داخل الطرف الشعبي وحقهم في العمل والنشاط مثلهم مثل غيرهم من القوى السياسية والشخصيات الوطنية والديمقراطية في هذا البلد. وإشعارهم – من الآن – التخلي عن "النظرة الفوقية" أو "الوصاية الأبدية" على الشعب. فهل يعقل نظرة فوقية، في المجال النضالي وفي بلد مستهدف لهدم كيانه التاريخي نحو الأسوء؟! إن ألف باء العمل النضالي يتطلب الوحدة والتأزر بين المواطنين والمواطنات في هذه المرحلة التاريخية الحرجة لردع المخاطر المحيطة بهذا البلد وبثروته وعدم تكرار التخلص من سيء ليقع في الأسوء. إن نقدنا المسبق للقوى الدينية المتعطشة للانفراد بالسلطة أو "التفاهم مع السلطة" على حساب الشعب، ما يلي:

أولاً: نحن أبناء الجزيرة العربية، أبناء تجربة دينية – سياسية ذات ذراعين قمعيين، الذراع السعودي، يحصد ما يشاء دون حساب أو عقاب أو مراقبة وذراع "وهابي" يقمع ليلاً نهاراً. فإذا كان الأجداد فخورون بـــ"رحلة الصيف والشتاء" في عصر "جمهورية مكة – آنذاك" فإن الأحفاد اليوم يعانون من عذاب من "رحلة الوهابي – السعودي" على مدار السنة. وبالتالي سقوط أو اختفاء الذراع السعودي أو حصر سلطته على يد قوى دينية – سلفية، لا يؤدي إلى مخرج ولا يغير من الأمور شيئاً. فقد بقي الذراع الوهابي، منفرداً في الساحة والشعب لم يخرج من الشرنقة الوهابية - السلفية القاتلة.

ثانياً: إنها قوى دينية – سياسية، لم تطرح على الشعب مشروعاً فكرياً – ثقافياً أو برنامجاً سياسياً للعمل الوطني في هذه المرحلة أو تلك وكل ما طرحته هو تكرار إنتاج الماضي بصيغ جديدة، حيث حصرت المسألة والمهمة التاريخية بـــ"فساد ولي الأمر"

وعجزه وضرورة تطبيق برنامجهم القائم على الفرز والسلخ، فرز المواطنين، هذا علماني، هذا ديمقراطي، ذاك شيعي، ماركسي... إلخ. وسلخ المواطنين أي – أكثرهم – عبر الجلد والفتوى.

ثالثاً: الشعب بكافة طبقاته وشرائحه الاجتماعية مغيباً تماماً في الخطاب الديني – السياسي سواء عن جهل أو عمد، لأن الاعتراف بوجود هذه الطبقات وصراع المصالح فيما بينها يدفع بالقوى الدينية بالاعتراف بحقوق المواطنين وضرورة إرساء بعض المؤسسات المدنية واستخدام المصطلحات العلمية في هذا المجال، وهذا لا يمكن أن يفكر به التيار السلفي فما بالك بالإقرار به، لذا رفع شعاره المضلل، النضال لرفع كلمة الله العليا.

رابعاً: البرهنة عملياً للعالم بأن الشارع العام في الجزيرة العربية، ليس فارغاً من القوى الوطنية والشخصيات الديمقراطية المتعطشة للإسهام في بناء مجتمعها الإنساني ما ينسجم وتطلعاتها وأن الشعب ليس "رهينة" أبدية في يد السلفيين من جهة ولتشجيع المواطن البسيط على الموقف الناقد والبناء لسلوك ومواقف رجال الدين مثلما ينتقد مواقف الأمراء من جهة ثانية.

الدرس الثاني: المال ضد الحرية

الشعار الرومانسي "الحرية" أغلى وأثمن شيء في الحياة، أخذ يتراقص أمام قوة الرأسمال البترولي في الجزيرة العربية، ليسقط في إحدى الآبار المظلمة في صحرائها الواسعة. لماذا الرأسمال البترولي دون غيره من رؤوس الأموال؟ سؤال تاريخي – اجتماعي هام جداً بقدر ما هو سؤال هام أيضاً على الصعيد الاقتصادي – والسياسي.

رؤوس الأموال بشكل عام تنمو وتتراكم وتتسع حركة استثمارها في هذا البلد أو ذاك أو في هذه المدينة أو تلك، عبر المثابرة والمغامرة، عبر التخطيط والاستغلال (المحلي أو الشعوب الأخرى) حسب الشروط والوعي التاريخي الذي مر به هذا الرأسمال أو ذاك. ففي مرحلة ما قبل الإسلام وعشية ظهوره، كان التاجر هو "رجل الحر" والرجل الشريف ورجل الثقة ورجل المغامرة والشجاع – وما أن يفقد التاجر – آنذاك – رأسماله وتتدهور أوضاعه الاقتصادية، سرعان ما يهيم على وجه في صحاري جزيرة العرب، ليحافظ بقدر الإمكان على شرفه وسمعته ولينقذ ماء وجه وهي الطريقة الانتحارية المفضلة لدى تجار مكة – آنذاك – كما يخبرنا المؤرخ الأشهر الدكتور جواد علي. ولهذا ظل تجار مكة هم أسيادها العسكريين والروحانيين ناهيك عن سيادتهم المالية والاقتصادية. ولما نزل القرآن على النبي محمد ﷺ تساءل عمر بن هشام المخزومي أغنى رجل في مكة باندهاش: كيف يترل القرآن على محمد ولا يترل عليّ (عظيم القريتين) – الآية – أي عمر بن هشام المخزومي في مكة ومسعود الثقفي في الطائف. إذاً الرأسمال التجاري والربوي آنذاك له أخلاقه وقيمه وطموحاته، حيث هو الماسك والموجه لجمهورية مكة.

أما الرأسمال الصناعي في عصرنا الراهن، فهو غني عن التعريف، سواء بتاريخ منشأة أو بطموحاته وحركته التي لا تتوقف أو بقيمه وأخلاقه. فالرأسماليين هم أسياد المجتمع الصناعي دون منازع، لكونهم مسيطرين على وسائل الإنتاج ويتمتعون بفائض القيمة، وباستغلال الشعوب ما وراء البحار. وبالتالي هذه الطبقة الرأسمالية استطاعت أن

تنشأ نظامها السياسي — الديمقراطي ما يخدم ديمومة استمرار هيمنتها على إدارة المجتمع والاقتصاد. فالسلطة السياسية الحالية في أوروبا. هي دوماً في خدمة السلطة أو الدكتاتور الأوروبي — الاقتصادي. سواء فاز حزب يميني أو اشتراكي، الكل يخدم مصالحها بالتناوب. وهذا موضوع آخر.

إذن الطبقة الرأسمالية، فخورة بنفسها، لها أخلاقها وقيمها، لها أحزابها ومنظماتها السياسية المعبرة دوماً عن مصالحها ولذا هي تسير على بصيرة من أمرها.

أما الرأسمال البترولي في "السعودية" لم يستطع أن يشق له طريقاً مشرفاً — حتى الآن على الأقل — لم يسهم — بعد في بناء شخصيته الاجتماعية والسياسية والثقافية. فقد ارتضى أو أرغم على ذلك على أن يكون دوره مهمشاً ومغيباً داخل المجتمع على الصعيدين السياسي والثقافي. فعلى الرغم من اتساع حجم الطبقة البرجوازية بشتى فروعها العقاري والمصرفي والصناعي والتجاري وعلى الرغم من ما تملك من أموال خيالية. نرى الرأسمال البترولي لا زال بعيداً عن الدفاع عن "الحرية" الرمز الأول لحركة "المال" قديماً وحديثاً. ولهذا لم تسهم تلك رؤوس الأموال الضخمة في كسر البنية الفكرية — الأيديولوجية للنظام والمؤسسة الدينية الوهابية. لم تسهم حتى في صياغة وصقل شخصية البرجوازي، داخل المجتمع، ولم تنمي طموحاته نحو المطالب الديمقراطية، لتنسجم مع مصالحه وأخلاقه، ولهذا لم تستطع هذه "الطبقة" أن تتخذ مواقف إيجابية داخل المجتمع فقد ظلت مواقفها سلبية قاتلة موزعة الولاء ومنقسمة على نفسها لعدة أقسام.

- قسم مرتبط بالقصر الملكي ويرى مصالحه من خلال علاقته بالأمراء الكبار.
- القسم الثاني مرتبط مصالحه مع المؤسسة الدينية وينظر للحياة والكون من خلال منافذ "الفاتيكان الوهابي".
- القسم الثالث وهم الأقلية، يبحث عن طريق آخر، لم يتبلور في ذهنه ولم يحسم موقفه بعد. وبهذا الموقف السلبية والعاجزة للبرجوازية البترولية في السعودية، عززت من سلطة "رجال الدين" وساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر على "خنق" الحريات الديمقراطية، وترك الساحة للثقافة الوهابية القدرية.

إذاً الريع البترولي ساهم في إطالة عمر الاستبداد الديني والسياسي، ساهم في إطالة عمر الأمير ورجال الدين. ولم تخلق تلك الرؤوس الأموال البترولية الضخمة على خلق الشروط والمقدمات الأولى لإرساء الديمقراطية في البلد. كما هو مفروض أن تلعبه. وبهذا تكون الرفاهية البترولية، ساهمت على قتل روح الإبداع عند البرجوازي قبل المواطن وبالتالي عززت من قبضة الوهابيين على خناق المواطنين.



الدرس الثالث: التطرف

التطرف، السائد اليوم في المجتمع الوهابي- السعودي ليس ظاهرة عابرة ولا هو قادم من الخارج كما يتوهم بعض الاساتذة الجامعيين. بل هو إنتاج طبيعي لمواقف وممارسات تجربة دينية — سياسية مشهود لها بالمواقف المتطرفة والغلو في تكفير الآخرين منذ أكثر من قرنين ونصف القرن من الزمن، أي منذ بداية انطلاقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب 1744م وما رافق تلك الدعوة من حملات عسكرية — تبشيرية متطرفة جداً ما بين 1760 م — 1818 م. ثم تكرار تلك المواقف في "الغلو والتطرف الديني"، في الدولة السعودية الوهابية الحديثة وما القرارات الشهيرة لمؤتمر "الأخوان" ما بين عام 1914م — 1929م إلا دليلاً ساطعاً على ذلك واستمرار تلك "المواقف المتطرفة"حتى يومنا هذا حتى أصبحت ظاهرة التطرف، ملازمة لشخصية السعودي — الوهابي بشكل خاص ولشخصية "أبن الجزيرة العربية" بشكل عام — كما سنرى. إلا إن هذا "التطرف" أخذ منحى خطراً جداً خلال الخمسة والعشرون عاماً الأخيرة وبالتحديد منذ عام 1977 م إلى وقتنا الحاضر. حيث تعانقت القطرات البترولية مع المواقف والفتاوى الدينية لرجال الدين الوهابيين، فأنعشت جسد "الفاتكان الوهابي" الذي أندفع بحماس ديني — بترولي منقطع النظير للهيمنة "الكلية، على العالم الإسلامي وفاتحاً له 134 فرعاً في العالم. فأصبحت ظاهرة التطرف والغلو شمولية لا تقف عند حد ولم ينجو منها لا أمير سعودي ولا المواطن فالأمير السعودي له مواقفه المتطرفة في: المآكل والمشرب والمنكح وتمسكه بمقولة "مجتمع الغالب والمغلوب"، ورفضه لقيام مجتمع مدني عصري إنساني، ورجل الدين الوهابي متطرف جداً في مواقفه وفي علاقاته الاجتماعية، ناهيك عن رفضه "المطلق" "لوجود" ثنائية في الفكر والمواطن بدوره، له مواقفه المتطرفة المضادة لسلطتين تنهشان جسمه وعقله يومياً . لذا من الخطاء القول بأن التطرف قادم من الخارج أو إنه يقتصر على "فئة اجتماعية" محدودة العدد والتأثير! . كما وأنه من العبث الادعاء بالأخذ بالإصلاحات الضرورية داخل هذا المجتمع، دون التعرض للنقد العلمي لظاهرة "التطرف والغلو" السائدتين في قلب المجتمع الوهابي — السعودي .

إن المظهر العام – مثلاً – لرجل الدين النجدي، يثير فيك – للوهلة الأولى – الإعجاب والتقدير لبساطته وهدوئه وشكل مظهره الخارجي المسالم،كأنه يوحي لك بأن هناك شيء ما مشترك "يشد" هذا الوهابي بـ "المهاتما غاندي" ولكن ما أن تتحدث معه وتخالفه في أمور جزئية، لا جوهرية أو يرى أشياءً لا تنسجم مع ذوقه أو عقليته أو معتقده، سرعان ما يهب غاضباً أو ثائراً ومتخذاً موقفاً متطرفاً، فتنهار أو تتبخر أمامك تلك "الصورة الظاهرية" لتجد نفسك أمام رجل يختلف عن الآخرين بقوة تعصبه وتطرفه، الذي لا يرحم لا الأحياء ولا الأموات من الذين يخالفون رأيه. فهل هذه سمة طبيعية في التكوين النفسي والذهني أم أن الرجل خضع لتربية دينية وروحية وثقافية، مشوهة ومتطرفة، جعلت منه كائناً نافراً دوماً من أي جديد.

إن معرفة جذور "التطرف" وأنواعه في هذا المجتمع، شيء ضروري لكي يقف القارئ على بينة من عمق وانتشار هذا المرض الخطير الذي أفرزته وجذرته في الواقع الاجتماعي التجربة الوهابية – السعودية الطويلة.

هناك نوعان من التطرف داخل "المملكة":

1- التطرف العلني.

2- التطرف الخفي "المستتر".

1- التطرف العلني: هو التطرف المجسد في مواقف وممارسات رجال الدين السلفيين من: علماء وقضاة ودعاة وخطباء وأساتذة جامعيين،سواء في المجال التعليمي أوالثقافي أوالتربوي إما في المجال الديني—السياسي لم يخفف الوهابيين من غلوهم يوما، منذ بداية الدعوة الوهابية إلى يومنا هذا، حيث هم يؤكدون بأنهم أفضل الفرق الإسلامية، وإن "المهدي المنتظر" سيخرج من وسطهم!!. ولكن تبقى المواقف المتطرفة والمشينة التي تصدم اخلاق وانسانية الانسان تتجلى في مواقفه العدمية على صعيد العلاقات الاجتماعية، حيث يركز قاده "الفاتكان الوهابي" على قاعدتهم المتوهبة، بعدم بناء علاقات اجتماعية، إنسانية مع أصحاب المذاهب أو الديانات الأخرى التي يكفر الوهابيين أصحابها: كالشيعي، الدرزي ،الإسماعيلي ،المسيحي والبوذي... الخ وقد أوردنا العديد من الفتاوى في دراستنا هذه حول المواقف المتطرفة لذالك لاداعٍ للإسهاب أوالاستشهادات حول "التطرف

العلني" الملموس والذي يعاني منه جميع المواطنين والمواطنات. والذي يهمنا توضيحه هنا لغرابتة وخطورته، هو "التطرف الخفي" المستتر".

ب- التطرف الخفي "المستتر":

الإشارة إلى هذا النوع من التطرف مهم جداً ليس فقط على صعيد معرفة عوامل مغذياته وأشكال مظاهره بل لمعرفة المزيد عن " شخصية ابن الجزيرة العربية" – الضحية الأولى، لتطرف السلطة بماذا يفكر الآن؟

كل موقف متطرف هو بالضرورة موقفاً علنياً واضحاً للعيان سواء جاء هذا الموقف معبراً عن رأي حزب ديني أو علماني أو جماعة أو سلطة سياسية، كما هو واضح الآن في مواقف وممارسات رجال الدين في السعودية، لذا الحديث عن "تطرف خفي"، حديث غير علمي ومثير للاندهاش والاستغراب معاً، لأن تاريخ المجتمعات البشرية الذي عرف وسجل لنا أنواع من التطرف الديني والايديولوجي والعرقي... لم يشر أو يذكر لنا هذا النوع من التطرف ونعتقد بأنها ظاهرة تقتصر بلا شك على "المجتمع الوهابي – السعودي".

فما السبب يا ترى؟ وما هي المغذيات اليومية والمشجعة لظهور مثل هذا التطرف؟

التطرف الخفي هو ابن ظروف قاهرة وغير طبيعية! حيث يتحول ذهن وعقل الإنسان إلى خزان كبير من الالام النفسية والمعنوية ومن التراكم الساخط الذي لاحدود له على الوضع العام: السياسي والديني والأخلاقي والجنسي... الخ. هو ردة فعل طبيعية، على ممارسات التطرف الرسمي الديني والملكي المسلط عليهم. فشمولية التطرف الوهابي – السعودي لم يترك أمامهم خياراً ولاحتى متنفساً واحداً. ولذا سيكون هذا النوع من التطرف الخفي خطراً جداً على حاضر ومستقبل هذا البلد إذا ما تفجر يوماً بشكله المخزون في ذهن المواطنين والمواطنات، سيدخل المجتمع في حمامات دم "أو صراع دارويني" لا أحد يعرف مداه ولااين تنتهي لذا تحديد منابع "التطرف الخفي"، و طرق علاجها بشكل سليم، سيخفف من حدة هذا التطرف أولا ويبعد المجتمع عن شبح الكوارث التي تحيط به من كل الجهات ثانيا وقبل الإتيان بالأمثلة، الحية على "التطرف الخفي أو المستتر" يجب القول بأن هناك خمسة أنواع من التطرف الخفي تغذّي بمجموعها ظاهرة التطرف :

- تطرف يتغذى من القمع السياسي والفكري.

– تطرف يتغذى من الحرمان الجنسي.

– تطرف يتغذى من القمع اليومي للمطاوعة وشكل العقاب الديني.المسلط على الشعب.

– تطرف يتغذى من الوضع أللإنساني للمرأة.

– تطرف يتغذى من القهر التاريخي أي من وجود "مجتمع الغالب والمغلوب".

إن شرح هذه النماذج يتطلب دراسة مستقلة لسنا بصددها هنا. لذا تكتفي ببعض الامثلة التي اباح بها هذا المواطن أو ذاك لمن يثق بهم.

1-رجل سياسي مخضرم، معروف على المستوى الشعبي، سأله بعض الشباب السؤال الآتي: متى تقوم الثورة؟ فاستغرب الرجل السؤال فأجابه "الشاب" قائلاً: حتى نجعل من المطاوعة قرود.

2- مواطنة من "أهل الرياض" دعت ربها في إحدى "صلواتها" وبصوت مسموع. يا إلهي صاروخين "عراقيين" من نوع "سكود" واحد ليفجر مكة والآخر الجامع الكبير في الرياض. فأستغرب أولادها وبناتها من هذا الدعاء، ولما سألتها إحدى بناتها قائلة: لماذا يا أماه؟

أجابت الأم بهدوء: لكي نتخلص من المطاوعة.

3- رجل من "أهل بريدة" اعتقل صديقاً له بتهمة "شارب منكر" "خمر" فأقسم الرجل أن يشرب "الخمر" في المسجد وفي "محراب الإمام" وقد فعلها فعلاً في إحدى الليالي.

4- قال أحد المقيمين العرب الذين يعملون في "الرياض"، إلى أحد المواطنين: أنتم السعوديون تربحون كثيراً من موسم الحج؟ فأجابه المواطن بهدوء: خذ مكة والمطوع معك إلى الشام ودعنا بسلام!.

5- قال أحد العمال من أبناء الجزيرة العربية: إذا حدث شيء ما في هذا البلد يجب "جعل مكة"، مركزاً للإتحاد العام العالمي للنقابات!

6- سأل وهابي – من أهل الإحساء – جاره: هل من الممكن خصي الديك"؟ فاستغرب الجار وسأله لماذا؟ أجاب الوهابي: أن الديك مفسد لأخلاق الأطفال. فقد شاهدت أطفالي يضحكون وهم يرون الديك فوق الدجاجةّ! الديك الذي تغنى به الشعراء وبارك بصوته الأنبياء[1]،أصبح مفسدا للأخلاق أي تربية غلو وتطرف خضع لها هذا "الوهابي" وأمثاله.

بهذا يكون التطرف بشقيه "الظاهري والخفي" معبراً بوضوح عن غياب النظرة العقلية أو المنطقية داخل المجتمع الوهابي – السعودي وبالتالي مطالبة الجمهور بالتعقل والتوازن أو التحلي بالحكمة، كما يردد دوما دعاة وخطباء "الفاتيكان الوهابي" كلام فارغ لا معنى له ما دامت جذور التطرف قوية ومستمرة دون توقف.

كما وإن أي محلل سياسي أو اجتماعي، لم يعِ بعد خطورة شمولية التطرف في الواقع الإجتماعي والسياسي في الجزيرة العربية -أسبابها الخفية والظاهرة -، لا يمكن أن يسهم بوضع الاسس السليمة لبناء المجتمع المدني الإنساني القادم.

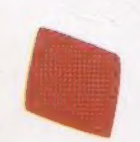
سيصدر قريبا "القدسية والديموقراطية في الجزيرة العربية "

[1] عن زيد بن خالد الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لاتسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة. رواه ابو داوود باسناد

فهرس



د. أنور عبد الله



خصائص وصفات المجتمع
الوهابي - السعودي

بحث سوسيولوجي - أنثربولوجي

أطلت الوهابية – السعودية على المجتمع في الجزيرة العربية والعالم ، خلال ثلاثة أحقاب تاريخية بثلاثة أثواب سياسية –ولا زالت– هذه التجربة الدينية – السياسية ، تكرر نفسها بنجاح على المسرح السياسي ، وفي كل مرة كانت تنطلق من ذات المكان (منطقة نجد) لتمتد بعد ذلك لتشمل بعض أجزاء الجزيرة العربية ثم تنكمش بسرعة وتسقط منهارة. ثم لا تلبث أن تعود بعد فترة قصيرة ، لتستلم السلطة وتدير المجتمع والإنسان حسب رغبتها وإرادتها دون رقيب . فالمثل المشهور: التاريخ لا يكرر نفسه ، سخرت منه التجربة (الوهابية – السعودية). لكونها كررت نفسها – كأيديولوجية وكأسلوب عمل ، آثارت الغيرة ، والحسد في نفوس . بقايا – بعض العوائل والأسر السياسية الحاكمة . والمهزومة – عبر التاريخ – والتي لم تستطع أن تسترجع سلطتها مرة ثانية ، سواء كان ذلك في التاريخ القديم أو التاريخ الحديث: أين هم أبناء الأسرة العباسية أو الفاطمية في العراق ، مصر ، المغرب ، وكذلك الأسرة الصفوية ، والقاجارية في إيران... مروراً بالممالك الصغيرة: أسرة محمد علي باشا في مصر ، المغرب ، التي سقطت عام ١٩٥٢ م والأسرة الهاشمية في العراق التي أبيدت عام ١٩٥٨م ، والأسرة الإمامية الزيدية في اليمن التي سقطت عام ١٩٦٢م والإدريسية في ليبيا عام ١٩٦٩م والشاهنشاهية البهلوية في إيران عام ١٩٧٩م ، لهذا قيل المثل الشعبي المشهور: لكل زمان دولة ورجال.

فلماذا شذت الأسرة السعودية – الوهابية عن القاعدة العامة في مسار تاريخنا وكررت نفسها ثلاث مرات؟!



رسم الغلاف : كمال العامري

مكتبة الشرق
باريس